التربية على منهج أهل السنة والجماعة

جمع وترتيب

د/ أحمد فريد

السلفية

الناشر

الدار السلفية للنشر والتوزيع



طبعة مزيدة ومنقحة

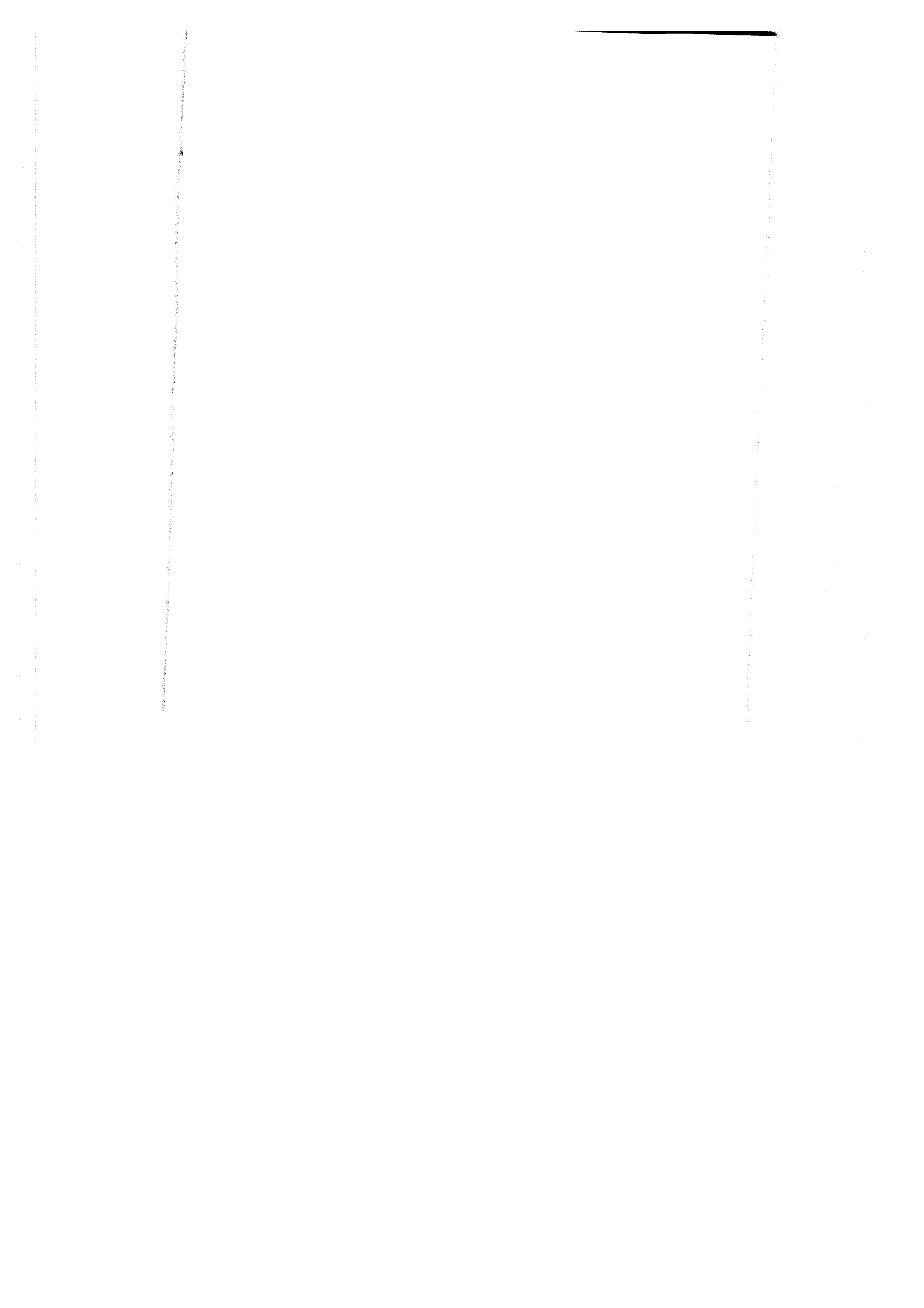
الطبعة الثالثة

1472 هـ / 2006 م



الناشر

الدار السلفية للنشر والتوزيع





المقدمـــة

نسأل الله تعالى حسن الخاتمة

الحمد لله الذي عم برحمته جميع العباد، وخص أهل طاعته بالهداية إلى سبيل الرشاد، ووفقهم بلطفه لصالح الأعمال ففازوا ببلوغ المراد.

أحمده حمد معترف بجزيل الإرفاد (١)، وأعوذ به من وبيل الطرد والإبعاد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدخرها ليوم المعاد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، موضح سبيل الهدى والسداد، قامع الجاحدين والملحدين من أهل الزيغ والعناد، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه الأكرمين الأجواد، صلاة تبلغهم بها نهاية الأمل والمراد.

ثم أما بعد:

فإن من أهم ما تبذل فيه الحيوات، وتنفق فيه الأوقات، وتهتم به الدعوات، الجانب التربوي في الدعوة، فبه يتجدد نشاطها، وتتفتح به زهراتها، وتطيب ثمراتها، فبالتربية تصح العقائد، وتعمق المفاهيم الصحيحة، وتغرس الأخلاق النبيلة، وينشأ الصغار على ما درج عليه الكبار، قال بعض السلف: (لا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى يتعلم الآخر). وهل قامت دولة الإسلام، وارتفع دين الملك العلام إلا بتربية الصحابة الكرام على يد المربي الأول الذي تشرفت البشرية

---

(١) الإرفاد: الإعطاء والإعانة.

برؤيته، واستضاءت المعمورة ببركة دعوته، فقد كان أكبر هَمِّ النبي ﷺ تربية الصحابة الكرام بمكة بدار الأرقم بن أبي الأرقم بالقيام والصيام وتلاوة القرآن، روى مسلم عن عائشة ﵂ قالت: «فرض الله عز وجل على نبيه ﷺ قيام الليل فقام النبي ﷺ وقام الصحابة معه حولاً كاملاً، واحتجز الله عز وجل خاتمة السورة اثنى عشر شهراً، ثم نزل بعد ذلك التخفيف»(١).

وقصدت ﵂ فرض قيام الليل بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ۝ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ١-٤].

وقصدت بالتخفيف الآية الأخيرة من السورة وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [المزمل: ٢٠].

أليس من الغريب العجيب أن يفرض قيام الليل قبل أن تفرض الصلوات الخمس، وقبل أن تنزل الحدود، وإنما كان ذلك كذلك تربية لهذه الأمة ورفعاً لمستواها الإيماني، وكان مما يميز القرآن المكي تقرير وتكرير أمور الآخرة على القلوب والأسماع، حتى يصير المسلم وكأنه يراها بعيني رأسه، وكذا كثرة القصص الذي يسلي المؤمنين ويزيد ثقتهم بنصر الله رب العالمين، فلما نزلت الحدود والتشريعات بعد ذلك سارع الصحابة ﵃ إلى امتثال أوامر الله عز وجل.

---

(١) رواه مسلم (٦/ ٢٦) صلاة المسافرين، وأحمد (٦/ ٥٤)، وأبو داود (٨/ ١٣) قيام الليل، والنسائي (٤/ ١٩٩) قيام الليل.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أول ما نزل من القرآن سورة فيها ذكر الجنة والنار، تعني رضي الله عنها سورة المدثر، وهي ثاني سورة نزولاً، وفيها يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً﴾ [المدثر: ٣١]، وقوله عز وجل ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [المدثر: ٣٨-٤١].

حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام.

ولو نزل من أول الأمر: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، ولو نزل لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً.

أنزل على النبي ﷺ وأنا جارية ألعب: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦] وما نزلت البقرة والنساء إلا وأنا عنده بالمدينة» [١].

فلا شك في أن النبي ﷺ في مكة كان أكبر همه تربية الصحابة الكرام، ومن أجل الاهتمام بالتربية أمروا بكف الأيدي وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ٧٧]، ومن أجل الاهتمام بالتربية أيضاً نهوا عن رد الاعتداء بالاعتداء، وأمروا بالعفو والصفح كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤] حتى لا يشغلوا بالمعارك الجانبية عن التفرغ للتربية، ولئن قال البخاري – رحمه الله –:

---

(١) رواه البخاري (٤٩٩٣) فضائل القرآن.

العلم قبل القول والعمل، فقد قال الصحابة ﷺ ما هو أبلغ من ذلك وهو أن الإيمان قبل العلم، كما روى الحاكم بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «عشنا برهة من دهرنا، وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن»(١). وقال عليّ رضي الله عنه: «رأيت أصحاب رسول الله ﷺ، فلم أر اليوم شيئًا يشبههم، كانوا يصبحون صفرًا شعثًا غبرا، بين أعينهم أمثال ركب المعزى، قد باتوا سجدًا وقيامًا، يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا تمادوا كما يميد الشجر يوم الريح، وهملت أعينهم بالدموع فوالله لكأني بالقوم باتوا غافلين».

فلا شك في أن النبي ﷺ اهتم بتربية الصحابة الكرام، وسقاهم القرآن، ورقاهم بالقيام والصيام، حتى صاروا شموس ضياء وأقمار هداية، وفتح الله عز وجل بهم البلاد وقلوب العباد، وتكونت الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة في فترة كأنها لحظات من عمر الدنيا، بعد ثلاثة عشر عامًا من ابتداء البعثة النبوية المباركة، ثم توالت الانتصارات، وانتشر الضوء، وعم الخير، فجاء نصر الله والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجاً في السنة الثامنة من الهجرة المباركة، وما فارق النبي ﷺ الدنيا حتى عم الإسلام جزيرة العرب، ثم سطع النور بعد ذلك في المشارق والمغارب، حتى دق المسلمون أبواب فِيِنَّا في أوروبا ووصلوا إلى حدود الصين في آسيا، وكان هذا ببركة تربية الصحابة على الإسلام، وبذلهم لإعزاز دين الملك العلام.

فما العز للإسلام إلا بظلهم ... وما المجد إلا ما بنوه فشيدوا

(١) رواه الحاكم في المستدرك ١/٣٥ وصححه، ووافقه الذهبي.

وعلى هذا الهدي المبارك درج السلف ﷺ من التابعين فمن بعدهم، فكانوا يهتمون بتربية الناشئة على الإيمان الصحيح، والخلق النبيل، والآداب السنية، والسنن المصطفوية، وهذه أمثلة من اهتمام السلف بالتربية:

– مما يروى في كتب التاريخ والأدب أن الفضل بن زيد رأى مرة ابن امرأة من الأعراب فأعجب بمنظره. فسألها عنه فقالت: «إذا أتم خمس سنوات دفعته إلى المؤدب، فحفظ القرآن فتلاه، وعلمه الشعر فرواه، ورغب في مفاخر قومه، ولقن مآثر آبائه وأجداده، فلما بلغ الحلم حملته على أعناق الخيل، فتمرس وتفرس ولبس السلاح، ومشى بين بيوت الحي، وأصغى إلى صوت الصارخ»[١].

– وروى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان لما دفع ولده إلى المؤدب قال له: «ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني، إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، وعلمهم سير الحكماء، وأخلاق الأدباء، وتهددهم بي وأدبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء....».

– وروى ابن خلدون في مقدمته أن هارون الرشيد لما دفع ولده الأمين إلى المؤدب قال له: «يا أحمر: إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعتك له واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن وعرفه

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام للدكتور عبد الله ناصح علوان (١ / ١٥١) ط. دار السلام.

الأخبار، وَرَوِّه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، ولا تمرن به ساعة وإلا وأنت مغتنم فائدة تقيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة».

– وقال عبد الملك بن مروان ينصح مؤدب ولده: «علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، واحملهم على الأخلاق الجميلة، وروهم الشعر يشجعوا وينجدوا، وجالس بهم أشراف الرجال، وجنبهم السفلة والخدم، فإنهم أسوأ الناس أدبًا، ووقرهم في العلانية وأنبهم في السر، واضربهم على الكذب، إن الكذب يدعو إلى الفجور، وإن الفجور يدعو إلى النار».

– وذكر الراغب الأصبهاني أن المنصور بعث إلى من في الحبس من بني أمية يقول لهم: «**ما أشد ما مر بكم في هذا الحبس؟ فقالوا: ما فقدنا من تربية أولادنا**»[١].

وإذا كان السلف يهتمون بالتربية مع أنهم كانوا يعيشون في أجواء إيمانية ينعمون بالتحاكم إلى شريعة الله عز وجل ويدعون إليها فكيف بالمسلمين اليوم وقد تحكم فيهم عدوهم، وحرموا من شريعة ربهم، وابتليت بلادهم بالمحن المتتابعة، والفتن المتنوعة، ورمتهم قوى الشر والشرك عن قوس واحدة، واجتمعت عليهم ظلمات بعضها فوق بعض، وانتشرت في بلادهم الأفكار العلمانية، وعشَّش في ديارهم

---

(١) بتصرف من تربية الأولاد في الإسلام (١/ ١٤٣-١٤٤).

دعاة الإلحاد والإباحية، وساعدتهم وسائل الإعلام الخبيثة من الجرائد والمجلات والتلفاز والفيديو واستقبال البث المباشر في نشر الإباحية والفجور والتبرج والسفور، فأجهزوا على ما تبقى عند المسلمين من تعزز بالعقيدة وغيرة وحياء.

والدعاة إلى الله عز وجل أضعف من أن يواجهوا هذه الأمواج المتلاطمة والتيارات الجارفة، وهم مقهورون مضطهدون في أكثر بقاع الأرض، تلفق لهم التهم، ويزج بهم خلف الأسوار، ويضيق عليهم إذا أرادوا أن يتحركوا بدين الله عز وجل، ولدين الله عز وجل. فهذا على الصعيد العام، أما على صعيد الساحة الإسلامية فاختلاف الجماعات في الدعوة، وتربية الأفراد على التعصب لفكر الجماعات وقيادتها وإن كانت مخالفة لفكر السلف ومنهج السلف، وكذا ادعاء بعض الجماعات أنها الفرقة الناجية وأن باقي الجماعات عادية تصير إلى الهاوية والنار الحامية، والعجيب أيضًا أن هذا الاختلاف موجود فيمن ينتسبون إلى فكر أهل السنة والجماعة، ويعتقدون معتقدهم، فتجد في البلد الواحد سلفيات متعددة، لتعدد اللافتات والقيادات، وإن دل ذلك على شيء فأول ما يدل عليه الخلل التربوي في هذه الجماعات، فكان الواجب عليهم تربية الناس على الولاء لاعتقاد السلف، وفكر السلف، الولاء للجماعة التي أشار إليها النبي ﷺ حينما تكلم عن اختلاف الأمة، وأخبر أن الفرقة الناجية هي الجماعة، وفسر العلماء رواية الجماعة بالرواية الأخرى في قوله ﷺ: **(هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)**[١]. فالمقصود بالجماعة جماعة الصحابة قبل أن

---

(١) سيأتي تخريجه – إن شاء الله تعالى – ص٢٣ .

تظهر البدع والاختلاف كما قال مالك - رحمه الله -: لم يكن شيء من هذه الأهواء على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، وكذا من كان على معتقد الجماعة الأولى وفهمها للكتاب والسنة، فمهما كان ولاء الأفراد للجماعة الأولى ومعتقدهم، تألفت القلوب، واجتمعت على الحق، وحصل مقصود الشرع في قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وكذا قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة:٢].

فما أحوج المسلمين في هذا الواقع الأليم إلى تلمس خطى رسول الله ﷺ في التربية، ودراسة أخلاق ومؤهلات الجيل الأول الذي رباه رسول الله ﷺ، وإعداد منهج تربوي قائم على العلم والدراسة المتأنية، والاهتداء بأنوار القرآن والسنة النبوية والسيرة المصطفوية، ثم وضع هذا المنهج وهذه الدراسة موضع التنفيذ، فتخرج من السطور إلى الصدور، ومن الصدور إلى الدور، فتصير واقعًا عمليًا يقصد به تربية جيل على نمط الجيل الأول.

قال إمام دار الهجرة مالك - رحمه الله -: «لا يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أمر أولها».

فلا يتصور عز حقيقي للإسلام وخلافة إسلامية على منهاج النبوة حتى يتضح هذا الفكر، وينتشر هذا الفهم، وهو أن يربى الناس على اعتقاد السلف، وكذا فهمهم للكتاب والسنة، وما كانوا عليه من أخلاق سنية وآداب مصطفوية، ومن تصور أن الإسلام يمكن أن ترتفع

رايته بأناس ما تربوا تربية صحيحة، أو كانوا على عقائد تخالف اعتقاد السلف، وفكر يخالف فكر السلف فهو واهم، فالشيعة أقاموا دولة ولكنها دولة شيعية وليست إسلامية وإن أطلقوا عليها إسلامية، فالإسلام في جانب وأصحاب العقائد الخربة في جانب، وكذا من تصور أن الإسلام يقوم بالمهاترات السياسية والمسالك البرلمانية، أو بضربة خاطفة يراق فيها دم شخص أو أشخاص وفي غفلة من الزمن يمكن للإسلام وأهله، فكل ذلك من أحلام اليقظة ومما لا يشهد له شرع ولا واقع. وقد تعددت التجارب المعاصرة التي تبين فساد تلك المسالك والمهالك، كتجربة الجزائر وتركيا، وبعض الجماعات الإسلامية في مصر، فلم يبق إلا أن يرجع الناس إلى هدي الأنبياء وسنتهم وطريقتهم في تعبيد الناس لله عز وجل، والارتقاء بهم وبأحوالهم وأخلاقهم حتى يراهم الله عز وجل أهلاً للتمكين، فيملكهم البلاد ورقاب العباد.

فهذا جهد المقل في التربية على منهج أهل السنة والجماعة، وقد استفدت فيه من كتب وأبحاث علماء ومفكرين نحسبهم مخلصين، أدلى كل واحد منهم بدلوه، منهم من بين أهمية التربية لإعادة بناء الدولة الإسلامية، ومنهم من لفت النظر إلى أهمية دراسة الجيل الفاضل جيل الصحابة ﷺ، ومنهم من بين مؤهلاتهم وأخلاقهم التي جعلتهم سادة وقادة، ومنهم من بين أهمية التربية العقائدية أو الفكرية. وقد كان جهد الباحث في تأليف هذه الأقوال، وتنسيق هذه الأزهار، حتى اكتمل البنيان، واتضح الحق لكل ذي عينين.

وقد اشتمل البحث على سبعة فصول رئيسية:

الفصل الأول: في بيان معنى التربية وأهميتها لإعادة بناء دولة الإسلام.

الفصل الثاني: في بيان المؤهلات التي أهلت الصحابة رضي الله عنهم لقيادة البشرية.

الفصل الثالث: في بيان أنواع التربية المطلوبة لبناء جيل على نمط الجيل الأول جيل الصحابة رضي الله عنهم.

ويشتمل على:

١– التربية العقائدية.

٢– التربية الفكرية.

٣– التربية الإيمانية.

٤– التربية الخلقية.

٥– التربية على الآداب النبوية والسنن المصطفوية.

٦– التربية الجسدية الجهادية.

٧– التربية على العفة والاستعفاف.

الفصل الرابع: الهدي القرآني في التربية.

الفصل الخامس: الهدي النبوي في التربية.

الفصل السادس: وسائل التربية.

ويشتمل على:

١- التربية بالقدوة.

٢- التربية بالموعظة.

٣- التربية بالقصة الهادفة.

٤- التربية بالأمثال.

٥- التربية بدراسة التراجم.

الفصل السابع: المنهج التطبيقي العملي التربوي.

ويشتمل على:

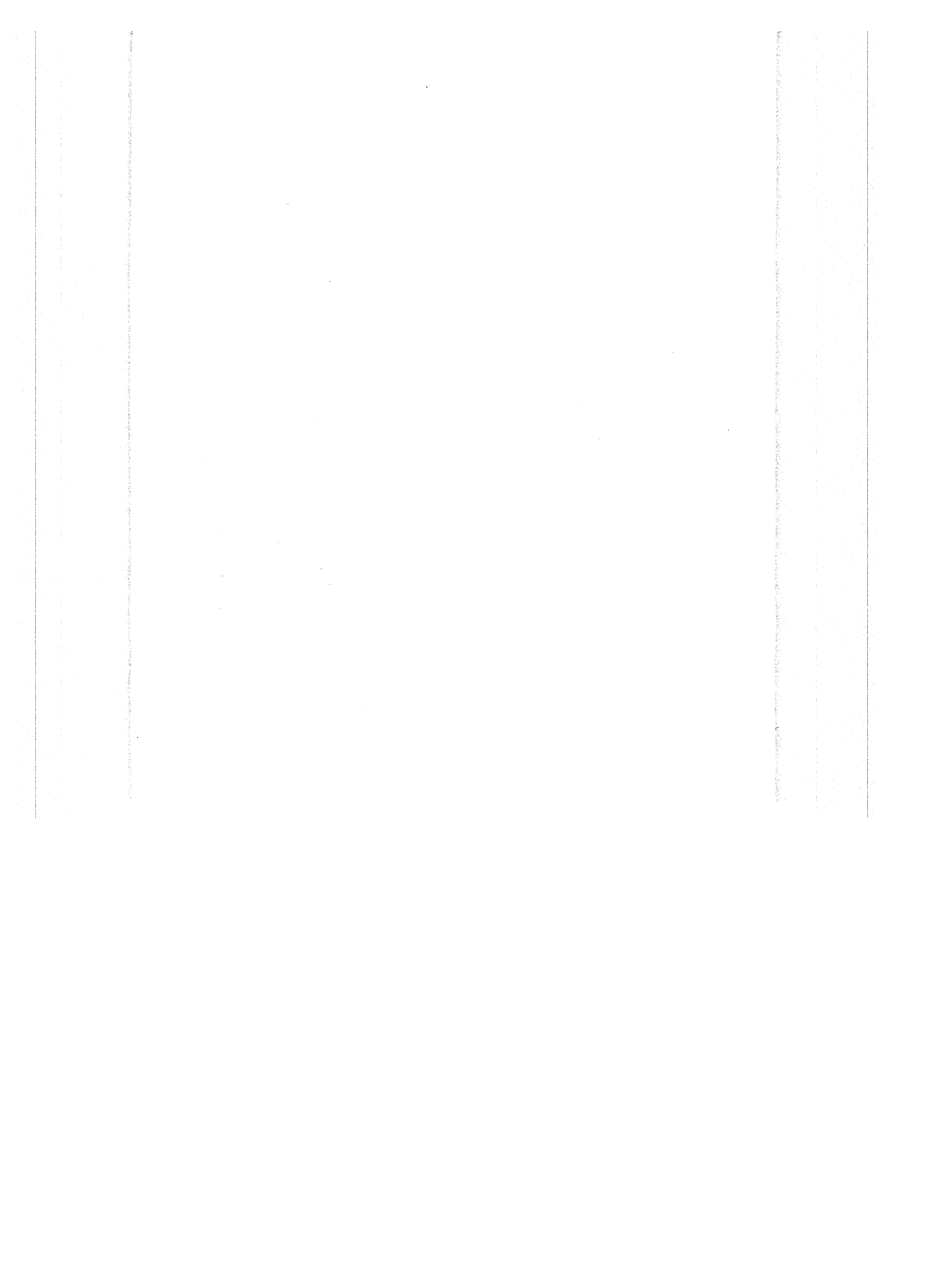
١- اختيار المربين.

٢- منهج التربية الفردية.

٣- منهج التربية في وحدة النشاط (المسجد).

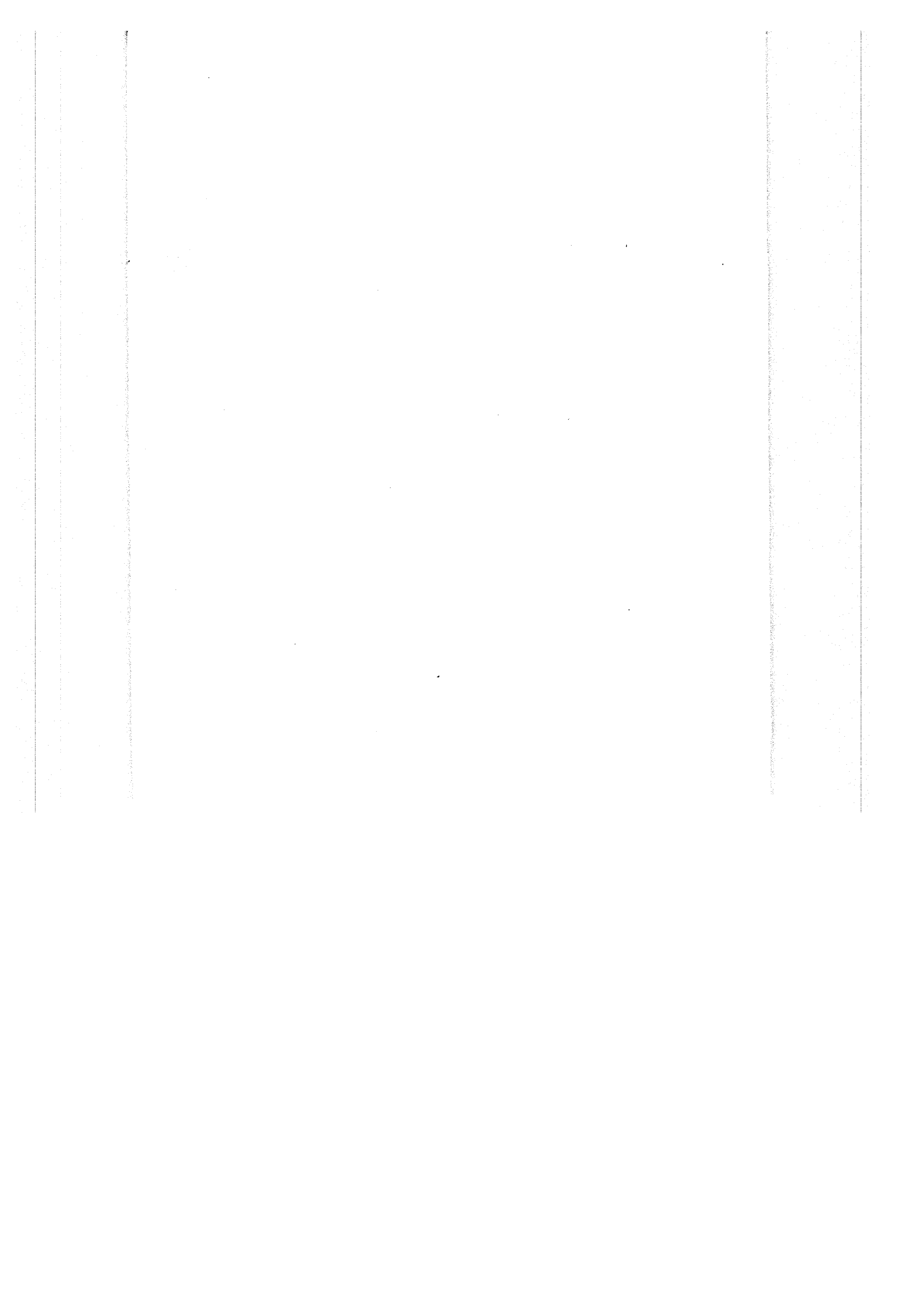
٤- المنهج العام للتربية.

وقد بذلت فى هذا البحث قصارى جهدي، وأذبت فيه عقلي وفكري، ورجوت أن أكون فيه متبعاً لا مبتدعاً، وأسميته [التربية على منهج أهل السنة والجماعة]. وأرجو أن يسد ثغرة فى المكتبة الإسلامية، وأن ينفع الله به شباب الصحوة وسائر البرية والله أسأل أن يوفقنا وسائر الإخوان للعمل بما فيه، ونصيحة مخالفيه، وصلوات الله وسلامه على المبعوث رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، ومنهجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الفصل الأول

معنى
التربية وأهميتها



الفصل الأول

معنى التربية وأهميتها

تعريف التربية:

يقول الأستاذ محمد رجاء حنفي عبد المتجلي:

إن كلمة تربية مأخوذة من «ربا» يربو، بمعنى «نما» ينمو، أو «يزيد»، ومن معاني التربية: بلوغ الشيء كماله على وجه التدريج. ولم يعرف استخدام لفظ: «تربية» إلا في العصر الحديث، إذ كان العرب في القديم يستخدمون لفظ التأديب، وكانوا يطلقون على المعلم اسم المؤدب.

ولقد ورد مفهوم التربية بمعناها الحديث في القرآن الكريم في موضعين اثنين، **أحدهما:** في سورة الإسراء حيث يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً**﴾[الإسراء: ٢٤].

والثاني: في سورة الشعراء حيث يقول المولى سبحانه: ﴿**قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ**﴾[الشعراء: ١٨].

والتربية بوجه عام هي: تشكيل اتجاهات الأفراد وفق قيم معينة وإعانتهم على تكوين النظرة السليمة إلى الحياة، وهي تقترن بالتعليم الذي يصقل ملكات هؤلاء الأفراد وينمي مواهبهم واستعداداتهم في شتى المجالات.

والتربية الإسلامية معناها: تنمية ملكات الفرد وقدراته على اختلافها من أجل بلوغ كماله العقلي والنفسي. وتنمية قدرات المجتمع كذلك من أجل تحقيق تطور أفضل، وتقدم اجتماعي أكمل. وفق المبادئ والقيم الإسلامية.

ولا يجوز في الإسلام أن تقتصر التربية على تلقين الإنسان المعلومات، أو اكتساب المهارات الفنية، وإنما تهدف التربية إلى أبعد من ذلك، فهي تهدف إلى تهذيب الأخلاق، سواء في ذلك أخلاق الأفراد، أو أخلاق المجتمع، ومن الواضح أن الاقتصار على العلم المادي وحده ينحرف بالفرد والمجتمعات إلى شرور لا نهاية لها، فلا بد إذاً من أن يقترن التعليم بالأخلاق[١].

ونقل أبو الحسن عن جون ديوتي هذا التعريف العام للتربية:

إن التربية ليست إلا وسيلة راقية مهذبة لدعم العقيدة التي يؤمن بها شعب أو بلد، وتغذيتها بالإقناع الفكري القائم على الثقة والاعتزاز، وتسليحها بالدلائل العلمية إذا احتيج إليها، ووسيلة كريمة لتخليد هذه العقيدة، ونقلها سليمة إلى الأجيال القادمة، وإن أفضل تفسير لنظام التربية هو: أنها السعي الحثيث المتواصل الذي يقوم به الآباء والمربون لإنشاء أبنائهم على الإيمان بالعقيدة التي يؤمنون بها، والنظرة التي ينظرون بها إلى الحياة والكون، وتربيتهم تربية تمكنهم من أن

(١) مجلة الوعي الإسلامي عدد (٩٣) جمادى الأولى (١٤٠٩) مقال بعنوان «قيم هي أساس التربية» (٣٠، ٣١) بتصرف.

يكونوا ورثة الذي ورثه هؤلاء الآباء عن أجدادهم، مع الصلاحية الكافية للتقدم والتوسع في هذه الثروة[١].

ويقول كذلك:

«هي وظيفة اجتماعية، بمعنى أنها من ضرورات كل جماعة إنسانية تريد أن تحافظ على بقائها، وتتطور في سلم الرقي، وأنها يجب أن تتم في ضوء فلسفة اجتماعية، وفي مواقف اجتماعية كذلك، وأن الغاية من التربية هي إنشاء مواطنين يقومون بالوظائف الاجتماعية، التي منها الإبقاء على الثقافة، وترقيتها، وإصلاح عيوبها»[٢].

فهذا مفهوم عام للتربية عند جميع الأمم والشعوب.

أما التربية بالمنظور الإسلامي السلفي الذي نقصده ونهدف إليه وننادي به فهي: العمل على بناء أفراد بعقائد سلفية صحيحة، ومفاهيم إسلامية نقية، وأخلاق زكية، وأعمال مرضية، وتجهيزهم كلبنات لإعادة بناء المجتمع المسلم.

وبتعبير أخصر وأقرب: تربية جيل على نمط الصحابة ﷺ، يعتقدون معتقدهم، وينتهجون نهجهم في فهم الكتاب والسنة، ويقتدون بهم في أخلاقهم وأعمالهم وسمتهم.

---

(١) محاضرات الجامعة الإسلامية (٣٦٦-٣٦٧) من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الموسم الثقافي (١٣٩٦-١٣٩٧).

(٢) محاضرات الجامعة الإسلامية (٣٧٩-٣٨٠) بتصرف.

فالواجب على الآباء والمربين أن يتأسوا برسول الله ﷺ ويلتمسوا خطاه ويقفوا أثره ! كيف ربى النبي ﷺ الصحابة الكرام؟ وكيف سقاهم القرآن؟ وكيف رقاهم في درجات الإيمان؟ حتى صاروا ببركة تربيته ﷺ قممًا شامخة في سماء المجد والرفعة، وضربوا أروع الأمثلة في الصبر والجهاد والجلاد، والصيام، والقيام، والدعوة لدين الملك العلام، وكانوا على أعلى مستوى من الإخلاص، والمحبة لله عز وجل، والتوكل عليه، والرضا به، فبارك الله عز وجل في دعوتهم، وسارت شمس الإسلام ببركة جهادهم وصبرهم تنير المعروف من الأرض، من مات منهم أفضى إلى موعود الله عَزَّ وجل له بالجنة، ومن عاش صار أميراً على قطر من الأقطار، أو مصر من الأمصار، وبقيت الأمة ببركة جهادهم وبذلهم منيعة الجانب، شامخة البنيان، راسخة الأركان، حتى خرج الناس عن منهاجهم، وظهرت البدع والفرق، وتسابق الناس إلى الدينار والدرهم، وضعفت الأحوال الإيمانية، والمفاهيم السلفية حتى صارت بلاد المسلمين كلأ مباحًا لكل ظالم ومعتد، ومرتعًا خصبًا لترويج الأفكار الهدامة، ونشر المذاهب الباطلة، فعشش في بلاد المسلمين دعاة العلمانية والإباحية، وصار المسلم الملتزم بدين الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ أذل من الشاة، فصار الإسلام غريبًا في بلاده، مطارداً من أهله وعشيرته، وهل بعد هذه الغربة غربة، وبعد هذا البلاء بلاء؟ فإلى الله المشتكى. فلا شك في أن التربية هي الخطوة الأولى لبناء المجتمع المسلم وإقامة الخلافة الإسلامية التي بشر بعودتها رسول الله ﷺ والتي حين تعود لا بد أن تكون على منهاج النبوة كما أخبر النبي ﷺ.

فعلى الدعاة إلى الله عز وجل أن يبدأوا بما بدأ به النبي ﷺ حتى ينتهوا بإذن الله إلى ما انتهى إليه من عز الإسلام والمسلمين، فما فارق النبي ﷺ الدنيا حتى قرت عينه بنصر الله والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجًا وعم الإسلام جزيرة العرب، ثم فتح الصحابة ﷺ ومن تبعهم بإحسان البلاد شرقًا وغربًا، وشمالاً وجنوبًا حتى استنار أكثر المعروف من الأرض بدعوة الإسلام، وسارت دعوته سير الشمس في الأقطار، وسيبلغ بإذن الله دينه ما بلغ الليل والنهار، فلا بد من معرفة المؤهلات التي أهلت الصحابة ﷺ للنصر والتمكين، والوصول إلى رضا رب العالمين، ثم تربية أجيال الصحوة على ما تربى عليه الصحابة الكرام، وقبل البدء بهذه التربية ينبغي أن يعلم أن الصحابة كانوا في زمن لم تكن فيه بدع وأهواء، وإنما ظهرت البدع في آخر عصرهم، مصداقًا لقول النبي ﷺ : **«فَإِنَّه مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا...»**[1]، وقوله ﷺ : **«وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة...»**[2].

وقال ابن مسعود ﷺ : «إنكم قد أصبحتم اليوم على الفطرة، وإنكم ستحدثون ويحدث لكم، فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالعهد الأول».

---

(١) رواه أحمد (٤ / ١٢٦، ١٢٧)، وأبو داود (١٢ / ٣٥٩، ٣٦٠ عون) السنة، والترمذي (١٠ / ١٤٤ عارضة) العلم، وابن ماجة (٤٢) المقدمة، والدارمي (١ / ٤٤، ٤٥) اتباع السنة. وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٢) رواه أبو داود (٤٥٧٢) السنة، والدارمي (٢ / ٤٢١)، وأحمد (٤ / ١٠٢)، والحاكم (١ / ١٢٨)، وقال الحاكم: هذه أسانيد تقوم بها الحجة في تصحيح هذا الحديث ووافقه الذهبي، وحسنه الحافظ، وصححه شيخ الإسلام، والشاطبي، وهو في الصحيحة رقم (٢٠٤).

وقال الإمام مالك - رحمه الله -: «لم يكن شيء من هذه الأهواء على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان».

وإنما ظهرت البدع في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد نادى علماء العصر وأئمة المسلمين بما يسمى «**بالتصفية والتربية**» فلا بد من صحوة علمية مترشدة، تقوم بتصفية التراث الإسلامي مما علق به عبر القرون والأجيال، ثم تربية أجيال الصحوة على الإسلام الخالي من البدع والخرافات والمذاهب الباطلة والأقوال العاطلة على الهَدْي النبوي المبارك وعلى منهج السلف رضي الله عنهم.

قال العلامة الألباني بركة الزمان وحسنة الأيام: لا بد اليوم من أجل استئناف الحياة الإسلامية من القيام بهذين الواجبين: **التصفية والتربية**.

وأردت بالأول منهما أموراً: **الأول**: تصفية العقيدة الإسلامية مما هو غريب عنها كالشرك، وجحد الصفات الإلهية، ورد الأحاديث الصحيحة لتعلقها بالعقيدة الصحيحة ونحوها.

الثاني: تصفية الفكر الإسلامي من الاجتهادات الخاطئة المخالفة للكتاب والسنة.

الثالث: تصفية كتب التفسير والفقه والرقائق وغيرها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات المنكرة.

وأما الواجب الآخر فأريد به تربية الجيل الناشئ على هذا الإسلام المصفى من كل ما ذكر، تربية إسلامية صحيحة منذ نعومة أظفاره، دون أي تأثر بالتربية الغربية الكافرة.

ومما لا شك فيه أن تحقيق هذين الواجبين يتطلب جهودًا جبارة متعاونة من الجماعات الإسلامية المخلصة التي يهمها حقًا إقامة المجتمع الإسلامي المنشود، كل في مجاله واختصاصه، وأما بقاؤنا راضين عن أوضاعنا، متفاخرين بكثرة عددنا، متواكلين على فضل ربنا، أو خروج المهدي، ونزول عيسى صائحين بأن الإسلام دستورنا، جازمين بأننا سنقيم دولتنا، فذلك محال بل وضلال، لمخالفته لسنة الله الكونية والشرعية معاً، قال تعالى:

﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [الرعد: ١١].

وقال ﷺ: (**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم**)(١).

ومن أجل ذلك قال أحد الدعاة الإسلاميين اليوم: «أقيموا دولة الإسلام في قلوبهم تقم لكم في أرضكم» وهذا كلام جميل جداً، ولكن أجمل منه العمل به.

﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [التوبة: ١٠٥].

إلى أن قال - رحمه الله -: ثم لا بد لك مع ذلك من العناية بتربية نفسك، ومن يلوذ بك، تربية إسلامية صحيحة، لا شرقية ولا غربية، وتخليقها بالأخلاق المحمدية، وبذلك يصلح قلبك، وتسعد في الدنيا

---

(١) رواه أبو داود (٣٤٤٥) البيوع وصححه الألباني بطرقه في الصحيحة رقم (١١).

قبل الآخرة، وما الأمر الهام الذي ينشده دعاة الإسلام إلا أثر من آثار هذه السعادة، إذا أخذوا بأسبابها التي تجمعها كلمتا: التصفية والتربية.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤] (١).

فهذا شيخ المحدثين وقد عاصر الدعوات المعاصرة في أكثر من نصف قرن من الزمان: يرى أن السبيل إلى عودة الإسلام لا بد أن يكون على أساس تنقية الإسلام أولاً من العقائد الباطلة، والآراء الفقهية التي لا تستند على دليل صحيح من الشرع المتين، ثم تربية شباب الصحوة على هذا الدين الخالص والإسلام المصفى، فنكون بذلك قد اهتدينا بهدي النبي ﷺ والصحابة الكرام.

وهذا الداعية الإسلامي سيد قطب - رحمه الله - يقول في مذكراته التي نشرت بعنوان: «لماذا أعدموني» وهي من آخر ما كتبه الأستاذ:

خرجت من السجن وفي تصوري صورة خاصة محددة لما يجب أن تكون عليه أية حركة إسلامية في الظروف العالمية والمحلية الحاضرة، وصورة لخطوات المنهج يجب أن تسير عليه، وقد ذكرت ذلك من قبل، ولكني ألخصه هنا قبل البدء في التفصيلات:

١ - المجتمعات البشرية بجملتها قد بعدت عن فهم وإدراك معنى الإسلام ذاته، ولم تبتعد فقط عن الأخلاق الإسلامية والنظام الإسلامي والشريعة الإسلامية، وإذن فأية حركة إسلامية يجب أن تبدأ من إعادة تفهيم الناس معنى الإسلام، ومدلول العقيدة، وهي أن تكون العبودية

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة (مقدمة المجلد الثاني).

لله وحده، سواء في الاعتقاد بألوهيته وحده، أو تقديم الشعائر التعبدية له وحده، أو الخضوع والتحاكم إلى نظامه وشريعته وحدها.

٢ ـ الذين يستجيبون لهذا الفهم يؤخذ في تربيتهم على الأخلاق الإسلامية، وفي توعيتهم بدراسة الحركة الإسلامية، وتاريخها، وخط سير الإسلام في التعامل مع كل المعسكرات والمجتمعات البشرية، والعقبات التي كانت في طريقه، والتي لا تزال تتزايد بشدة وبخاصة من المعسكرات الصهيونية والصليبية الاستعمارية.

٣ ـ لا يجوز البدء بأي تنظيم إلا بعد وصول الأفراد إلى درجة عالية من فهم العقيدة، ومن الأخذ بالخلق الإسلامي في السلوك والتعامل، ومن الوعي الذي تقدم ذكره.

٤ ـ ليست المطالبة بإقامة النظام الإسلامي وتحكيم الشريعة الإسلامية هي نقطة البدء، ولكن نقطة البدء هي نقل المجتمعات ذاتها حكامًا ومحكومين عن الطريق السالف إلى المفهومات الصحيحة، وتكوين قاعدة إن لم تشمل المجتمع كله فعلى الأقل تشمل عناصر وقطاعات تملك التوجيه والتأثير في اتجاه المجتمع كله إلى الرغبة والعمل على إقامة النظام الإسلامي، وتحكيم الشريعة الإسلامية.

٥ ـ وبالتالي لا يكون الوصول إلى إقامة النظام الإسلامي وتحكيم الشريعة الإسلامية عن طريق انقلاب في الحكم يجيء من أعلى، ولكن عن طريق تغيير في تصورات المجتمع كله، أو مجموعات كافية لتوجيه المجتمع كله في قيمه، وأخلاقه، والتزامه بالإسلام، يجعل تحكيم نظامه وشريعته فريضة لا بد منها في حسهم.

٦ – في الوقت ذاته تجب حماية هذه الحركة وهي سائرة في خطواتها، بحيث إذا اعتدى عليها وعلى أصحابها يرد الاعتداء (١).

وهذه الخطوات نوافقه عليها – رحمه الله – وهى لا تختلف كثيراً عن المنهج السلفي الذي يهدف إلى تغيير عقائد الناس، وتطهير قلوبهم وتعبيدهم لله عز وجل. فالمعركة الأولى مع النفوس كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[الرعد: ١١].

فإذا رآنا الله عز وجل أهلاً للتمكين يسر لنا أسباب التمكين، وَمَنَّ علينا به كما قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾[النور: ٥٥].

إلا أن البند السادس لا نوافقه عليه، وليس عليه دليل من كتاب أو سنة، ولعل هذا البند الأخير كان هو السبب في إخفاق دعوته، والتعجيل به – رحمه الله –.

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي – حفظه الله – في كتابه «الحل الإسلامي فريضة وضرورة»، وتحت عنوان «حتى تنجح الحركة الإسلامية»:

إنما تنجح الحركة الإسلامية في تحقيق الحل الإسلامي وإقامة المجتمع الإسلامي واستئناف حياة إسلامية إذا توفر لها أمور ثلاثة:

(١) نقلاً عن مذكراته التي نشرت بعنوان: «لماذا أعدموني» ص ٤٣، ٤٤.

١ - جيل مسلم:

الأمر الأول جيل مسلم تقوم الحركة على تكوينه تكوينًا إسلاميًا صحيحًا متكاملاً. يكون هذا الجيل بمثابة الدعائم أو الركائز للمجتمع الإسلامي المنتظر.

وإذا كان دعاة الاشتراكية يصرون على أن المجتمع الاشتراكي لا يبنيه إلا الاشتراكيون، فدعاة الإسلام أولى أن يقولوا: إن المجتمع المسلم لا يبنيه إلا الإسلاميون.

ولهذا لم يقم المجتمع الإسلامي والحكم في المدينة إلا بعد تكوين الجيل الإسلامي في مكة، وعلى مناكب هؤلاء ومن انضم إليهم من خيار الأنصار قامت الدولة المسلمة، ولقد سئل أحد الدعاة الإسلاميين يومًا: كيف يتصور حكم إسلامي راشد؟

فأجاب: بأحد طريقين: إما أن ينتقل الإيمان إلى قلوب الحاكمين وإما أن ينتقل الحكم إلى أيدي المؤمنين.

ولو أن الإيمان يسهل انتقاله إلى قلوب الحاكمين بالفعل لاختصرت الطريق اختصاراً، وكفى الله المؤمنين القتال.

ولكن يبدو أن هذا ليس أكثر من حلم لذيذ لا يمت إلى الواقع بصلة، فإن من شبَّ على شيء مات عليه، وهؤلاء الحكام قد شبُّوا وشاخوا على العلمانية، وتتلمذوا صغاراً وكباراً على الفكر الغربي بشقَّيه، فهيهات أن يولوا وجوههم شطر غيره، ولو كان هذا الغير هو دينهم الذي ورثوه عن آبائهم، والذي ارتضى الله لهم، وارتضوه نظريًا

لأنفسهم، فلم يبق إذن إلا الشطر الثاني، وهو أن ينتقل الحكم إلى أيدي المؤمنين، أيدي الجيل المسلم الذي آمن بالإسلام عقيدة وعبادة وخلقاً ورابطة ونظام حياة.

٢ - قاعدة جماهيرية إسلامية:

والأمر الثاني الذي يجب أن يتوافر للحركة الإسلامية الناجحة: وجود قاعدة جماهيرية لها من كافة طبقات الشعب، وذلك عن طريق رأي عام إسلامي يناصر الفكرة الإسلامية، ويحب دعاتها، ويكره أعداءها، ويحرص على انتصارها، فلا يكفي أبداً أن تربي الحركة جيلاً مسلماً مخلصاً لا يحس به الشعب ولا يعرفه ولا يتحمس له، لأنه في عزلة عنه، يكلمه من بعيد، وينظر إليه من فوق.

٣ - التغلب على المعوقات:

الأمر الثالث الذي يجب أن يتوافر لنجاح الحركة الإسلامية هو التغلب على المعوقات والموانع التي تقف حائلاً بينها وبين الوصول إلى أهدافها وغاياتها بكل سبيل، وإذ لا يكفي لقيام أمر أن تتحقق موجباته بل لا بد أن تنتفي معوقاته أيضاً، أو كما يقول أهل الأصول الفقهية: وجود المقتضي وانتفاء المانع.

ومن المعوقات من جهة الشعب: الجهل بالإسلام - اليأس من انتصار الحركة الإسلامية - الخوف من الاضطهاد المتكرر.

وهناك معوقات من جهة القوى المناوئة: مثل وجود نفوذ أجنبي قوي، وجود حكم عسكري علماني، وجود ظروف إقليمية أو دولية معاكسة.

وهناك معوقات من داخل الحركة منها :

اختلاف الكلمة، قال تعالى : ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ [الأنفال:٤٦]، ومنها حب الدنيا، وهو يفتح منافذ واسعة لشياطين الجن وشياطين الإنس، ينفذون منها إلى قلوب الدعاة، فيسيل لعابهم إلى المناصب، وتتطلع نفوسهم إلى المكاسب، ومنها حب الذات – وهو فرع من حب الدنيا أو جزء منه – ونعني به أن يحرص عضو الحركة على البروز والظهور، وألاً يعمل إلا في الصدارة أو الصفوف الأولى وأن يجري وراء بريق الشهرة والبحث عن الأضواء (١) .

ويقول الأستاذ محمد قطب:

استعرضنا فيما مضى بعض القضايا التي تدور في ساحة العمل الإسلامي ويجدر بنا في ختام هذا الفصل المتعلق بالصحوة الإسلامية أن نلخص المهمة الملقاة على عاتق الدعوة في هذه المرحلة من تاريخها :

إن الدعوة مكلفة بواجب تبليغي، وواجب تربوي، مقتدية في ذلك بالمنهج النبوي في فترة الدعوة الأولى بمكة.

فأما الواجب التبليغي حين تسنح الفرص بلقاء الدعوة مع الجماهير فهو تعليمهم ما جهلوه من حقيقة لا إله إلا الله، وارتباطها الوثيق بتحكيم شريعة الله، والتأكيد لهم بأن ما أصاب المسلمين في حاضرهم من الذل والهوان والضعف والتخلف وغلبة الأعداء عليهم إنما كان سببه تفريغ لا إله إلا الله من مضمونها الحقيقي، وجعله كلمة تتعلق باللسان فحسب، وأن هذا ليس هو الإسلام الذي أنزله الله.

---

(١) الحل الإسلامي فريضة وضرورة (١٩٧-٢٠٣) باختصار ط. مكتبة وهبة.

إنما الإسلام الذي يرضى الله عنه في الدنيا والآخرة هو نطق لا إله إلا الله محمد رسول الله، والعمل بمقتضاها، وتأدية الفرائض، وأن المسلمين لن يعودوا إلى التمكن في الأرض بأي مذهب من المذاهب، ولا أي منهج من المناهج المستوردة من الشرق أو الغرب، إنما بالرجوع الحق إلى الله أي عبادته وحده بلا شريك، سواء فيما يختص بالعقيدة، أو ما يختص بالشعائر التعبدية، أو ما يختص بتحكيم الله في كل أمر من الأمور، وأن استيراد المذاهب من الشرق والغرب خلال قرن من الزمان لم يزدهم إلا ضعفًا وهوانًا وذلة وضياعًا وبعداً عن التمكن والاستقرار.

وأما **الواجب التربوي**: فهو أخطر ما تقوم به الدعوة في الحقيقة، لأنه هو طريق الخلاص، وهو عمل دائب مستمر لا يتوقف مهما كانت الأحوال، في الشدة والرخاء سواء، في السعة وفي الضيق سواء.

والتربية المطلوبة – لإقامة القاعدة الإسلامية – تهدف إلى إخراج نماذج فذة، لا مجرد إخراج مسلمين عاديين، نماذج تكون كالأعمدة الراسية في البناء، لتحمل ثقل البناء فيما بعد.

وهذا يحتاج أولاً إلى عقيدة صافية لا غبش فيها ولا بدع ولا انحرافات، كعقيدة السلف الأول، خالية من كل ما علق بها خلال الأجيال من إضافات وانحرافات خرجت بها عن عقيدة التوحيد الخالصة الصافية، وكادت تردها وثنية جاهلية.

ويحتاج ثانيًا إلى إدراك واعٍ لمقتضيات هذه العقيدة، ومقتضياتها هي كل التكاليف وكل التوجيهات التي جاءت في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، ومن عظمة هذه التكاليف والتوجيهات، ومن

شمولها لكل جوانب النفس، وكل جوانب الحياة كانت عظمة هذا الدين، وعظمة الأمة التي حملت هذا الدين، وأنشأت به ذلك الواقع الضخم الذي شهده التاريخ.

ويحتاج ثالثًا إلى تربية تحول هذه العقيدة إلى حقيقة سلوكية قائمة في عالم الواقع، وهذه التربية تحتاج إلى ترسيخ معاني الألوهية وتعميقها حتى تصبح يقينًا قلبيًا يبني عليه سلوك واقعي، يقينًا لا يزلزله الابتلاء والشدة، ولا يزلزله الرخاء والسعة.

تحتاج إلى ترسيخ أخلاقيات لا إله إلا الله حتى تصبح حقيقة سلوكية تنبثق انبثاقًا من داخل النفس. وأخلاقيات لا إله إلا الله من السعة والشمول بحيث تشمل كل سلوك يقوم به الإنسان، فالأخوة من أخلاقيات لا إله إلا الله، والتكافل من أخلاقيات لا إله إلا الله، والجلد والصبر من أخلاقيات لا إله إلا الله، والشجاعة من أخلاقيات لا إله إلا الله، والنظام والانضباط من أخلاقيات لا إله إلا الله، ومعرفة الحق واتباعه من أخلاقيات لا إله إلا الله.

وتحتاج إلى الوعي السياسي بأحوال العالم المعاصرة، وأحوال المسلمين في ظروفهم الراهنة، ومكايد الأعداء ومؤامراتهم الدائمة ضد الإسلام، وتدسسهم إلى حياة المسلمين بالغزو الفكري وغيره من وسائل الحرب، وتحتاج إلى الوعي الحركي الذي لا يتعجل الخطى قبل أوانها، وفي الوقت نفسه لا يدع الفرصة تفلت منه دون أن يستفيد منها.

وتحتاج إلى موازنة في داخل الفرد وفي داخل الجماعة بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية، بحيث لا يكون الفرد مستبداً، ولا ناشزاً، ولا يكون في الوقت ذاته إمعة يساير المجموع إن أخطأ أو أصاب.

ولا تكون الجماعة مستبدة طاغية تسحق شخصية الفرد، ولا مفككة لا رابط لها ولا اتحاد، وتحتاج إلى وعي فقهي يعرف به الفرد ماذا يأتي وماذا يدع، ومتى يسمع ويطيع، ومتى يفضى به السمع والطاعة إلى الهلاك.

ومن أجل متطلبات هذه التربية وهى كثيرة وشاقة، وخاصة في أمة كادت تنسلخ من كل مقومات الإسلام، فلا ينبغي التعجيل في خطواتها، ولا ينبغي التعجيل في إدخال الجماهير في الدعوة على النطاق الواسع قبل أن يتيسر العدد الكافي من الدعاة والمربين الذين تربوا هم أنفسهم على المنهج الصحيح، والذين يستطيعون بدورهم أن يربوا على المنهج الصحيح، فهذا التعجيل لا يخدم الدعوة في شيء، إنما يعوقها في الحقيقة عن المسير[١].

ويقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق - حفظه الله - في كتابه: (خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية) .. وتحت عنوان (الطريق إلى بعث الأمة الإسلامية):

لا نستطيع أن نتصور أمة صالحة كاملة إلا بتصور جماعة لها عقيدة واحدة ومنهج واحد في الحياة، وبهذا تتحدد مقومات الأمة على النحو التالي:

الجماعة، العقيدة (الإيمان)، والمنهج (التشريع).

أما الأفراد المسلمون فهم كثير والحمد لله، فهم يعدون بمئات الملايين، ولكن حالهم فكما عرفت في الفصلين السابقين.

---

(١) واقعنا المعاصر ص(٥٢٢ - ٥٢٤).

وأما العقيدة الواحدة فموجودة باقية، ولكنها تحتاج إلى أمرين:

الأمر الأول: تخليصها مما علق بها عبر القرون من الانحراف والتأويل السخيف المشوه لحقيقتها والخرافة.

الأمر الثاني: نقلها من بين الآيات والأحاديث وبطون الكتب إلى الصدور.

وأما المنهج فموجود أيضًا باق إلى يوم القيامة، ولكنه يحتاج إلى أمرين أيضًا:

الأمر الأول: تنقية هذا المنهج من البدع والانحراف والتأويل.

الأمر الثاني: وضع هذا المنهج موضع التنفيذ.

وبهذا سيتحدد العمل في ثلاث دوائر أساسية. ولكنه سيتفرع إلى شعب كثيرة.

الدائرة الأولى: تحديد العقيدة الواحدة وتصفيتها من الشوائب.

الدائرة الثانية: تخليص الشريعة الإسلامية وتنقيتها من البدع والغلو والتفريط.

الدائرة الثالثة: تهيئة الفرد المسلم ليقبل العقيدة الواضحة والشريعة الغراء السمحة الكريمة[١].

وبعد، فهذه النقول الطيبة لجماعة من العلماء والمفكرين، وهم كما ترى من جماعات مختلفة من جماعات الدعوة الإسلامية، والجميع

---

(١) خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية.

يتفق على ضرورة التربية وأهميتها لإعادة بناء الإسلام، ورفع راية الملك العلام، اختلفت التعبيرات والتصورات، ولكنهم يتفقون على ضرورة التربية، والمخالف لهم ما خالفهم عن علم وهدى، ولكن عن عاطفة وهوى، واندفاع لا يستند إلى أدلة شرعية، أو حتى نظرة واقعية.

فالذين ينادون بتحكيم الشريعة مطالبون بتحكيم الشريعة في هذه القضية، كيف الطريق إلى عز الإسلام والمسلمين؟ وكيف الوصول إلى الهدف المنشود والوعد الموعود وهو انتصار الإسلام، ورفع راية الملك العلام؟

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

فالاقتداء والاهتداء برسول الله ﷺ واجب في كل الأحوال وفي جميع القضايا، والتماس البركة والعزة في هديه المبارك ﷺ مما ينبغي أن يتقرر في قلب كل مسلم مخلص يرجو الله واليوم الآخر.

كيف بدأ النبي ﷺ الدعوة المباركة، وكيف انتقل بها من مرحلة إلى مرحلة، حتى جاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجًا؟

هل بدأ بالصدام المسلح مع الجاهلية الجهلاء في فترة الاستضعاف وقلة العدد والعُدَد؟ أو أُمِرَ هو وأصحابه الكرام بكف الأيدي وإقامة

الصلاة وإيتاء الزكاة، أي بالتربية بالعبادات والصبر على الضيم، وتحمل الإيذاء والاستهزاء والتعذيب والتكذيب؟

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾ [النساء: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾ [الجاثية: ١٤].

قال ابن كثير - رحمه الله-:

«أي يصفحوا عنهم، ويتحملوا الأذى منهم، وهذا كان في ابتداء الإسلام، أمروا أن يصبروا على أذى المشركين، ليكون ذلك لتأليف قلوبهم، ثم لما أصروا على العناد شرع الله للمؤمنين الجلاد والجهاد.

وقال النبي ﷺ لما استأذنه أهل يثرب ليلة العقبة أن يميلوا على أهل منى فيقتلوهم: (**إنا لم نؤمر بذلك**)»[1].

قال سيد قطب - رحمه الله -:

«ربما كان ذلك لأن الفترة المكية كانت فترة تربية وإعداد في بيئة معينة، لقوم معينين، وسط ظروف معينة، ومن أهداف التربية والإعداد

---

(١) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٤/١٤٩) ط. دار المعرفة، بيروت. والحديث رواه ابن هشام عن ابن إسحاق (٢/١٨٧-١٩٢) مطولاً، وعنه أحمد (٣/٤٦٠-٤٦٣)، والطبراني (١٩/٨٧-٩١)، وأورده الهيثمي في المجمع (٦/٤٢-٤٦)، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وهو مدلس وقد صرح بالسماع، وقال الألباني: هذا سند صحيح، وصححه ابن حبان كما في الفتح (٧/٤٥٧).

في مثل هذه البيئة تربية نفس الفرد العربي على الصبر على ما لا يصبر عليه عادة من ضيم يقع على شخصه، أو على من يلوذون به.

وربما كان ذلك أيضًا لما يعلمه الله من أن كثيرين من المعاندين الذين يفتنون أوائل المسلمين عن دينهم ويعذبونهم ويؤذونهم هم بأنفسهم سيكونون من جند الإسلام المخلصين، بل من قادته، ألم يكن عمر بن الخطاب من بين أولئك.

وربما كان أيضًا لقلة عدد المسلمين حينذاك، وانحصارهم في مكة حيث لم تبلغ الدعوة إلى بقية الجزيرة»[١].

فقد كانت الفترة المكية فترة تربية وإعداد ونشر للدعوة، وتحمل لكل ألوان الأذى حتى صار الصحابة ببركة تربية النبي ﷺ ملوك الدنيا وقادتها وسادتها، كما أنهم كذلك ملوك في الآخرة.

فلا ينبغي على القائمين على جماعات الدعوة للدين المتين أن يهملوا التربية إهمالاً، وأن يعتبروا الوقت الذي يبذل والجهد الذي ينفق في التربية لا فائدة فيه ولا عائدة، استعجالاً للنتائج، ورغبة في سرعة قطف الثمر، فيسلكون من الطرائق ما يخالف ما مضى عليه سيد الخلائق، ومن نظر بعين الإنصاف متجنبًا الاعتساف يرى أن مثل هذه الطرائق لا تثمر إلا الفتن والويلات والانتكاسات للدعوة الإسلامية، وكذلك لهؤلاء الأفراد الذين لم يأخذوا حظهم من التربية، وقد ينحرف كثير منهم عن الصراط المستقيم، لأنه يعرض نفسه لما لا طاقة له به من البلاء، نسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة.

---

(١) في ظلال القرآن (٣/١٤٣٨).

قال الإمام مالك - رحمه الله -:

« لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أمر أولها ».

وصلح أمر أولها بالتربية الصحيحة، بالصيام والقيام وتلاوة القرآن كما صلح باتباع سنة النبي ﷺ والدخول في شرائع الإسلام كافة، كما صلح كذلك بالبذل والإنفاق والجهاد والجلاد.

قال الأستاذ محمد قطب - حفظه الله -:

« ويجب أن يكون واضحًا في أذهاننا كذلك أن المعركة بين الإسلام وأعدائه ليست معركة سريعة خاطفة، ولكنها معركة طويلة شاقة قد تستغرق عدة أجيال، فينبغي للقاعدة التي تنشأ للقيام بهذا العبء الضخم أن تُربى لتكون طويلة النفس، شديدة الصبر، عميقة الإيمان بالله، عميقة التوكل عليه، مستعدة لما يتطلبه أمرها من المعاناة، قادرة على أن تبذل من نفسها: من جهدها ومالها ودمها وفكرها ما يحتاج إليه إزالة الغربة التي ألمت بالإسلام اليوم، واستنقاذ الغثاء من دوامة السيل، واستثباته مرة أخرى راسيًا في الأرض عميق الجذور، وحين تكون القاعدة بالمواصفات المطلوبة، بالحجم المناسب سيغير الله للناس لأنهم يكونون قد وفوا بالشرط.

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور: ٥٥] »(١).

---

(١) واقعنا المعاصر ص (٥٢٥).

فعزة هذه الأمة ورفعتها ومجدها في التماس هدي النبي ﷺ، ونصر شريعته.

قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

ونصر الله عز وجل في تحليل حلاله، وتحريم حرامه، وإقامة دينه، وإحياء شريعته بالدعوة إليها، والبذل في سبيل رفعتها.

وانظر رحمك الله كيف خالفت طائفة من الجيش أمر رسول الله ﷺ فكانت الهزيمة يوم أُحد، قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

فكيف إذا خالفت الجماعة كلها هدي رسول الله ﷺ، وقدموا قول علمائهم ومفتيهم على هديه المبارك، وزين لهم الشيطان سوء أعمالهم.

وكانت الهزيمة كذلك في بداية غزوة حنين لتعليق قلوب بعض مسلمة الفتح بالأسباب، وضعف التوكل وانتظار الخير والنصر من الواحد الوهاب، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

فهذه تربية عالية لهذه الأمة الغالية، تنقية مستمرة للقلوب والجوارح مما يسخط الله عز وجل ويخالف شريعته، حتى تخلص توحيدها لله عز وجل وتسلم قيادتها لرسوله ﷺ.

أرسل عمر بن الخطاب ﷺ كتاباً إلى سعد بن أبي وقاص ﷺ فقال: «لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ﷺ، وصاحب رسول الله ﷺ، فإن الله عز وجل لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكنه يمحو السيئ بالحسن، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت النبي ﷺ عليه منذ بعث إلى أن فارقنا فالزمه، فإنه الأمر. هذه عظتي إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك، وكنت من الخاسرين».

ونختم بهذه الكلمة في أهمية التربية الجادة للأستاذ محمد بن عبد الله الدويش، يقول - حفظه الله -: «والأمة تعيش هذا العصر واقعاً فريداً، ومرحلة ليست على مثال سابق، فعصور التردِّي التي مرت بالأمة لم تصل إلى حد أن تسقط الحواجز بين الأمة وأعدائها، فتصبح تابعة لهم، مستوردة لمناهجهم، ولقد كان الحكم في تلك المراحل للشريعة رغم الانحرافات في التطبيق، ولم تجرؤ الأمة على استبدال الشريعة وتنحيتها إلا في هذا العصر.

ومناهج التربية والإعلام الوافدة إنما هي نتاج هذا العصر، والتي ساهمت مساهمة فعالة في تشكيل وصياغة عقلية مسلم هذا العصر ليخرج خليطًا متنافرًا من ثقافات الشرق والغرب.

فالمشكلة التي تعانيها الأمة اليوم أبعد من أن تكون مجرد انتشار لمعاصٍ ظاهرة، وإخلالاً بأحكام ظاهرة، وإن كان ما نذكر نذير خطر.

ومن ثم فالمشروع الإسلامي ما لم يأخذ على عاتقه إعادة صياغة متكاملة للفرد والمجتمعات الإسلامية في التفكير والتصورات والقيم والموازين فهو عاجز عن تحقيق الهدف الذي يسعى إليه.

وهذا التغيير وإعادة الصياغة يحتاجان جهداً تربوياً ضخماً لتربية أدوات ووسائل التغيير من الدعاة والمصلحين، وجهداً لتربية مجتمعات المسلمين، ومن ثم كانت التربية الجادة ضرورة.

وحيث تتبوء التربية هذه المنزلة، وترقى إلى هذه الأهمية فهى تحتاج إلى المزيد من الدراسات والبحوث، ومراجعة الأوضاع القائمة وغربلتها.

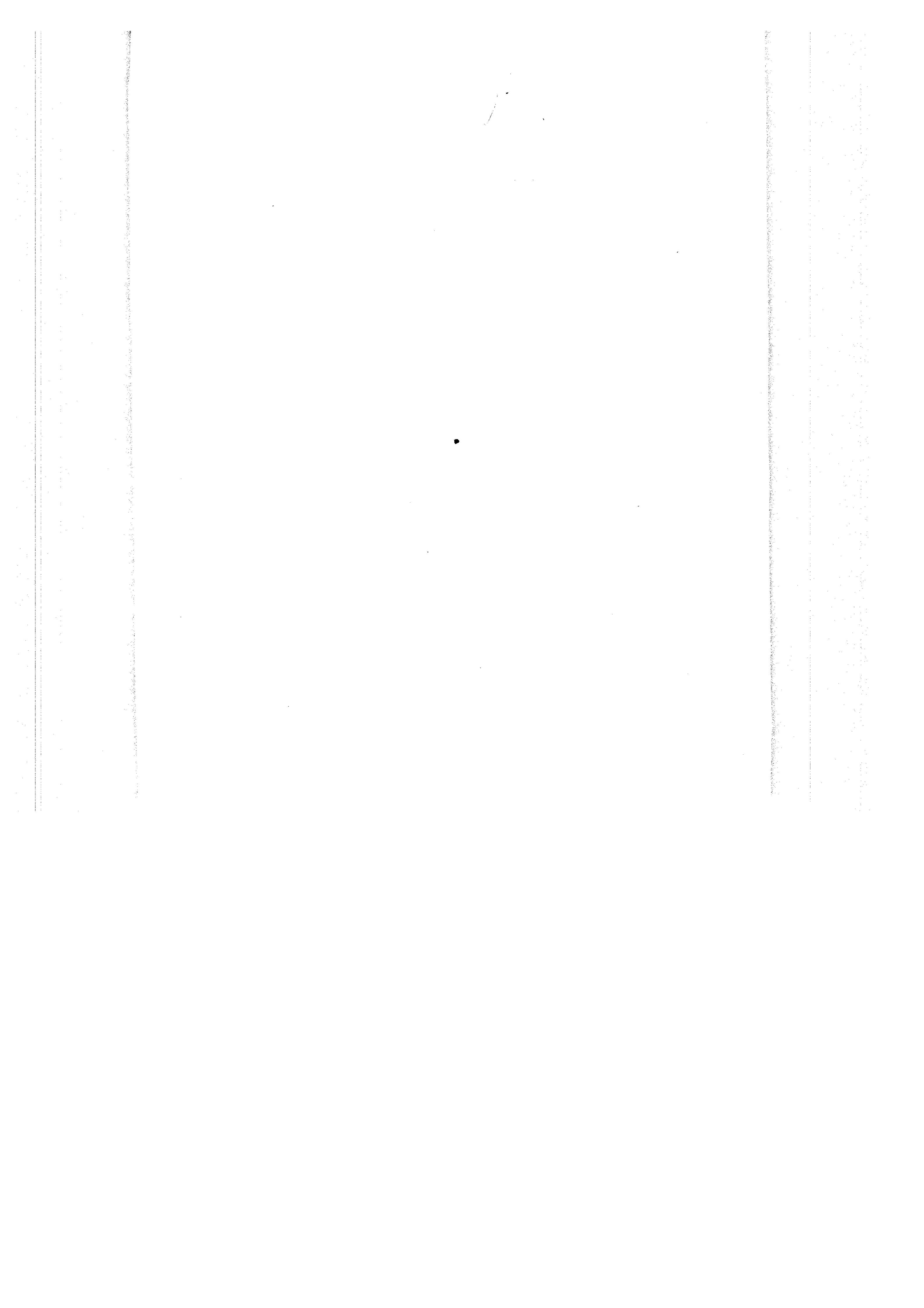
أما حين تكون مرحلة العواطف الجياشة، والحماسة المتأججة نهاية المطاف، ومنتهى الغايات، فتصاغ البرامج التربوية للوصول لها وتحقيقها فحسب فلن تحقق الدعوة غايتها»[١].

* * *

(١) التربية الجادة ضرورة لمحمد بن عبد الله الدويش (٧ – ٨) ط. دار الصفوة.

الفصل الثاني

المؤهلات التي أهلت الصحابة رضي الله عنهم لقيادة البشرية



الفصل الثاني

المؤهلات التي أهلت الصحابة رضي الله عنهم لقيادة البشرية

قبل أن نتكلم عن أنواع التربية المطلوبة، لا بد لنا من وقفة مع هذا الجيل الفاضل الذي رباه رسول الله ﷺ، فكانوا على أعلى مستوى من الدين والخلق والإخلاص والتفاني في سبيل نصرة هذا الدين، فاستحقوا بذلك رضا الله عز وجل ورضا رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**) (١).

وقال ﷺ: (**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ. فَإِذَا ذَهَبَت النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ. وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي. فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ. وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي. فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**) (٢).

---

(١) رواه البخاري (٥/٢٥٨، ٢٥٩) الشهادات ح ٢٦٥١، ومسلم (١٦/٨٧، ٨٨) الفضائل ح ٢٥٣٥.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٣١)، وأحمد (٤/٣٩٨، ٣٩٩).

وقال ﷺ : (لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآني وصاحب من صاحبني)(١).

بل جعل الله عز وجل الصحابة الكرام مفاتيح نصر وعز ورفعة للمسلمين، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ فَيَقُولُونَ: فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ)(٢).

يقول الأستاذ محمد قطب تحت عنوان: (كيف تربت الجماعة الأولى؟):

«الجماعة الأولى هي الجماعة التي رباها رسول الله ﷺ على عينه، ومنحها كل جهده ورعايته وتوجيهه، والتي اجتمعت لها عناصر التربية الإسلامية بكل تمامها على يد أعظم مرب في التاريخ.

وإنها لهى المقصودة أولاً بقوله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران: ١١٠].

ولقد كانت خير أمة في تاريخ البشرية كله، وحوت من ألوان العظمة في كل اتجاه ما لم يجتمع لأمة أخرى في التاريخ بهذه الوفرة

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (١٢/١٧٨)، وقال الحافظ في الفتح: إسناده حسن (٧/٥).

(٢) رواه البخاري (٧/٢) ح ٣٦٤٩ فضائل الصحابة، ومسلم (١٦٣/٨٣،٨٤) ح ٢٥٣٢ فضائل الصحابة، وأحمد (٣/٧).

وذلك التعدد وتلك الآفاق : عظمات حربية، وعظمات سياسية وإدارية، وعظمات نفسية، وعظمات روحية، وعظمات من كل نوع، وفي فترة وجيزة من عمر الزمن كأنها لحظات.

وتلك الأمة هي التي وضعت أسس التاريخ الإسلامي المقبل كله، ورسخت قواعده في الأرض، بما قدمت من مبادئ وقيم ومثل عليا مطبقة في عالم الواقع بصورة فريدة في التاريخ، صورة يلتقي فيها المثل والواقع، فلا تكاد تعرف من روعة العظمة المذهلة أيهما الواقع وأيهما المثال.

ولقد كان ذلك هو الثمرة الجنية للتربية الإسلامية في أعلى صورها على يد أعظم مرب في التاريخ »(١).

إلى أن قال :

« ونحن مطالبون بدراسة وافية لتلك الجماعة الأولى، تفسر لنا أسرار عظمتها وبلوغها ما بلغت إليه من قمم شامخة في كل مجال خاضته »(٢).

قال الدكتور السيد محمد نوح :

« شهدت كتب التاريخ والسير أن الصحابة رضي الله عنهم ورضوا عنه عاشوا أعلى مراتب النصر والتأييد . ومن عجب أن هذا النصر وذلك التأييد ما كان في ميدان دون ميدان، وإنما كان في كل الميادين، وفي كل الأوقات.

---

(١) منهج التربية الإسلامية (٢ / ١٥) ط. دار الشروق.

(٢) منهج التربية الإسلامية (٢ / ١٥).

لقد عاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع النفس الأمارة بالسوء، فألجموها بلجام الاستقامة والتقوى، وحملوها على التوبة والإنابة إلى الله إن هي تمردت على هذا اللجام.

وعاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع العدو في أرض المعركة، بحيث تمت لهم الغلبة على هذا العدو في أقصر وقت، وبأقل التكاليف.

وعاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع شيطان الجن القاعد لهم بكل طريق، والمتربص بهم الدوائر، فلم يسمعوا لوساوسه وإغراءاته، ولم يعبأوا بكيده، وعاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع الدنيا ببريقها وزخارفها وزهرتها، فلم تفتنهم، ولم تشغلهم لحظة عن ربهم.

وهكذا كان النصر حليفهم، وكان التأييد ديدنهم أينما حَلُّوا وكيفما حَلُّوا.

وما من شك من أن الناصر والمؤيد لهؤلاء الأصحاب في كل وقت وفي كل ميدان إنما هو الله الذي بيده مقاليد السموات والأرض، والذي إذا قضى أمرًا يقول له كن فيكون.

بيد أن هذا النصر وذلك التأييد من الله لهم لم يكن عن محاباة أو مجاملة، فإنه سبحانه لا يحابي ولا يجامل، وإنما كان بسبب من هؤلاء، لقد تحلى هؤلاء بطائفة من الأخلاق كانت هي السبب في نزول النصر عليهم، والتأييد لهم من ربهم، وتبقى هذه الطائفة من الأخلاق إلى قيام الساعة سببًا في حصول النصر والتأييد من الله شريطة الالتزام والتحلي بها»[1].

---

(١) من أخلاق النصر في جيل الصحابة (٩-١٠) ط. دار ابن حزم.

وقال الأستاذ سيد قطب رحمه الله:

« هناك ظاهرة تاريخية ينبغي أن يقف أمامها أصحاب الدعوة الإسلامية في كل زمان وفي كل مكان، وأن يقفوا أمامها طويلاً، ذلك أنها ذات أثر حاسم في منهج الدعوة واتجاهها.

لقد خرَّجت هذه الدعوة جيلاً من الناس – جيل الصحابة رضوان الله عليهم – جيلاً مميزًا في تاريخ الإسلام كله، وفي تاريخ البشرية جميعه، ثم لم تعد تخرج هذا الطراز مرة أخرى ... نعم وجد أفراد من ذلك الطراز على مدار التاريخ، ولكن لم يحدث قط أن تجمع مثل ذلك العدد الضخم في مكان واحد، كما وقع في الفترة الأولى من حياة هذه الدعوة.

هذه ظاهرة واضحة واقعة ذات مدلول ينبغي الوقوف أمامه طويلاً لعلنا نهتدي إلى سره »(١).

ولا شك في أن رقي الصحابة الإيماني كان ببركة تربية رسول الله ﷺ لهم، وتزكية نفوسهم بالطاعات، وتعويدهم على الخضوع لرب الأرض والسموات. وقد كان ﷺ يفيض عليهم مما أفض الله على قلبه من الأحوال الإيمانية والمعارف الربانية.

قال أبو الحسن الندوي:

« ولم يزل الرسول ﷺ يربيهم تربية دقيقة عميقة، ولم يزل القرآن يسمو بنفوسهم ويزكي جمرة قلوبهم، ولم تزل مجالس الرسول ﷺ تزيدهم رسوخًا في الدين، وعزوفًا عن الشهوات، وتفانيًا في سبيل

---

(١) معالم في الطريق (١٤) ط. دار الشروق.

المرضاة وحنينًا إلى الجنة، وحرصًا على العلم، وفقهًا في الدين، ومحاسبة للنفس، يطيعون الرسول في المنشط والمكره، وينفرون في سبيل الله خفافًا وثقالاً، قد خرجوا مع الرسول ﷺ للقتال سبعًا وعشرين مرة في عشر سنين، وخرجوا بأمره لقتال العدو أكثر من مائة مرة، فهان عليهم التخلي عن الدنيا، وهانت عليهم رزيئة أولادهم في نفوسهم، ونزلت الآيات بكثير مما لم يألفوه ولم يتعودوه، وبكل ما يشق على النفوس إتيانه في المال والنفس والولد والعشيرة، فنشطوا، وخفوا لامتثال أمرها، وانحلت العقدة الكبيرة - عقدة الشرك والكفر - فانحلت العقد كلها، وجاهدهم الرسول ﷺ جهاده الأول فلم يحتج إلى جهاد مستأنف لكل أمر ونهي، وانتصر الإسلام على الجاهلية في المعركة الأولى، فكان النصر حليفه في كل معركة، وقد دخلوا في السلم كافة بقلوبهم وجوارحهم وأرواحهم كافة، لا يشاقون الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى، ولا يجدون في أنفسهم حرجًا مما قضى، ولا يكون لهم خيرة من بعد ما أمر أو نهى، حدثوا الرسول ﷺ عما اختانوا أنفسهم، وعرضوا أجسامهم للعذاب الشديد إذا فرطت منهم زلة استوجبت الحد، نزل تحريم الخمر والكئوس المتدفقة على راحاتهم، فحال أمر الله بينها وبين الشفاه المتلمظة والأكباد المتقدة، وكسرت دنان الخمر فسالت في سكك المدينة.

حتى إذا خرج حظ الشيطان من نفوسهم، بل خرج حظ نفوسهم من نفوسهم، وأنصفوا من أنفسهم إنصافهم من غيرهم، وأصبحوا في الدنيا رجال الآخرة، وفي اليوم رجال الغد، لا تجزعهم مصيبة، ولا تبطرهم نعمة، ولا يشغلهم فقر، ولا يطغيهم غنى، ولا تليهيهم تجارة،

ولا تسحقهم قوة، ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، وأصبحوا للناس القسطاس المستقيم، قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين، وطَّأ لهم أكناف الأرض وأصبحوا عصمة للبشرية ووقاية للعالم، وداعية إلى دين الله، واستخلفهم الرسول ﷺ في عمله، ولحق بالرفيق الأعلى، قرير العين من أمته ورسالته »[١].

فلا شك في أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا خير أمة أخرجت للناس، وإن كان الراجح في قوله عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] أنها عامة في أمة محمد ﷺ، إلا أن الصحابة رضي الله عنهم هم خير هذا الخير، فالواجب على الدعاة والمربين أن يدرسوا المؤهلات التي أهلت الصحابة رضي الله عنهم لتبوأ أعلى المنازل، والوصول إلى أعلى الدرجات في الدنيا والآخرة، حتى يجعلوا خصائصهم ومؤهلاتهم نصب أعينهم، وهم يقومون بواجب تربية أجيال الصحوة الإسلامية، فغاية المربين إنشاء جيل على نمط الصحابة رضي الله عنهم في عقيدتهم، وفهمهم للكتاب والسنة، وطاعتهم لله عز وجل ولرسوله ﷺ، وزهدهم في الدنيا ورغبتهم في الآخرة، وبذلهم في الله عز وجل طلبًا لمرضاته، ورغبة في إعزاز دينه، ونشر رسالة رسوله ﷺ، **وهذه جملة من هذه المؤهلات التي أهَّلت الصحابة رضي الله عنهم لقيادة البشرية على سبيل الاختصار لا الحصر:**

١ - تعظيمهم لأمر الله عز وجل وأمر رسوله ﷺ :

كان الصحابة رضي الله عنهم يسارعون إلى تنفيذ أوامر الله عز وجل وأوامر

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (١٢٥-١٢٧) ط. وقفية الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية.

رسوله ﷺ عملاً بقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠]، وقوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، فهذه زينب بنت جحش رضي الله عنها يخطبها رسول الله ﷺ لفتاه زيد بن حارثة، وحين يفاتحها في ذلك تأبى وتقول: لست بناكحته. فيقول رسول الله ﷺ: **(بل فانكحيه)** قالت: يا رسول الله أؤامر نفسي. فبينما هما يتحدثان إذا بالمولى سبحانه وتعالى ينزل هذه الآية على رسوله ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾

[الأحزاب: ٣٦].

فتقول: قد رضيته لي يا رسول الله منكحًا؟ فيقول: **(نعم)**، فتقول: إذن لا أعصي رسول الله ﷺ قد أنكحته نفسي[١].

وهذا عقبة بن الحارث يتزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز فتأتيه امرأة فتقول: إني قد أرضعت عقبة والتي تزوج، فيقول لها عقبة: ما أعلم أنك أرضعتني ولا أخبرتني، ثم يركب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فيسأله رسول الله ﷺ: **(كيف وقد قيل؟)**، فيفارقها عقبة وتنكح زوجًا غيره[٢].

---

(١) تفسير الطبري (١٠/٢/٩) ط. دار المعرفة بيروت.

(٢) رواه البخاري (١/٢٢٢).

ولما سقط مسطح بن أثاثة مع من سقط في حادثة الإفك، واتهام أم المؤمنين رضي الله عنها بالزنا من صفوان بن المعطل شق ذلك على أبي بكر وأهله وقال: هذا أمر لم نتهم به في الجاهلية أفبعد إذ أعزنا الله بالإسلام نتهم به؟ وحلف أن لا ينفع مسطحًا بنافعة أبدًا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

وسمعها أبو بكر فقال: بلى والله يا ربنا إنا لنحب أن تغفر لنا. وعاد له بما كان يصنع(١).

ومن ذلك موقف الصحابة الكرام رضي الله عنهم واستجابتهم لأمر الله عز وجل وأمر رسوله ﷺ وخروجهم إلى حمراء الأسد الغد من يوم أحد، وقد دعاهم رسول الله ﷺ للخروج فخرجوا على ما بهم من جراح وألم، تعظيمًا لأمر الله عز وجل، وأمر رسوله ﷺ، وسجل الله عز وجل لهم هذا الموقف في كتابه الخالد، ونزل قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٤].

---

(١) رواه البخاري (٨/٣٤٦) التفسير: سورة النور مطولاً في قصة الإفك.

٢ - صدقهم ﷺ في إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم:

وقد وصف الله عز وجل المهاجرين الكرام بالصدق، فقال تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ [الحشر:٨]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة:١١٩]، ونزل فيهم ﷺ قوله تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾

[الأحزاب:٢٣].

عن أنس ﷺ قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد. قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أمثاله ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾[١].

---

(١) رواه البخاري: الجهاد والسير، ح ٢٨٠٦، ومسلم (١٣/ ٤٧، ٤٨) الإمارة، والترمذي (١٢/ ٨٠، ٨١ عارضة) التفسير.

وعن شداد بن الهاد ﵁ أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه، ثم قال أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي ﷺ سبيًا فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي ﷺ فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: قسمته لك. قال: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى ها هنا - وأشار إلى حلقه - بسهم فأموت فأدخل الجنة. فقال: إن تصدق الله يصدقك. فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو فأُتي به النبي ﷺ يحمل قد أصابه السهم حيث أشار فقال النبي ﷺ: **(أهو هو؟)** قالوا: نعم. قال: **(صدق الله فصدقه)**.

ثم كفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: **(اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقتل شهيداً، أنا شهيد على ذلك)**(١).

٣- زهدهم في الدنيا ورغبتهم في الآخرة:

والزهد هو الرغبة عن الشيء لاستقلاله واستحقاره والرغبة فيما هو خير منه، وإنما ينشأ الزهد لليقين بالتفاوت بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً**﴾ [النساء:٧٧]، وإنما سبق الصحابة ﵃ بقوة يقينهم بالآخرة الباقية وزهدهم في الدنيا الفانية. قال عبد الله بن مسعود ﵁ للتابعين:

---

(١) رواه النسائي (٤ / ٦٠، ٦١) الجنائز، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي رقم (١٨٤٥).

« لأنتم أكثر عملاً من أصحاب رسول الله ﷺ ولكنهم كانوا خيراً منكم، كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة ».

فكان في التابعين من هو أكثر قياماً وصياماً وعبادة من الصحابة رضي الله عنهم ، ولكن الصحابة سبقوا بأحوالهم الإيمانية من الزهد، واليقين، وصدق التوكل على الله عز وجل، ولا شك في أن الصحابة رضي الله عنهم تعلموا الزهد من رسول الله ﷺ فقد كان النبي ﷺ يَمُرُّ عَلَيْهِ الهِلاَلُ ثُمَّ الهِلاَلُ ثُمَّ الهِلاَلُ، ثَلاثَةُ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، ولاَ يُوقَدُ فِي بَيْتٍ مِنْ أَبْيَاتِه نَارٌ[(١)] .

وعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساءً ملبداً، وإزاراً غليظاً، فقالت: قبض رسول الله ﷺ في هذين.

وعن عائشة رضي الله عنها: (إنما كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه أدماً حشوه ليفاً)[(٢)] .

وهذا عمر رضي الله عنه وهو خليفة المسلمين يرقع ثوبه، فعن أنس رضي الله عنه قال: « رأيت عمر وهو يومئذ أمير المؤمنين، وقد رقع بين كتفيه برقاع ثلاث لبد بعضها على بعض ».

وعن عروة قال: دخل عمر بن الخطاب على أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فإذا هو مضجع على طنفسة رحله، متوسد الحقيبة. فقال له عمر: ألا اتخذت ما اتخذ أصحابك.

فقال: يا أمير المؤمنين هذا يبلغني المقيل.

---

(١) رواه البخاري (١١ / ٢٨٣) الرقاق، ومسلم (٨ / ١٠٧، ١٠٨) الزهد.

(٢) رواه البخاري (١١ / ٢٨٢) الرقاق، ومسلم (١٤ / ٥٧) اللباس.

وقال معمر في حديثه: لما قدم عمر الشام تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: أين أخي؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة. قالوا: الآن يأتيك. فلما أتاه نزل فاعتنقه ثم دخل عليه بيته فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله[١].

٤- شجاعتهم النادرة واستهانتهم بالحياة الدنيا:

قال أبو الحسن الندوي:

ولقد بعث الإيمان في قلوب المسلمين شجاعة خارقة للعادة، وحنينًا غريبًا إلى الجنة، واستهانة نادرة بالحياة، تمثلوا الآخرة وتجلت لهم الجنة بنعمائها كأنهم يرونها رأي العين، فطاروا إليها طيران حمام الزاجل لا يلوي على شيء[٢].

قال رسول الله ﷺ يوم بدر: **(قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض)**. قال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: **(نعم)**. قال: بخ بخ. فقال رسول الله ﷺ: **(ما يحملك على قولك بخ بخ؟)** قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: **(فإنك من أهلها)**، فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل[٣].

---

(١) حلية الأولياء (١/ ١٠١).

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (١٣٥).

(٣) رواه مسلم (١٣/ ٦٨،٦٩) الإمارة.

وعن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري قال: سمعت أبي ﷺ وهو بحضرة العدو يقول: قال رسول الله ﷺ: (**إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف**). فقام رجل رث الهيئة فقال: يا أبا موسى أأنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم.

فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب حتى قتل[١].

وفي يوم اليمامة أغلقت بنو حنيفة أنصار مسيلمة الكذاب الباب عليهم، وأحاط بهم الصحابة، فقال البراء بن مالك: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة. فاحتملوه فوق الجحف ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها. فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه، ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها وأبوابها يقتلون من فيها من المرتدة من أهل اليمامة حتى خلصوا إلى مسليمة لعنه الله.

قال الذهبي: بلغنا أن البراء يوم حرب مسيلمة الكذاب أمر أصحابه أن يحتملوه على ترس على أسنة رماحهم، ويلقوه في الحديقة، فاقتحم عليهم وشد عليهم وقاتل حتى افتتح باب الحديقة. فجرح يومئذ بضعة وثمانين جرحاً، ولذلك قام خالد بن الوليد عليه شهراً يداوي جراحه[٢].

---

(١) رواه مسلم (١٣/ ٦٩، ٧٠) الإمارة.

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ١٩٦).

٥- قطع حبال الجاهلية وموالاة الله عز وجل ورسوله ﷺ والمؤمنين:

قال الدكتور السيد محمد نوح:

(وكان الواحد من الصحابة بمجرد أن يدخل في الإسلام يجتهد كل الاجتهاد أن يقطع حبال الجاهلية، وأن يخلع على باب هذا الدين كل ماضيه، بما فيه من سوءات وظلمات، انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿ **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [المجادلة: ٢٢])[١].

هذا عبد الله بن أبي بن سلول يبلغه أن رسول الله ﷺ يمر بأبيه وهو في ظل أطم فيقول: غبر علينا ابن أبي كبشة. فيأتي النبي ﷺ فيقول: يا رسول الله والذي أكرمك لئن شئت لأتيتك برأسه فيرد عليه النبي ﷺ قائلاً: (**لا، ولكن بر أباك، وأحسن صحبته**)[٢].

وهذا حنظلة بن أبي عامر يستأذن رسول الله ﷺ في قتل أبيه لما آذى الرسول ﷺ والمسلمين فينهاه النبي ﷺ عن ذلك[٣].

---

(١) من أخلاق النصر في جيل الصحابة (٥٢).

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٠٨) وقال: رواه البزار ورجاله ثقات، والأطم: المكان المرتفع.

(٣) ذكره الحافظ في الإصابة (١/ ٣٦٠) وقال: رواه ابن شاهين بإسناد حسن.

وكان أبو عزيز بن عمير بن هشام أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى (يوم بدر)، قال أبو عزيز: مر بي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني فقال: شد يدك به إن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك. فقال أبو عزيز: يا أخي هذه وصاتك بي؟ فقال له مصعب: إنه أخي دونك.

فسألت أمه عن أعلى ما فُدي به قرشي، فقيل لها: أربعة آلاف درهم فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها[١].

وقتل أبو عبيدة بن الجراح يوم بدر أباه، حيث تعرض له أبوه يريد أن يقتله ويتحاشاه أبو عبيدة، فلما أصر أبوه على قتله تمكن منه أبو عبيدة فقتله.

٦- استهانتهم بزخارف الدنيا وزينتها الجوفاء:

وقد بين الله عز وجل أن الكفار هم الذين يغترون بزينة الدنيا وزخرفها، فقال تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [البقرة:٢١٢]، وقال تعالى: ﴿ **وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [الزخرف:٣٣-٣٥]، وقال النبي ﷺ: **(لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء)**[٢].

---

(١) باختصار من سيرة ابن هشام مع الروض الأنف (٣ / ٥٤) ط. الكليات الأزهرية.

(٢) رواه الترمذي (٩ / ١٩٨) الزهد، وقال: هذا حديث صحيح غريب، وأخرجه الحاكم (٤ / ٣٠٦) من طريق آخر وقال: صحيح الإسناد. ورده الذهبي بقوله: (زكريا ضعفوه). قال الألباني: والصواب أن الحديث صحيح لغيره، فإن له شواهد تقويه. انظر الصحيحة وقم (٩٤٣).

فعلم الصحابة رضي الله عنهم حقارة الدنيا، وزيف زخارفها فاستهانوا بها فلم تبهرهم الأضواء، ولم تشغلهم الشهوات.

أرسل سعد قبل القادسية ربعي بن عامر رسولاً إلى رستم قائد الجيوش الفارسية، وأميرهم فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق والزرابي الحرير، وأظهر اليواقيت واللآلئ الثمينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربعي بثياب صفيقة وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل عليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه. فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها. فقال له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام[1].

٧- حرصهم على الاجتماع والوحدة ونبذ الخلاف:

كان الصحابة رضي الله عنهم من أحرص الناس على أسباب الرفعة والنصر والعزة، ولا شك في أن من أسباب النصر والرفعة والعزة الوحدة والاجتماع ونبذ الفرقة والخلاف، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦].

---

(١) قصة ربعي ابن عامر رواها الطبري في تاريخه (٣/ ٥٢٠) ط. دار المعارف.

أخرج عبد الرزاق في المصنف من حديث قتادة أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان صدراً من خلافته كانوا يصلون بمكة ومنى ركعتين، ثم إن عثمان صلاها أربعًا، فبلغ ذلك ابن مسعود فاسترجع، ثم قام فصلى أربعًا. فقيل له: استرجعت ثم صليت أربعًا؟ قال: الخلاف شر[1].

وأخرج أحمد في المسند عن رجل قال: كنا قد حملنا لأبي ذر رضي الله عنه شيئًا نريد أن نعطيه إياه، فأتينا الربذة، فسألنا عنه فلم نجده، قيل: استأذن في الحج فأذن له، فأتيناه بالبلدة - وهي منى - فبينما نحن عنده إذ قيل له إن عثمان صلى أربعًا، فاشتد ذلك عليه، وقال قولاً شديداً. وقال صليت مع رسول الله ﷺ فصلى ركعتين، وصليت مع أبي بكر وعمر، ثم قام أبو ذر رضي الله عنه فصلى أربعاً. فقيل: عبت على أمير المؤمنين شيئًا لم تصنعه؟ قال: الخلاف أشد، إن رسول الله ﷺ خطبنا فقال: **(إنه كائن بعدي سلطان فلا تذلوه، فمن أراد أن يذله فقد خلع ربقة الإسلام..)** الحديث[2].

ومن ذلك ما جاء عن علي رضي الله عنه قال: اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف، حتى يكون للناس جماعة، أو أموت كما مات أصحابي.
وسأل ابن الكواء عليًا رضي الله عنه عن السنة والبدعة وعن الجماعة والفرقة.

---

(١) رواه أبو داود (١٩٤٤عون) المناسك، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم (١٧٢٦).

(٢) رواه أحمد (٥/٦٥) وذكره الهيثمي في المجمع (٥/٢١٦) وعزاه إلى أحمد وقال: فيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات.

فقال: يا ابن الكواء حفظت المسألة فافهم الجواب: السنة والله سنة محمد ﷺ والبدعة ما فارقها والجماعة - والله - مجامعة أهل الحق والفرقة مجامعة أهل الباطل وإن كثروا.

٨- مسارعتهم ﷺ إلى التوبة والانابة إن بدرت منهم معصية:

قال أبو حسن الندوي:

(وكان هذا الإيمان مدرسة خلقية، وتربية نفسية تملي على صاحبها الفضائل الخلقية من صرامة إرادة، وقوة نفس ومحاسبتها والإنصاف منها، وكان أقوى وازع عرفه تاريخ الأخلاق وعلم النفس عن الزلات الخلقية والسقطات البشرية، حتى إذا جمحت السورة البهيمية في حين من الأحيان وسقط الإنسان سقطة، وكان ذلك حيث لا تراقبه عين، ولا تتناوله يد القانون، تحول هذا الإيمان نفسًا لَوَّامَةً عنيفة، ووخزًا لازعًا للضمير، وخيالاً مروعًا لا يرتاح معه صاحبه حتى يعترف بذنبه أمام القانون، ويعرض نفسه للعقوبة الشديدة، ويتحملها مطمئنًا مرتاحًا، تفاديًا من سخط الله وعقوبة الآخرة)[١].

كما في قصة ماعز الذي أقر عند رسول الله ﷺ على نفسه بالزنا فأمر بإقامة الحد عليه، ثم أتت الغامدية تقر على نفسها كذلك.

وربط أبو لبابة بن عبد المنذر نفسه في سارية من سواري المسجد، لما أحس بأنه قد خان الله عز وجل ورسوله ﷺ حتى نزلت براءته.

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (١٣٠، ١٣١).

وكذا الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك بغير عذر، فاعترفوا بين يدي رسول الله ﷺ، وما تعللوا بالأباطيل والكذب كما فعل المنافقون، وأمر النبي ﷺ بمقاطعتهم حتى مر عليهم خمسون ليلة، ثم نزلت براءتهم من السماء، فقد كان الصحابة ﷺ من أسرع الناس إلى التوبة والإنابة والاعتراف بالذنب، كما أنهم دائمًا أسرع الناس إلى الخير فرضي الله عنهم أجمعين وجمعنا بهم في عليين.

٩- تكافلهم فيما بينهم ومواساتهم لإخوانهم:

كان الصحابة ﷺ بينهم من التكافل والتناصر والمواساة ما يضرب به المثل امتثالاً لقول الله عز وجل: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات: ١٠].

وقد مدح الله عز وجل الأنصار الكرام بقوله تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ [الحشر: ٩].

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قدم عبد الرحمن بن عوف فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك(١).

وعن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال: لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال سعد ابن الربيع لعبد الرحمن بن عوف إني أكثر الأنصار مالاً فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها. فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين

(١) رواه البخاري (٣١٧/٧) ح ٣٩٣٧ مناقب الأنصار.

سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع الغدو يومًا وبه أثر صفرة فقال النبي ﷺ: «مهيم؟» قال تزوجت. قال: كم سقت إليها. قال: نواة من ذهب أو وزن نواة من ذهب.. شك إبراهيم[1].

وهذا صحابي آخر آثر ضيف رسول الله ﷺ بطعامه وطعام أولاده: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء. فقال رسول الله ﷺ: **(من يضم أو يضيف هذا؟)**.

فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال أكرمي ضيف رسول الله ﷺ فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني. فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك ونوِّمي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيَّأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: «**ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما**» فأنزل الله ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[الحشر:٩][2].

وهذا أبو بكر الصديق يتزوج أسماء بنت عميس ليقوم على أمرها وأمر صغارها بعد مقتل جعفر بن أبي طالب الطيار في سرية مؤتة.

وهذا عبد الرحمن بن عوف يتزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط التي هاجرت من مكة وحدها سرًّا، ليقوم عليها فلا تضيع ولا تفتن.

---

(١) رواه البخاري (٧/ ١٤٠) ح ٣٧٨١ مناقب الأنصار.

(٢) رواه البخاري (٧/ ١٤٩) ح ٣٧٩٨ مناقب الأنصار.

١٠ – اتهامهم أنفسهم دائمًا بالتقصير :

قال تعالى : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥٣] .

هذا أبو بكر الصديق ﷺ يدخل عليه عمر يومًا وهو يجبذ لسانه، فيقول له : مه غفر الله لك . فيرد عليه أبو بكر قائلاً : إن هذا أوردني شر الموارد .

وهذا عمر بن الخطاب ﷺ لما طعن كان ولده عبد الله يضع رأسه في حجره فإذا أفاق قال لابنه : ضعه لا أم لك، ويلي، ويل أم عمر إن لم يغفر لي ربي .

وهذا عمران بن حصين يدخل عليه بعض أصحابه – وكان قد ابتلي في جسده – فيقول له نفر منهم : إنا لنبأس لك لما نرى فيك . قال : فلا تبتأس بما ترى، فإن ما ترى بذنب وما يعفو الله عنه أكثر، ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] .

وهذا أبو الدرداء يصيبه المرض ويدخل عليه أصحابه ليعودوه ويقولوا له : أي شيء تشتكي؟ فيقول : ذنوبي . فيقولون : أي شيء تشتهي فيقول : الجنة [١] .

وهذه أسماء بنت أبي بكر كانت تصدع فتضع يدها على رأسها وتقول : بذنبي وما يغفره الله أكثر .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (١٣ / ٣٠٩) الزهد، وأبو نعيم في الحلية (١ / ٢١٨) .

١١- أنفتهم واستعلاء الإيمان في قلوبهم:

قال أبو الحسن الندوي:

(وكأن هذا الإيمان بالله رفع رأسهم عاليًا، وأقام صفحة عنقهم فلن تنحني لغير الله أبدًا، لا لملك جبار ولا لحبر من الأحبار، ولا لرئيس ديني ولا دنيوي، وملأ قلوبهم وعيونهم بكبرياء الله تعالى وعظمته، فهانت وجوه الخلق وزخارف الدنيا ومظاهر العظمة والفخفخة، فإذا نظروا إلى الملوك وحشمتهم وما هم فيه من ترف وزينة فكأنهم ينظرون إلى صور ودُمَى قد كسيت ملابس الإنسان.

عن أبي موسى قال: انتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلسه وعمرو عن يمينه وعمارة عن يساره، والقسيسون جلوس سامطين، وقد قال له عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك. فلما انتهينا بَدَرَنَا مَنْ عنْده من القسيسين والرهبان أن اسجدوا للملك. فقال جعفر: لاَ نسجد إلا لله)[١].

١٢- تزكية نفوسهم بالعبادات:

ووعي الصحابة أيضًا ما قرره القرآن الكريم وطبقه الرسول الأمين محمد ﷺ عمليًا من أن تطهير وتزكية النفس هما أساس التغيير المنشود، وأساس النجاح والنصر المنشود في الدنيا، والفوز والفلاح في الآخرة.

إذا يقول عز وجل في كتابه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس:٩]. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى:١٤-١٥].

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (١٣٣).

وإذا يؤثر عن النبي ﷺ أنه كان يقوم من الليل حتى تورمت قدماه من طول القيام وكان يقول: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»(١).

وعى الصحابة ﷺ جميعًا ذلك كله فعملوا جاهدين على تمثله في أنفسهم بحيث صار واقعًا ملموسًا يتحرك في دنيا الناس، وتتحدث عنه كتب التراجم والسير والتواريخ، وتتناقله الأعداء في مجالسهم الخاصة والعامة وفي كتبهم.

هذا عمر بن الخطاب كان يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة، ثم يقول لهم: «الصلاة»، ويتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[طه:١٣٢].

وعن نافع قال: كان ابن عمر يحيي الليل صلاة ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فيقول: لا، فيعاود الصلاة ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فيقول: نعم. فيقعد ويستغفر ويدعو حتى يصبح.

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يختم القرآن في ثلاث، وواظب على ذلك وهو طاعن في السن حتى أدركته الوفاة.

١٣- ثباتهم أمام المطامع والشهوات:

لا شك في أن قوة الإيمان في قلب العبد تجعله يترفع عن شهوات الدنيا وأغراضها الدنية، فيصون العرض، ويؤدي الأمانة، ويعف عن الغلول.

---

(١) رواه النسائي (٧/ ٦١) عشرة النساء، وأحمد (٣/ ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥).

قال الطبري في تاريخه: لما هبط المسلمون المدائن، وجمعوا الأقباض، أقبل رجل بحق معه فدفعه إلى صاحب الأقباض. فقال والذين معه: ما رأينا مثل هذا قط، وما يعدله ما عندنا ولا يقاربه. فقالوا: هل أخذت منه شيئًا؟ فقال: أما والله لو لا الله ما أتيتكم به. فعرفوا أن للرجل شأنًا، فقالوا: من أنت؟ فقال: لا والله لا أخبركم لتحمدوني، ولا غيركم لتقرظوني، ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه. فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه، فسألهم عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس[1].

١٤- حرصهم على الأخذ بأسباب القوة:

عملاً بقول الله عز وجل: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾[الأنفال: ٦٠].

وقوله ﷺ: (**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**)[2]، وقوله ﷺ: (**ارموا بنو إسماعيل فإن أباكم كان راميًا..**)[3].

وصارع النبي ﷺ ركانة، وكان ركانة من أشد الناس لا يصرع، وسابق بين الخيل؟[4].

(١) تاريخ الطبري (٤/١٩) ط. دار المعارف.

(٢) رواه مسلم (١٦/٢١٥) القدر ح ٢٦٦٤، وابن ماجة (٦٤) المقدمة.

(٣) رواه البخاري (٦/١٠٦) الجهاد ح ٢٨٩٩، وأحمد (٤/٥٠).

(٤) رواه أبو داود (٤٠٦٠ عون) اللباس، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/١٨).

وكانت العضباء – ناقة النبي ﷺ – لا تسبق فجاء أعرابي على قعود له فسابقها فسبقها الأعرابي، وكان ذلك شق على أصحاب رسول الله ﷺ فقال: «**حق على الله ألا يرتفع شيء في الدنيا إلا وضعه**»[(١)] .

يقول سلمة بن الأكوع ﷺ : بينما نحن نسير وكان رجل من الأنصار لا يسبق شداً، فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة؟ هل من مسابق؟ فجعل يعيد ذلك. فقلت: أما تكرم كريمًا ولا تهاب شريفًا؟ قال: لا، إلا أن يكون رسول الله ﷺ . قال: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ذرني فلأسابق الرجل. قال: «**إن شئت**»، فسبقته إلى المدينة»[(٢)] .

وهذا سعد بن أبي وقاص كان يقول لبنيه: أي بني تعلموا الرماية فإنها خير لعبكم.

وكان عقبة بن عامر يختلف بين الغرضين وهو شيخ كبير فقيل له: تفعل هذا وأنت شيخ كبير يشق عليك؟ فقال: لولا كلام سمعته من رسول الله ﷺ لم أُعانيه. فقيل: وما ذاك؟ قال: (**من عَلِمَ الرمي ثم تركه فليس مِنَّا**) وفي رواية: (**فقد عصى**)[(٣)] .

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح أن علِّم غلمانك العوم ومقاتلتكم الرمي.

---

(١) رواه البخاري (٦ / ٨٦) الجهاد والسير ح ٢٨٧٢ .

(٢) رواه أحمد (٦ / ٣٩،٢٦٤)، ومسلم ح ١٨٠٧ الجهاد والسير.

(٣) رواه مسلم (١٣ / ٩٦) الإمارة ح ١٩١٩ .

فكانوا يختلفون في الأغراض، فجاء سهم غرب فقتل غلامًا وهو في حجر خال له لا يعلم له أهل. فكتب أبو عبيدة إلى عمر: إلى مَنْ أدفع عقله؟ فكتب إليه عمر أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**إن الله ورسوله مولى من لا مولى له، والخال وارث من لا وارث له**»[(١)].

١٥ - استنصارهم بالله عز وجل وطلبهم العزة بما أعزهم الله عز وجل به:

فقد كان من هدي الصحابة الكرام أنهم يطلبون النصر من الله عز وجل عملاً بقول الله عز وجل: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٠].

أخرج ابن عبد الحكم عن زيد بن أسلم قال: لما أبطأ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح مصر كتب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه:

«أما بعد: لقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر، تقاتلونهم منذ سنين، وما ذاك إلا لما أخذتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم، وإن الله تعالى لا ينصر قومًا إلا بصدق نياتهم، وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر، وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما أعرف، إلا أن يكون غيرهم ما غير غيرهم، فإذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس، وحضهم على قتال عدوهم، ورغبهم في الصبر والنية، وقدم أولئك الأربعة في صدور الناس، وأمر الناس أن يكونوا لهم صدمة رجل واحد، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة، فإنها ساعة تنزل فيها الرحمة، ووقت الإجابة، وليعج[(٢)] الناس إلى الله، وليسألوه النصر على عدوهم».

---

(١) رواه أحمد (١/٤٦)، وصححه أحمد شاكر (٣٢٣)، ورواه البيهقي في الكبرى (١٠/١٤).

(٢) أي يرفعون أصواتهم.

فلما أتى عمرو الكتاب جمع الناس، وقرأه عليهم، ثم دعا أولئك النفر فقدمهم أمام الناس، وأمر الناس أن يتطهروا ويصلوا ركعتين، ثم يرغبون إلى الله ويسألونه النصر ففتح الله عليهم.

وعن عياض الأشجعي قال: شهدت اليرموك وعليها خمسة أمراء: أبا عبيدة ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وخالد بن الوليد وعياض رضي الله عنهم، وليس عياض هذا الذي حدَّث - فقال: إذا كان قتال فعليكم أبو عبيدة، فكتبنا إليه: أنه قد جاش إلينا الموت، واستمددناه فكتب إلينا: أنه قد جاءني كتابكم تستمدوني، وإني أدلكم على من هو أعز نصراً وأحضر جنداً: الله عز وجل، فاستنصروه، فإن محمداً ﷺ قد نصر يوم بدر في أقل من عدتكم.

وكانوا رضي الله عنهم يطلبون العزة بما أعزهم الله عز وجل به من الإيمان والعمل بالإسلام، وطاعة النبي ﷺ.

عن طارق بن شهاب قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له، فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة.

فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، أنت تفعل هذا؟ تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة؟ ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك. فقال عمر: أواه! لو قال ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالاً لأمة محمد ﷺ، إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله[1].

---

(١) رواه الحاكم (١/ ٦١)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

١٦- ثقتهم بنصر الله عز وجل :

قال الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - :

كان رسول الله ﷺ يبث عناصر الثقة في قلوب رجاله ويفيض عليهم مما أفاضه الله على فؤاده من أمل رحيب في انتصار الإسلام وانتشار مبادئه وزوال سلطان الطغاة أمام طلائعه المظفرة في المشارق والمغارب. وقد اتخذ المستهزؤون من هذه الثقة مادة لسخريتهم وضحكهم، كان الأسود بن عبد المطلب وجلساؤه إذا رأوا أصحاب النبي ﷺ يتغامزون بهم ويقولون: قد جاءكم ملوك الأرض، الذين سيغلبون غداً على ملك كسرى وقيصر، ثم يصفرون ويصفقون(١).

ولقد كانت الآيات القرآنية تنزل بمكة تبشر بانتصار الإسلام والصحابة رضي الله عنهم يعذبون في ربوع مكة، فنزل قول الله عز وجل في سورة الروم: ﴿ **الٓمٓ (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الروم: ١-٥].

وكانت تبشر الآيات كذلك بهزيمة المشركين وانكسار شوكتهم، فنزل قوله عز وجل: ﴿ **سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ** ﴾ [القمر: ٤٥].

وهزمت جموع المشركين في أول لقاء بين الكفر والإيمان، في يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، كما بشر الله عز وجل وبشر رسوله ﷺ بانتصار الإيمان وغلبة جند الرحمن في كل زمان ومكان، فقال عز وجل: ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الروم: ٤٧].

---

(١) فقه السيرة للغزالي (١١٣).

وقال عز وجل: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧٣].

وقال: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ [غافر: ٥١].

وقال ﷺ: **«إنَّ اللهَ زوَى لي الأرْضَ. فرأيْتُ مشارِقَها ومَغارِبَها، وإنَّ أُمَّتي سَيَبْلُغُ مُلْكُها ما زُوِيَ لي منْها»** [١].

وقال ﷺ: **«ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر»** [٢].

فكان من ثقة الصحابة الكرام بنصر الله عز وجل يتهمهم المنافقون بالغرور، كما قال تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٤٩].

فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه يقول للروم وقد تحصنوا بالحصون: أيها الروم انزلوا إلينا، **فوالله لو كنتم معلقين بالسحاب لرفعنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا.**

ووقف الفارس المسلم على شاطئ الأطلنطي وقال: **والله يا بحر لو أعلم أن وراءك أرض في سبيل الله لخضتك بفرسي هذا.**

---

(١) رواه مسلم (١٦/ ١٣) الفتن وأشراط الساعة ح ٢٨٨٩، والترمذي (٩/ ٢٢) الفتن، وأبو داود (٤٢٣٢) الفتن والملاحم.

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٠٣)، والحاكم (٤/ ٤٣٠، ٤٣١)، وقال صحيح على شرط الشيخين، وابن حبان (١٦٣١ موارد)، وصححه الألباني على شرط مسلم في الصحيحة (٣).

الفصل الثالث

أنواع التربية المطلوبة

لتربية جيل على نمط الصحابة رضي الله عنهم ويشتمل على:

١ - التربية العقائدية

٢ - التربية الفكرية

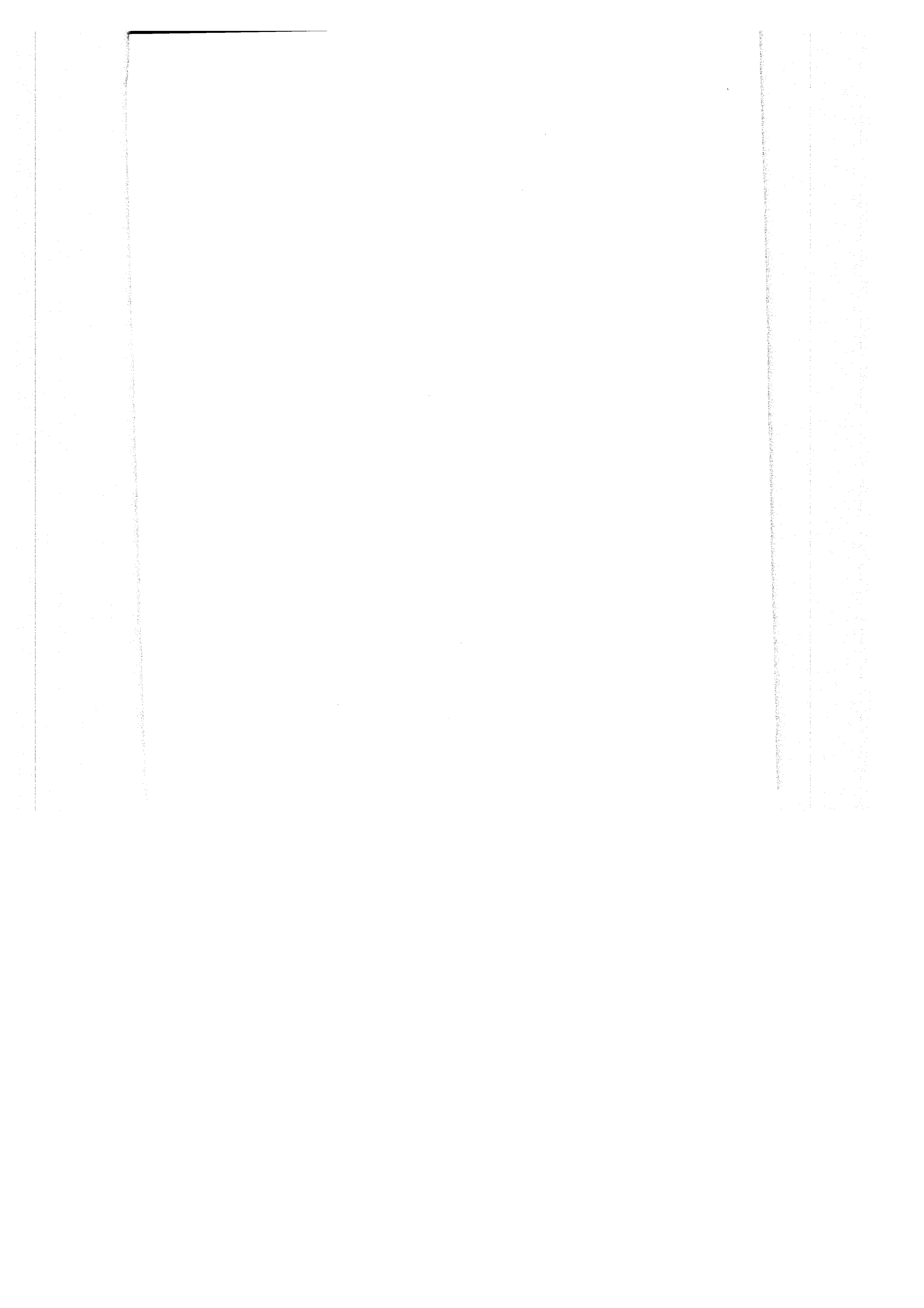
٣ - التربية الإيمانية

٤ - التربية الخلقية

٥ - التربية على الآداب النبوية والسنن المصطفوية

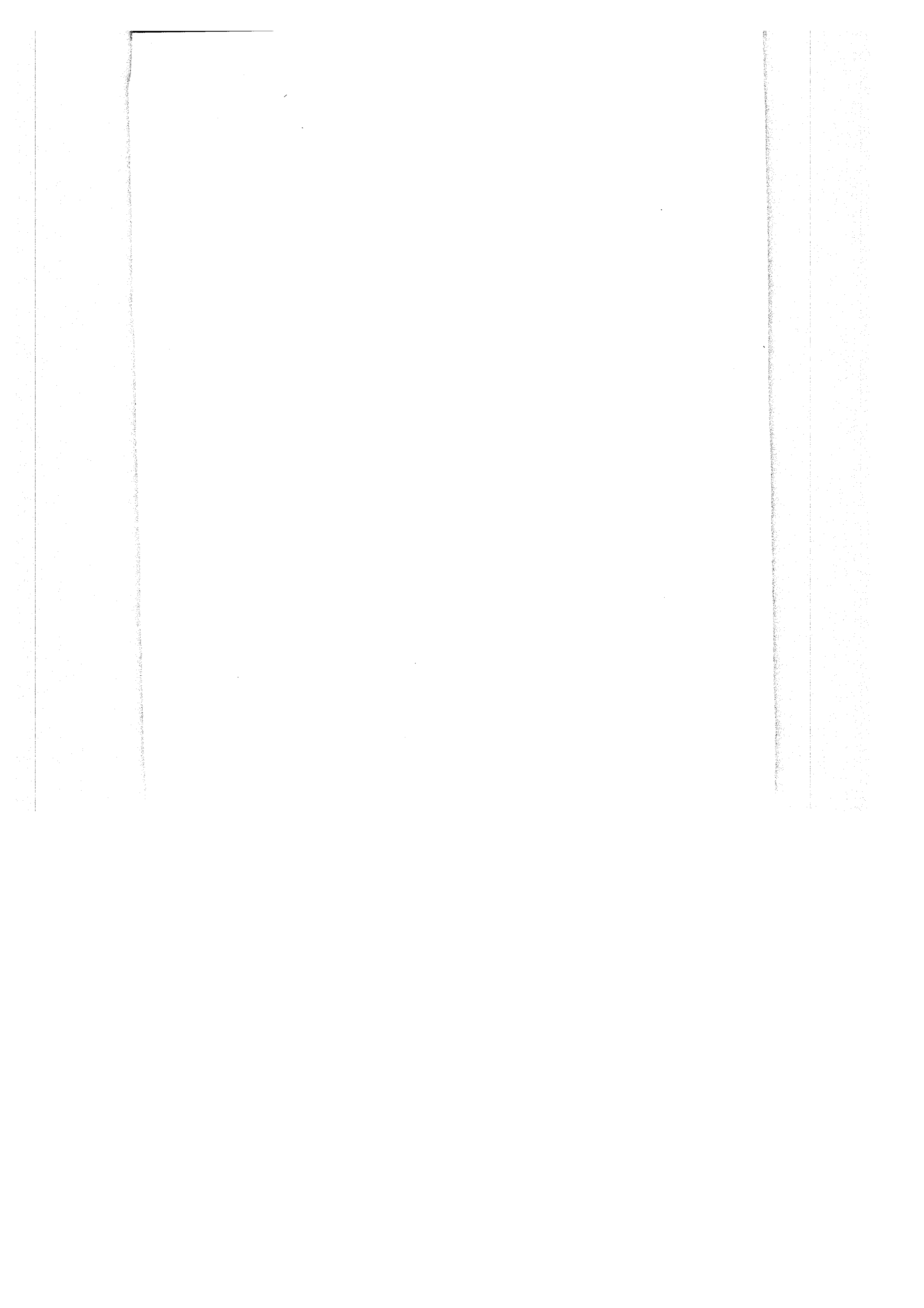
٦ - التربية الجسدية الجهادية

٧ - التربية على العفة والاستعفاف



[١]

التربية العقائدية



الفصل الثالث

أنواع التربية المطلوبة

[١] التربية العقائدية

فأول ما يجب أن يتربى عليه الشاب المسلم العقيدة الصحيحة، وهي العقيدة السلفية التي مضى عليها سلف الأمة ﷺ ، فقد جعل الله عز وجل عقيدة الصحابة ﷺ هي المقياس للعقيدة الصحيحة، فقال تعالى: ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ﴾ [البقرة:١٣٧].

وبين عز وجل أن غاية خلق الجن والإنسان إفراد الله عز وجل بالعبادة ومعرفته عز وجل، فقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦].

كما بين عز وجل أن غاية الرسل وهدفهم تعبيد الناس لله عز وجل فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وبين النبي ﷺ أن حق الله على العباد أن يعبدوه وحده لا شريك له. فعن معاذ بن جبل ﷺ قال: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِي: (يَا مُعَاذَ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ) فقال: قُلْتُ: اللهُ

وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: «فَإِنَّ حَقَّ الله عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَلاَ يُشْرِكُوا به شَيْئًا، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى الله أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ به شَيْئًا»، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لاَ تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا»[(١)].

وأول أمر في كتابه الله أمر بالتوحيد: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وما أتى الأمر بالتوحيد في كتاب الله عز وجل أو في سنة رسوله ﷺ مع مجموعة من الأوامر إلا كان الأمر بالتوحيد أول الأوامر.

وما أتى النهي عن الشرك مع مجموعة من النواهي في كتاب الله عز وجل أو سنة رسوله ﷺ إلا كان النهي عن الشرك هو أول النواهي، فما أمرت الرسل بشيء قبل التوحيد، وما نهت عن شيء قبل الشرك.

ولما أرسل النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ. فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يوحدوا الله تعالى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ..» الحديث[(٢)].

وهذا ربعى بن عامر أحد تلامذة رسول الله ﷺ يلخص رسالة الدعاة في كل زمان ومكان فيقول: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

---

(١) رواه البخاري (٦/٥٨) الجهاد ح ٢٨٥٦، ومسلم (١/٢٣٠-٢٣٢) الإيمان ح ٣٠ واللفظ له.

(٢) رواه البخاري في التوحيد ح ٧٣٧٢ واللفظ له، ومسلم رقم (١٩) الإيمان.

وسورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن تشتمل على نوع واحد من التوحيد وهو توحيد الأسماء والصفات، وكذا آية الكرسي وهي أعظم آية في كتاب الله ليس فيها إلا صفة الرب سبحانه وتعالى.

فكل دعوة لا تهتم بأمر التوحيد، وتربي أبناءها عليه، وتسقيهم العقيدة الصحيحة فهي دعوة على غير هدى المرسلين، فتقسيم بعض الناس أمور الدين إلى قشر ولباب قبيح، وأقبح منه اعتبار أمور العقيدة والاهتمام بها من القشور التي تعامل عندهم بالإهمال والطرح.

فهذه إشارة سريعة إلى أهمية التوحيد والتربية العقائدية، ولا ينبغي أن نفهم أن المراد بالتوحيد هنا توحيد الصانع، كما تفهم ذلك المعتزلة، أو التوحيد بمعنى اعتقاد وحدة الوجود والحلول كما تعتقد غلاة الصوفية، وإنما نقصد بالتوحيد ما علمناه إياه رسول الله ﷺ، ومضى عليه سلف الأمة الصالح ﭫ، ومعرفة الإله الواحد هو صلب هذا العلم حسب ما عرفنا الله عز وجل بنفسه، وما عرفنا به رسوله ﷺ، وعلم التوحيد هو أشرف العلوم، إذ شرف العلم بشرف المعلوم.

وعلم التوحيد هو علم العقيدة، والعقيدة بمعنى الإيمان، والإيمان هو التصديق الجازم بلا شك ولا ريبة، ومفهوم الإيمان أو العقيدة ينتظم ستة أصول: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وهذه الأصول الستة هي التي أرسل الله عز وجل بها نبيه محمداً ﷺ وكل رسول قبله كما قال تعالى: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ**

نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣] .

قال ابن القيم – رحمه الله –: « التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى »(١) .

يقول الدكتور أنس كرزون :

« ولذلك كان الموضوع الأساسي في القرآن الكريم هو التوحيد، وكانت آيات القرآن تنزل في مكة المكرمة سنوات طويلة لتثبيت هذه العقيدة في القلوب، والرد على المعاندين الذين انحرفوا عنها، وقد ألزم الله المشركين بما أقروا به من الاعتراف بأن الله هو الخالق سبحانه فأقام الحجة عليهم بوجوب توحيده سبحانه وإفراده بالعبادة والطاعة. وأظهر عجز آلهتهم المزعومة، وأنها لا تملك ضراً ولا نفعًا، وأن ما يحوط الإنسان من النعم إنما هو من عند الله سبحانه.

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢] .

كما أن آيات القرآن الكريم حافلة بالرد على أهل الكتاب الذين نسبوا لله الولد، وغيرهم من أصناف الملحدين والمشركين، وإلزامهم الحجة بما لا يستطيعون إنكاره، من بديع صنع الله واستقامة نظام الكون، وعدم اضطرابه.

---

(١) مدارج السالكين (٣ / ٤٤٣) .

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وقال سبحانه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وأبرز ما ترتكز عليه آيات القرآن الكريم في تثبيت عقيدة التوحيد إيقاظ الفطرة، فالإنسان إذا انطمست فطرته وأظلم قلبه انحرف عن التوحيد، وادعى الاستغناء عن خالقه، فإذا ألمت به الشدائد وأيقن بالهلاك لجأ إلى الله وحده وأخلص التوجه إليه بالدعاء، وأظهر افتقاره وتذلله لخالقه سبحانه، وسرعان ما ينكص على عقبيه، ويبتعد عن خالقه بمجرد زوال الخطر.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٢٢-٢٣][1].

ويقول عبد الله ناصح علوان:

«إن مسئولية التربية الإيمانية[2] لدى المربين والآباء والأمهات لهي

(١) منهج الإسلام في تزكية النفس (١/١٢٢-١٢٤) دار نور المكتبات ودار ابن حزم.

(٢) يقصد بالتربية الإيمانية هنا العقائدية، وقد أطلقنا في هذا البحث اسم التربية الإيمانية على الارتقاء بالأحوال الإيمانية للشباب.

مسئولية هامة وخطيرة، لكونها منبع الفضائل، ومبعث الكمالات، بل هي الركيزة الأساسية لدخول الولد في حظيرة الإيمان، وقنطرة الإسلام، وبدون هذه التربية لا ينهض الولد بمسئولية، ولا يتصف بأمانة، ولا يعرف غاية، ولا يتحقق بمعنى الإنسانية الفاضلة، ولا يعمل لمثل أعلى، وهدف نبيل، بل يعيش عيشه البهائم، ليس له هم سوى أن يسد جوعته، ويشبع غريزته وينطلق وراء الشهوات والملذات، ويصاحب الأشقياء والمجرمين، عندئذ يكون من الزمرة الكافرة، والفئة الإباحية الضالة التي قال الله عنها في محكم كتابه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢].

فعلى الأب أو المربي ألا يترك فرصة سانحة تمر إلا وقد زود الولد بالبراهين التي تدل على الله، وبالإرشادات التي تثبت الإيمان، وباللفتات التي تقوي منه جانب العقيدة.. وهذا الأسلوب من انتهاز الفرص في النصائح الإيمانية من أسلوب المربي الأول - صلوات الله وسلامه عليه -، حيث كان يسعى دائمًا إلى إن يوجه الأولاد إلى ما يرفع من شأنهم ويرسخ الإيمان واليقين في أعماق نفوسهم، وإليك أخي القارئ بعض النماذج من توجيهه وأسلوبه ﷺ.

روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال: (**يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك،**

رفعت الأقلام وجفت الصحف)[(١)] .

فقد كان النبي ﷺ ينقي قلوب الصحابة وجوارحهم من الشرك الجلي والخفي، ويربيهم على التوحيد الخالص، ويعرفهم بربهم الذي خلقهم ورزقهم، حتى صار الصحابة الكرام أبر الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً.

وهذه أمثلة من سيرة النبي ﷺ تبين هذه التربية العالية، لهذه الأمة الغالية: عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط. فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: **(الله أكبر! إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾** [الأعراف: ١٣٨]**، لتركبن سنن من كان قبلكم)**[(٢)] .

وعن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل: فلما انصرف أقبل على الناس فقال: **(هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُم؟)** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال:

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام (١ / ١٦٣، ١٦٤) ط. دار السلام، والحديث رواه أحمد (٤ / ٢٨٦، ٢٨٨)، والترمذي (٩ / ٣١٩، ٣٢٠ عارضة) أبواب القيامة، وقال: حسن صحيح، وحسنه الحافظ ابن رجب من طريق حنش.

(٢) رواه الترمذي (٩ / ٢٧، ٢٨ عارضة) الفتن، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (٥ / ٢١٨)، وابن أبي عاصم في السنة (٧٦)، وعبد الرزاق (٢٠٧٦٣) وغيرهم، وحسنه الألباني.

(قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِه فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ) (١).

ومن ذلك ما رواه في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً: (أَنْ لاَ يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلادَةٌ إِلاَّ قُطِعَتْ) (٢).

وعن عقبة بن عامر مرفوعًا: (من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له) (٣).

ومن ذلك ما وراه مسلم عن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: (لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ) (٤).

وعن بعض أزواج النبي رضي الله عنهن عن النبي ﷺ قال: (مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا) (٥).

---

(١) رواه البخاري كتاب الأذان ح ٨٤٦، ومسلم (٢/٥٩، ٦٠) الإيمان ح ٧١، ومالك (١/١٩٢) الاستسقاء.

(٢) رواه البخاري (٦/١٤١) الجهاد ح ٣٠٠٥، ومسلم (١٤/٩٥) اللباس ح ٢١١٥، ومالك في الموطأ (٢/٩٣٧) صفة النبي ﷺ، والبغوي في شرح السنة (١١/٢٦، ٢٧) وقال مالك: أرى ذلك من العين.

(٣) رواه أحمد (٤/١٥٤)، والحاكم (٤/٢١٦) الطب. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وقيل: فيه خالد بن عبيد المعافري لم يوثقه غير ابن حبان.

(٤) رواه مسلم (٣/١٥٦٧) الأضاحي، ح ١٩٧٨.

(٥) رواه مسلم (١٤/٢٢٧) السلام ح ٢٢٣٠ دون زيادة «فصدقه» وهي عند أحمد (٤/٦٨) بسند صحيح.

كما حرم ﷺ الشرك الأصغر، فقال ﷺ : (**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**)[١] .

وقال ﷺ : (**لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان**)[٢] .

كما نهى النبي ﷺ عن الرياء وهو الشرك الأصغر.

فعن أبي هريرة مرفوعًا قال الله تعالى : (**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**)[٣] .

وكذا سد النبي ﷺ كل الذرائع إلى الشرك، فحرم إقامة المساجد على القبور، ونهى عن اعتقاد العدوى والتطير، ونهى عن الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله، ونهى عن المبالغة في المدح، وهو الإطراء، كما نهى عن التصوير.

وتعلم الصحابة ﷺ هذا التوحيد الخالص من رسول الله ﷺ فصاروا يعلمونه من يلوذ بهم، ومن يتبعهم. فهذا عبد الله بن مسعود ﷺ يرى في يد زوجته خيطًا فيقطعه ويقول : لقد أصبح آل عبد الله في غنى عن الشرك. وروى وكيع عن حذيفة : أنه دخل على مريض يعوده

---

(١) رواه الترمذي (٧/١٨ عارضة) الأيمان والنذور، وأبوداود (٣٢٣٥) الأيمان والنذور، وأحمد (٢/٣٤، ٦٨، ٦٩)، والحاكم (٤/٢٩٧) وقال : صحيح على شرط الشيخين وحسنه الترمذي وصححه الألباني.

(٢) رواه أبو داود (٤٩٥٩ عون) الأدب، وأحمد (٥/٣٨٤) وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٣٧).

(٣) رواه مسلم (١٨/١١٥) الزهد ح ٢٩٨٥، وابن ماجة (٣٣٨٧) الزهد.

فلمس عضده فإذا فيه خيط، فقال: ما هذا؟ قال: شيء رُقي لي فيه، فقطعه وقال: لو مت وهو عليك ما صليت عليك.

ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: **(ألاَّ تَدَعْ صُورَةً إلاَّ طَمَسْتَهَا، ولاَ قَبْرًا مُشْرِفًا إلاَّ سَوَّيْتَهُ)**[١].

فالواجب على القائمين بالدعوة إلى الله عز وجل، والذين يرجون عز الإسلام والمسلمين الاهتمام بتربية الناس على العقيدة الصحيحة، والتنبيه الدائم لهم على ما يقعون فيه من أمور الشرك العلمية والعملية، لأن هذا هو هدي رسول الله ﷺ، وما ربى عليه الصحابة الكرام، وكل جماعة من جماعات الدعوة الإسلامية لا تهتم بأمور العقيدة، ولا تربي أبناءها على عقيدة السلف ﷺ فهي جماعة على غير هدي المرسلين، مهما رفعت من شعارات - الله ربنا، والقرآن دستورنا - إلا أن الواقع أن أفراد الجماعة لا يدرسون العقيدة الصحيحة، بل ومنهم من يقول: عقيدة السلف أسلم، وعقيدة الخلف أعلم وأحكم، وهذا القول عاطل باطل، ولو قاله عالم من العلماء، وكل كلام خالف الكتاب والسنة يضرب به عرض الحائط، فعقيدة السلف أسلم وأحكم وأعلم، بل الواجب على كل أفراد الأمة أن يعتقدوا معتقد السلف ﷺ كما قال تعالى: ﴿**فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا**﴾ [البقرة:١٣٧]. وقال ﷺ: **(عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ)**[٢] والسنة ما تركنا

(١) رواه مسلم (٧/ ٣٦) الجنائز ح ٩٦٩، والترمذي (٤/ ٢٦٩) الجنائز، والنسائي (٤/ ٨٨، ٨٩)، وأبو داود (٢/ ٣٢) الجنائز.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٣.

عليه رسول الله ﷺ من أقوال وأفعال وعقائد، وواقع الأمة يشير إلى أن الجيل الأول كان نقيًّا خاليًا من البدع والاعتقادات الباطلة والأهواء الكاذبة، فلم يكن شيء من الأهواء على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، وإنما ظهرت البدع في آخر عصر الصحابة ﷺ، ثم افترقت البدعة بدعًا، والفرقة فرقًا، فكيف مع ذلك يقال عقيدة السلف أسلم، وعقيدة الخلف أحكم وأعلم، سبحانك هذا بهتان عظيم.

ثم الواجب على المربين كذلك أن يحثوا الطلاب على استشعار معاني العقيدة، وتذوق حلاوتها، حتى يكون لها أثر في حياتهم وواقعهم، فإذا تربى المسلم على إثبات السمع والبصر لله عز وجل، فإنه يستشعر اطلاع الله عز وجل عليه ومراقبته له وعلمه بسره ونجواه، وقد كان أهل الجاهلية يتجرؤون على معصية الله عز وجل، ويستخفون بالمعاصي ظنًّا منهم أن الله عز وجل لا يراهم إذا استخفوا بها.

عن عبد الله بن مسعود ﷺ: قال: «اجتمع عند البيت ثلاثة نفر - قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي - قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم. فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول؟ وقال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله عز وجل: **﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾** [فصلت: ٢٢]»[١].

---

(١) رواه مسلم (١٧ / ١٢٢) كتاب المنافقين ح ٢٧٧٥.

قال الأستاذ عبد الله ناصح علوان :

وهذا النمط من التربية والمراقبة، قد وجه إليه المربي الأول ﷺ في إجابته السائل عن الإحسان : «**أنْ تعْبُدَ اللهَ كأنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تكُنْ تراهُ فإنَّهُ يراكَ**»[1].

وقد أشار إليه القرآن الكريم بقوله : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٠-٢٠١].

وهذه الظاهرة من الترويض والتعليم كانت ديدن السلف الصالح في ترويضهم لأولادهم وتأديبهم عليها، وإليكم ما قصَّه الإمام الغزالي في إحيائه : «قال سهل بن عبد الله التستري : كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار. فقال لي يوماً : ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت : كيف أذكره؟ قال : قل بقلبك عند تقلبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك : الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهدي، فقلت ذلك ليالي، ثم أعلمته فقال : قل ذلك كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ليالي، ثم أعلمته. فقال : قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة فقلته، فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة قال لي خالي : احفظ ما علمتك وداوم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يوماً : يا سهل من كان الله معه، وناظراً إليه، وشاهده أيعصيه؟ إياك والمعصية»، وبهذا التوجيه السديد، والترويض المستمر، والتربية الإيمانية الحقة أصبح

(١) رواه البخاري (١/ ١١٤) الإيمان ح ٥٠، ومسلم (١/ ١٥٧-١٦٠) الإيمان ح٩.

سهل – رحمه الله – من كبار العارفين، ومن رجال الله الصالحين بفضل خاله الذي أدبه وعلمه ورباه، وغرس في نفسه وهو صغير أكرم معاني الإيمان والمراقبة، وأنبل مكارم الأخلاق »[١] .

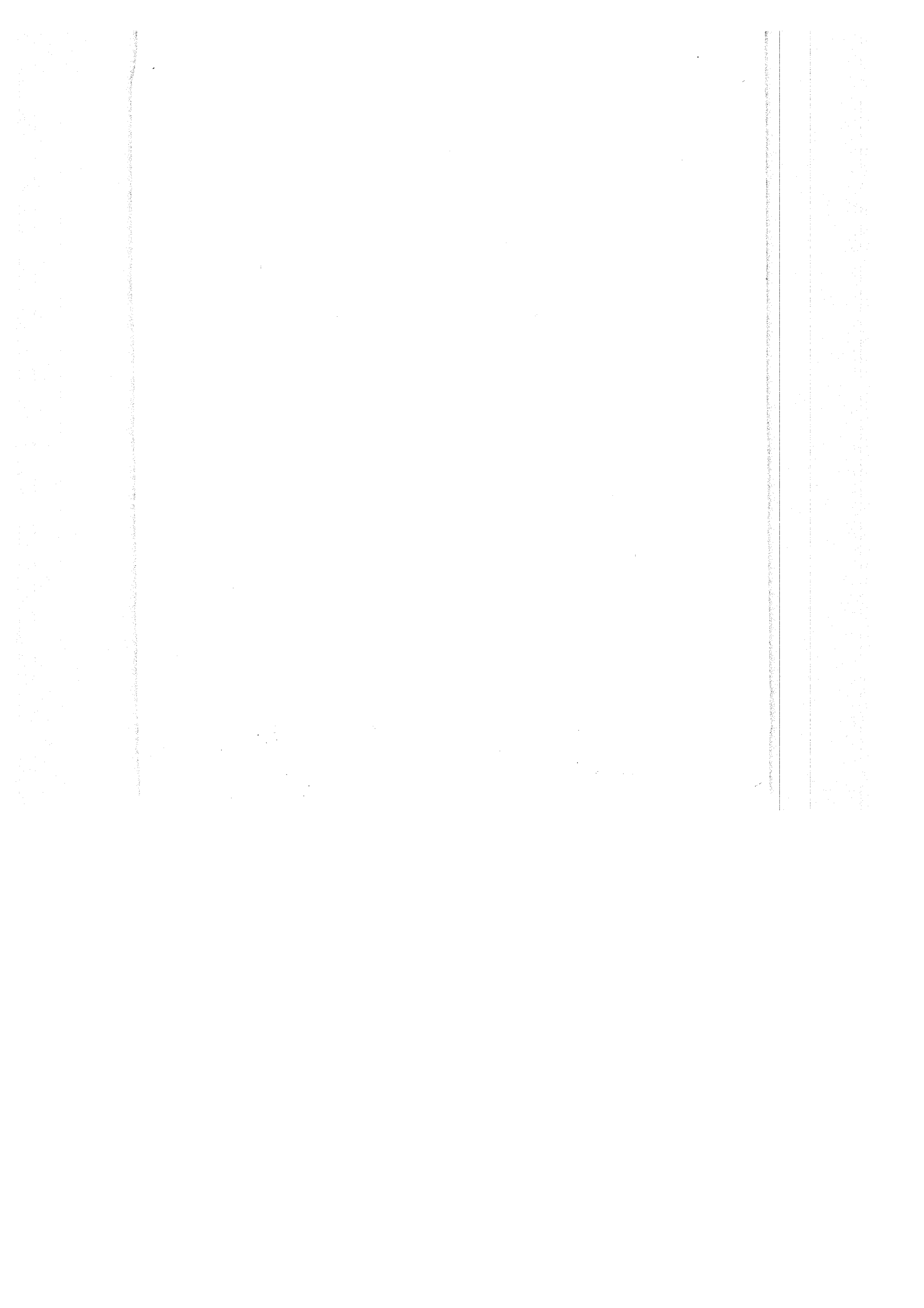
ولا شك في أن هذا أدب حسن، وتربية حسنة، وأحسن منها تربية النبي ﷺ وما صح عنه من أذكار وتعوذات . روى البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال : (**من تعار من الليل فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، والحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال : اللهم اغفر لي . أو دعا استجيب له فإن توضأ وصلى قُبلت صلاته**)[٢] .

قال ابن بطال : « وعد الله على لسان نبيه من استيقظ من نومه، ولهج لسانه بتوحيد ربه، والإذعان له بالملك والاعتراف بنعمه، يحمده عليها، وينزهه عما لا يليق به بتسبيحه، والخضوع له بالتكبير، والتسليم له وبالعجز عن القدرة إلا بعونه : أنه إذا دعاه أجابه، وإذا صلى قبلت صلاته، فينبغي لمن بلغه هذا الحديث أن يغتنم العمل به، ويخلص نيته لربه سبحانه وتعالى »[٣] .

قال أبو عبد الله الفربري الراوي عن البخاري : أجريت هذا الذكر على لساني عند انتباهي ثم نمت، فأتاني آت فقرأ : ﴿ **وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ** ﴾ [الحج : ٢٤][٤] .

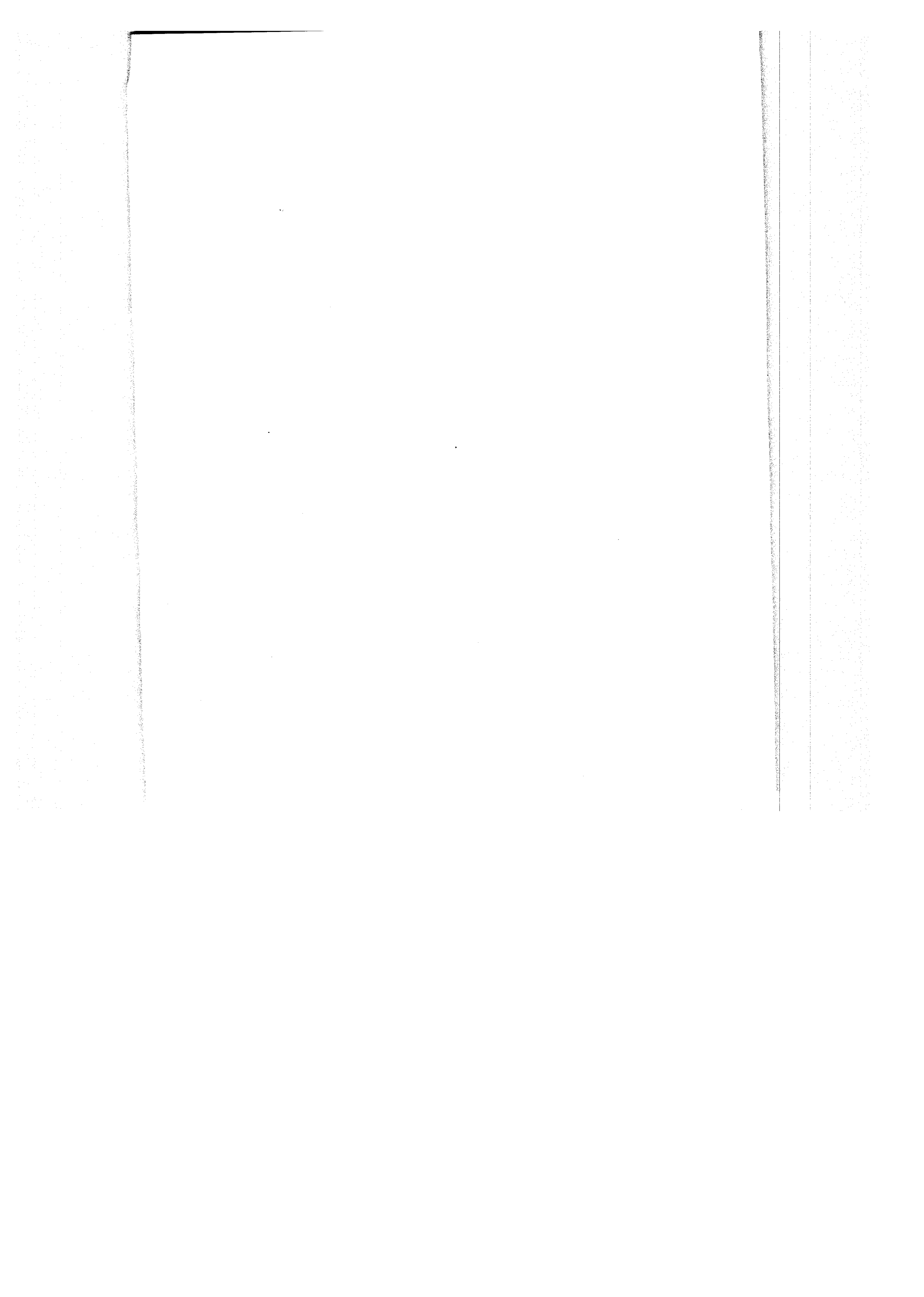
---

(١) تربية الأولاد في الإسلام (١ / ١٦٠، ١٦١).
(٢) رواه البخاري (٣ /٤٧، ٤٨) التهجد ح ١١٥٤ .
(٣) فتح الباري (٣ / ٥٠).
(٤) السابق (٣ / ٥٠).



[٢]

التربية الفكرية



[٢] التربية الفكرية

ويقصد بها تربية شباب الصحوة الإسلامية على فكر السلف، وتعميق المفاهيم الصحيحة في نفوسهم، وتحذيرهم من المفاهيم الخاطئة التي يتربى عليها شباب الإسلام في كثير من جماعات الدعوة الإسلامية، فتكون بذلك ثمرات التربية الصحيحة شبابًا تربوا على فكر السلف، وفهم السلف للكتاب والسنة، وكذا عندهم وقاية من الأفكار الخاطئة التي في الساحة الإسلامية، والمفاهيم المخالفة لما كان عليه السلف ﷺ، وهذا لا شك من البصيرة الواجبة في هذه المرحلة الراهنة. وعلى ذلك ينقسم البحث في هذا الباب إلى قسمين:

(أ) مفاهيم صحيحة ينبغي أن يتربى عليها الشباب المسلم.

(ب) مفاهيم خاطئة يجب التنبيه عليها والتحذير منها.

(أ) مفاهيم صحيحة ينبغي أن يتربى عليها الشباب المسلم:

١- ينبغي أن يتربى الشباب المسلم على الأدب مع الله عز وجل ومع رسوله ﷺ عملاً بقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١]. فيبدءون بالشرع ثم يخضعون العقل له، فيقدمون الرواية على الدراية، والنص الشرعي على النظر العقلي، ويعتقدون أنه لا يتعارض نص صحيح مع عقل صريح، ويعتقدون بأن الأوائل الذين عاصروا التنزيل، واكتحلت أعينهم برؤية البشير النذير، كانوا أكثر دراية وفهمًا للشرع الحنيف، فالمعقول عندهم ما وافق هديهم، والمجهول ما خالفه.

وهذه هي القاعدة الأولى من قواعد المنهج السلفي، وهي في الواقع أهم ما يميز أصحاب المنهج الصحيح والفكر السليم عن أصحاب المناهج المبتدعة التي تربي أبناءها على الخروج على سلطان الكتاب والسنة، وتقديم الآراء والأهواء وأقوال الشيوخ والمعظمين على كلام الله عز وجل أو كلام رسوله ﷺ، وهذا المنهج كان واضحًا عند الصحابة رضي الله عنهم يقول علي رضي الله عنه: «لو كان الدين بالرأي لكان باطن الخف أولى بالمسح من ظاهره».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون قال أبو بكر وقال عمر. قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ا للهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا** ﴾

[الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور: ٦٣].

٢- **ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب** المسلم الأخذ بظاهر الكتاب والسنة ورفض **التأويل الكلامي**، فظاهر الكتاب والسنة يجب القول به والمصير إليه حتى يدل الدليل على أن الظاهر غير مراد.

قال شيخ الإسلام: لفظ التأويل قد صار بسبب تعدد الاصطلاحات له ثلاثة معان:

أحدها: أن يراد بالتأويل حقيقة ما يؤول إليه الكلام، وإن وافق ظاهره، وهذا هو المعنى الذي يراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة،

كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف:٥٣]، ومنه قول عائشة: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ، وَاللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، يَتَأَوَّلُ القُرْآنَ»[١].

والثاني: يراد بلفظ التأويل التفسير، وهذا اصطلاح كثير من المفسرين، ولهذا قال مجاهد إمام أهل التفسير: إن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه، فإنه أراد بذلك تفسيره وبيان معانيه، وهذا مما يعلمه الراسخون.

والثالث: أن يراد بلفظ التأويل صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه إلى معنى آخر مرجوح يقترن بذلك، فلا يكون معنى اللفظ موافق لدلالة ظاهره، وهذا هو معنى التأويل عند المتأخرين، وتسمية هذا تأويلاً لم يكن في عرف السلف.

وقال في موضع آخر: وطريقة التأويل طريقة المتكلمين من الجهمية والمعتزلة وأتباعهم، يقولون: إن ما قاله له تأويلات تخالف ما دل عليه اللفظ، وما يفهم منه، وهو إن كان لم يبين مراده، ولا بين الحق الذي يجب اعتقاده، فكان مقصوده أن هذا يكون سبباً للبحث بالعقل حتى يعلم الناس الحق بعقولهم، ويجتهدوا في تأويل ألفاظه إلى ما يوافق قولهم ليثابوا على ذلك، فلم يكن قصده لهم البيان والهداية والإرشاد والتعليم، بل قصده التعمية والتلبيس[٢].

---

(١) رواه البخاري (٢/٣٤٩) الأذان وصفة الصلاة ح ٨١٧، ومسلم، الصلاة ح ٤٨٤.
(٢) نقض المنطق (٥٦) لابن تيمية.

٣- ومما ينبغي أن يتربى عليه شباب الأمة: ألاَّ يرفعوا أحداً من علماء الأمة إلى منزلة لا تنبغي إلا لرسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧].

فرسول الله ﷺ وحده هو الذي نقبل كل ما قاله وما ذهب إليه وندع ما خالفه، ومن دونه ﷺ من علماء المسلمين يؤخذ من قوله ويترك.

قال شيخ الإسلام: إن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أمر، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة، بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ.

بهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، ومعرفة بمعانيها واتباعًا لها، تصديقًا وعملاً وحبًا، وموالاة لمن والاها، ومعاداة لمن عاداها[١].

فينبغي أن يتربى الشباب المسلم على أن يكون حبهم للحق والسنة أكبر من حبهم للعلماء والمتبوعين، كما قال شيخ الإسلام ابن القيم: « شيخ الإسلام حبيب إلى قلوبنا، ولكن الحق أحب إلينا منه ». فأهل الحق والسنة هم أولى الناس برسول الله ﷺ يوم يدعى كل إناس بإمامهم، فإنهم في الحقيقة لم يتخذوا إمامًا دونه يأخذون كل ما جاء به ويدعون

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/٣٤٦، ٣٤٧) بتصرف.

ما خالفه، فكل إمام عندهم من أئمة المسلمين يؤخذ من قوله ويترك، وكل كلام عارض عندهم الكتاب والسنة يضرب به عرض الحائط.

٤- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم: محبة أصحاب النبي ﷺ ورضى الله عنهم وآل بيته الكرام، فمن خصائص أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله عز وجل بقوله: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الحشر: ١٠].

وطاعة النبي ﷺ في قوله: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ**»[١].

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم، فيفضلون مَنْ أنفق مِنْ قبل الفتح - وهو صلح الحديبية - وقاتل على مَنْ أنفق مِنْ بعده وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر - وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر: «**اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[٢].

وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي ﷺ[٣] بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٢١) فضائل الصحابة ح ٣٦٧٣، ومسلم (١٦/ ٢٣) فضائل الصحابة ح ٢٥٤١، وأحمد (٣/ ١١).

(٢) رواه البخاري عن علي رضي الله عنه (٦/ ١٤٣) الجهاد ح ٣٠٠٧.

(٣) رواه مسلم (١٦/ ٥٧، ٥٨) الفضائل ح ٢٤٩٦ عن أم مبشر الأنصارية، وهي امرأة زيد بن حارثة.

ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة كالعشرة، وثابت ابن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعن غيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي رضي الله عنهم كما دلت الآثار، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله.

وكذا محبة أهل البيت وموالاتهم، ومما يخص أهل بيت رسول الله ﷺ: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب:٣٣].

وكذلك قوله تعالى: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ [الشورى:٢٣].

وإجماع الأمة وتواتر الأخبار بشرع الصلاة عليهم في تشهد الصلاة، فيجب لذلك حبهم، وتعظيمهم وتوقيرهم، واحترامهم والاعتراف بمناقبهم، فإنهم أهل آيات المباهلة والمودة، والتطهير، وأهل المناقب الجمة والفضل الشهير.

٥- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم: المحافظة على الجمعة والجماعات والأعياد ولا يدعونها لأوهى الأسباب:

قال شيخ الإسلام: ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يصلون الجمع والأعياد والجماعات، ولا يدعون الجمعة والجماعة كما فعل أهل البدع من الرافضة وغيرهم، فإن كان الإمام مستوراً لم يظهر منه بدعة ولا فجور صلى خلفه الجمعة والجماعة باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم من

أئمة المسلمين، ولم يقل أحد من الأئمة إنه لا تجوز الصلاة إلا خلف من علم باطن أمره، بل ما زال المسلمون من بعد نبيهم يصلون خلف المسلم المستور، وكان بعض الناس إذا كثرت الأهواء يحب ألا يصلي إلا خلف من يعرفه على سبيل الاستحباب، كما نقل ذلك عن أحمد أنه ذكر ذلك لمن سأله، ولم يقل أحمد إنه لا يصلي إلا خلف من يعرف حاله.

فالصلاة خلف المستور جائزة باتفاق علماء المسلمين، ومن قال إن الصلاة محرمة أو باطلة خلف من لا يعرف حاله فقد خالف إجماع أهل السنة والجماعة.

وقد كان الصحابة ﷺ يصلون خلف من يعرفون فجوره، كما صلى عبد الله بن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان قد يشرب الخمر، وصلى مرة الصبح أربعًا، وجلده عثمان ابن عفان على ذلك.

وكان عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة يصلون خلف الحجاج بن يوسف، وكان الصحابة والتابعون يصلون خلف ابن أبي عبيد، وكان متهمًا بالإلحاد، وداعيًا إلى الضلال [١].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣ / ٢٨٠) باختصار، وينبغي الانتباه إلى أنه ليس المقصود بالإلحاد هنا: إنكار وجود الله كما هو متعارف عليه حالياً، إذ لو كان المقصود كذلك فلمن يصلي هذا المتهم بالإلحاد؟! وإنما الإلحاد في الاصطلاح هو الميل عما يجب اعتقاده أو عمله، وهو قسمان: إلحاد في أسماء الله وصفاته، وإلحاد في آياته سواء الشرعية بتحريفها أو تكذيبها أو عصيان أحكامها، أو إلحاد في الآيات الكونية بنسبتها إلى غير الله أو اعتقاد شريك أو معين لله فيها، وهذا النوع الأخير لا تجوز الصلاة خلف من علم عنه ذلك بيقين لخروجه عن الإسلام، بخلاف من كان متهماً دون تيقن من ذلك، حيث الاتهام مجرد شك لا يرقى إلى درجة اليقين وعليه فلا تمتنع الصلاة خلفه (الناشر)، وانظر فتح رب البرية بتلخيص الحموية للشيخ محمد بن صالح العثيمين -يرحمه الله - ص ٢٣.

٦- **ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم: الاهتمام بتعلم العلم النافع ومعرفة المسائل الشرعية وأدلتها من الكتاب والسنة، وكذا الاهتمام بمعرفة صحيح الحديث من سقيمه**: بوب الإمام البخاري في صحيحه: باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾ [محمد: ١٩] فبدأ بالعلم.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: تفقهوا قبل أن تسودوا. قال البخاري - رحمه الله -: وبعد أن تسودوا، وقد تعلم الصحابة وهم كبار[(١)].

وقالوا: إذا تصدر الحدث فاته خير كثير.

وقيل لابن المبارك: إلى متى تطلب العلم؟ فقال: لعل الكلمة التي انتفع بها لم أتعلمها بعد. وقال الإمام أحمد: حاجة الناس إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب، فالطعام والشراب يُحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يُحتاج إليه بعدد الأنفاس.

وقال كذلك: مع المحبرة إلى المقبرة.

وينبغي أن يعلم المسلم كذلك أن العلم هو ما قام عليه الدليل، فهو علم الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

كما قيل:

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة ليس بالتمويه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين قول فقيه

وقيل كذلك:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ... إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا ... وما سوى ذاك فوسواس الشياطين

---

(١) فتح الباري (١/ ١٩٢) العلم.

٧- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم: محبة العلماء العاملين، والأئمة المجتهدين، واعتقاد فضلهم، وحبهم في الله عز وجل، والاحتجاج بإجماعهم، واعتقاد أن اجتهادهم لنا خير من اجتهادنا لأنفسنا، ولا بأس بدراسة مذهب من المذاهب المتبعة بشرط عدم التعصب للمذهب، وأن يدور الطالب مع الحديث حيث دار، واعتقاد أن الأئمة مأجورون على كل حال، إما أجرًا كاملاً أو أجرًا ناقصًا، لأنهم بذلوا جهدهم في تحصيل أدوات الاجتهاد، وكذا تحري الحق في المسألة، لكن الواجب على طلاب العلم أن يكون اتباعهم لرسول الله ﷺ، فلم يتعبدنا الله عز وجل باتباع أبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد - رحمة الله على الجميع -، ولكن تعبدنا باتباع رسوله ﷺ فقال تعالى: ﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٨].

والمضطر إلى التقليد الأعمى اضطرارًا حقيقيًا بحيث يكون لا قدرة له البتة على غيره، مع عدم التفريط لكونه لا قدرة له أصلاً على الفهم، أو له قدرة على الفهم وقد عاقته عوائق قاهرة عن التعلم، أو هو في أثناء التعلم ولكنه يتعلم تدريجيًا لأنه لا يقدر على تعلم كل ما يحتاجه في وقت واحد، أو لم يجد كفئًا يتعلم منه ونحو ذلك فهو معذور في التقليد المذكور للضرورة، لأنه لا مندوحة له عنه.

أما القادر على التعلم المفرِّط فيه، والمقدِّم آراء الرجال على ما علم من الوحي فليس بمعذور.

ولا يجوز لمن قلد إمامًا تقليدًا أن يقول هذا حلال أو حرام، لأن الحلال هو ما أحله الله على لسان رسول الله ﷺ في الكتاب والسنة،

والحرام ما حرمه الله ورسوله ﷺ، والمقلد لا يعلم هل أصاب إمامه حكم الله عز وجل أم لا، وقد قال الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ [الأنعام: ١٥٠]. فليس له إلا أن يقول: هذا رأي إمامي أو ما أفتى به إمامي.

٨- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم: تعظيم حرمات المسلمين. قال النبي ﷺ: (**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**)[١].

وقال ﷺ: في أعظم محفل شهدته البشرية: (**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**)[٢].

فلا يجوز للمسلم أن يستبيح عرض أخيه لأدنى شبهة، وكذا ماله ودمه، قال النبي ﷺ: (**لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا**)[٣].

كان ابن عباس رضي الله عنهما ينظر إلى الكعبة ويقول: «إن الله حرّمك وشرّفك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله»[٤].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤) البر والصلة، والترمذي (٨/١١٥ عارضة) البر والصلة.

(٢) رواه مسلم في القسامة والمحاربين والقصاص ح ١٦٧٩، وأبو داود (٣٧٧-/٣٧٥٥) المناسك، وابن ماجة (٢/١٠٢٥) المناسك.

(٣) رواه البخاري (١٢/١٩٤) الديات ح ٦٨٦٢.

(٤) رواه البخاري (١٢/١٩٤) الديات ح ٦٨٦٣.

قال ابن العربي: ثبت النهي عن قتل البهيمة بغير حق والوعيد في ذلك، فكيف بقتل الآدمي؟! فكيف بالمسلم؟ فكيف بالتقي الصالح؟[١].

٩- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشاب المسلم: تحمل المسئولية والمشاركة في العمل الجماعي: فإن الدعوة إلى الله عز وجل والعمل لإعزاز دينه ورفع رايته أكبر من أن يقوم بها فرد أو أفراد متناثرون، ولكن الواجب على المسلمين التعاون والتضافر للقيام بالواجبات المفروضة على الأمة. قال تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة: ٢].

يقول الأستاذ / عباس محجوب: إن المسلمين في أغلب بلادهم قد نشأوا وتربوا على أساليب دكتاتورية في الحياة، وقد عجزت التربية السائدة عن القيام بدورها في تنشئة الشباب المسلم على تحمل المسئولية وتقديرها، لأن النظام التربوي والسياسي لا يعطيان فرصة كهذه، فالمعلم مقيد بنظم وأوامر مركزية تسلب منه حرية التصرف كمسلم تقي، وبالتالي تحمل المسئولية، فينعكس ذلك على الطلاب الذين يتحركون وفق أوامر عليهم تنفيذها، فلا تربى عندهم روح الشعور بالمسئولية والتقدير لها، والأهلية لها، ثم تحمل نتائجها، مع أن التربية تضع في أول مهامها وواجباتها تعويد الطلاب على النظام والعمل الذي يكون دافعه الشعور بالمسئولية، وهي تعني عند المسلم المسئولية أمام الله أولاً، ثم ولي الأمر ثانيًا[٢].

---

(١) فتح الباري (١٢ / ١٩٦).

(٢) نحو منهج إسلامي في التربية - محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للموسم الثقافي للعام الدراسي (١٣٩٦-١٣٩٧هـ)، ص (٣٨٥).

١٠- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم: حب الجهاد والرغبة في الاستشهاد في سبيل الله عز وجل، فإن شجرة الإسلام لا تروى بالماء، وإنما تروى بالدماء.

قال الأستاذ / عبد الله ناصح علوان: من المسائل الخطيرة والأمور الهامة التي يجب أن يهتم المربون بها ويوجهوا اعتناءهم الأكبر إليها: تعميق روح الجهاد في نفسية الولد، وترسيخ معاني العزم والمصابرة في فكره وقلبه ومشاعره، ولا سيما في هذا العصر الذي انحسر فيه حكم الإسلام عن بلاد الإسلام، وغربت شمس العزة الإسلامية عن الدنيا وأصبحت السيادة للطواغيت، واستلم زمام الأمور في أكثر بلاد الإسلام أناس لا هم لهم ولا غاية إلا أن ينفذوا مخططات أعداء الله والإسلام، سواء كانت هذه المخططات شيوعية، أو كانت استعمارية، أو كانت يهودية، أو كانت صليبية، فكان من نتيجة ذلك أن ألغيت الخلافة الإسلامية، واجتاحت المجتمعات موجات المادية الطاغية، وعواصف هوجاء من التحلل والإباحية، وتيارات متدفقة من الفكر الإلحادي، **وأصبحت بلاد المسلمين هدفًا لكل طامع، وغاية لكل مريد، عسى أن يستعيدوا بجهادهم عز الإسلام ومجد المسلمين**[١].

قال النبي ﷺ: **(إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى تراجعوا دينكم)**[٢].

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام (٢/١٠٨٨) بتصرف.

(٢) رواه أبو داود (٣٤٤٥) البيوع، وقال الألباني: صحيح لمجموع طرقه، الصحيحة رقم (١١).

وقال النبي ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»(١).

وقال النبي ﷺ: «لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»(٢).

١١- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم: التورع عن الفتوى:

قال ابن رجب - رحمه الله -: ومن هذا القبيل - أي طلب الشرف بالدين - كراهة السلف الصالح الجرأة على الفتيا والحرص عليها والمسارعة إليها والإكثار منها.

قال علقمة: كانوا يقولون: أجرؤكم على الفتيا أقلكم علماً.

وعن البراء قال: أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يُسأل أحدهم عن المسألة وما منهم من رجل إلا ود أن أخاه كفاه، وفي رواية: فيرده هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى يرجع إلى الأول.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون.

وعن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - قال: أعلم الناس بالفتاوى أسكتهم، وأجهلهم بها أنطقهم.

---

(١) رواه مسلم (١٣/٥٦) الإمارة، ح ١٩١٠، وأبو داود (٢٤٨٥ عون) الجهاد، والنسائي (٦/٨) الجهاد.

(٢) رواه البخاري (٦/١٣) الجهاد ح ٢٧٩٢، ومسلم (١٣/٢٧) الإمارة ح ١٨٨٠.

وقال سفيان الثوري: أدركنا الفقهاء وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل والفتيا حتى لا يجدوا بدًّا من أن يفتوا، وإذا أعفوا منها كان أحب إليهم.

وقال الإمام أحمد: ليعلم المفتي أنه يوقع عن الله أمره ونهيه، وأنه موقوف ومسئولٌ عن ذلك.

وكان ابن سيرين إذا سئل عن الشيء من الحلال والحرام تغير لونه وتبدل حتى كأنه ليس بالذي كان.

وكان النخعي يُسأل فتظهر عليه الكراهة ويقول: ما وجدت أحداً تسأله غيري؟ وقال: قد تكلمت، ولو وجدت بدًّا ما تكلمت، وإن زمانًا أكون فيه فقيه أهل الكوفة لزمان سوء.

وقال بعض العلماء لبعض المفتين: إذا سئلت عن مسألة فلا يكن همك تخليص السائل ولكن تخليص نفسك أولاً[1].

١٢- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم: معرفة قيمة الأوقات وتعميرها بالطاعات: فالوقت والنفس واللحظات والليل والنهار نعمة من أعظم نعم الله عز وجل على العباد، قال تعالى: ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا** ﴾ [إبراهيم: ٣٣-٣٤].

فالله عز وجل سخر لنا الليل والنهار من أجل أن نعمر ساعاتهما بالطاعات، وقال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا** ﴾ [الفرقان: ٦٢].

---

(١) شرح حديث (ما ذئبان جائعان) لابن رجب الحنبلي (١٤) باختصار، ط. دار الفتح.

قال بعض السلف: من فاتته طاعة الله عز وجل بالليل كان له من أول النهار مستعتب، ومن فاتته طاعة الله عز وجل بالنهار كان له من أول الليل مستعتب.

وقال النبي ﷺ: **(نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ)** [(١)].

وقال ﷺ: **(لن تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه)** [(٢)].

وقد كان السلف رضي الله عنهم أحرص الناس على أوقاتهم، لأنهم كانوا أعرف الناس بقيمتها. قال رجل لأحد العلماء: قف أكلمك. فقال: أوقف الشمس. وكان بعضهم إذا جلس عنده الناس فأطالوا الجلوس يقول: أما تريدون أن تقوموا، إن ملك الشمس يجرها لا يفتر.

قال الحسن البصري: أدركت أقوامًا كانوا على أوقاتهم، أشد منكم حرصًا على دراهمكم ودنانيركم.

وكانوا يقولون: من علامة المقت إضاعة الوقت.

مات ابن لأبي يوسف تلميذ أبي حنيفة فوكَّل بتغسيله ودفنه أحد جيرانه لئلا يفوته درس من دروس شيخه أبي حنيفة - رحمه الله -.

---

(١) رواه البخاري (١١ / ٢٣٣) الرقاق ح٦٤١٢، والترمذي (٤ / ٢٣شاكر) الزهد.

(٢) رواه الترمذي (٩ / ٢٥٣ عارضة) صفة القيامة، وقال: حسن صحيح، وحسنه الألباني بشواهده في الصحيحة.

١٣- **ومما** ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم: معرفة فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بواجبه بحسب القدرة والطاقة:

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم أسباب خيرية هذه الأمة. قال تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال النبي ﷺ: (**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**)[١].

فإنكار اليد واللسان بحسب القدرة والطاقة، وإنكار القلب واجب حتم، فإذا لم ينكر القلب المنكر دل على ذهاب الإيمان منه.

سمع ابن مسعود رضي الله عنه رجلاً يقول: هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر. فقال: هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر. **فما هو الصراط المستقيم في القيام بهذه العبادة:**

١- **العلم:** لا بد من العلم بالمعروف والمنكر، وكذا حال المأمور والمنهي.

٢- **الرفق:** قال النبي ﷺ: (**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ. وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لا يُعْطِي عَلَى العُنْفِ**)[٢].

---

(١) رواه مسلم (٢/ ٢٢-٢٥) الإيمان ح ٤٩، والترمذي (٩/ ١٨ عارضة) الفتن، وأبو داود (١١٢٨) صلاة العيدين ح ١١٤٠، والنسائي (٨/ ١١١، ١١٢) الإيمان، وابن ماجة (٤٠١٣) الفتن.

(٢) رواه البخاري (١٢/ ٢٨٠) الاستتابة ح ٦٩٢٧، ومسلم (١٦/ ١٤٦) البر والصلة ح ٢٥٩٣ واللفظ له.

٣- **الصبر** : قال تعالى : ﴿ **وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [لقمان: ١٧] .

٤- **النظر إلى المصالح والمفاسد** : فإذا كان الأمر بالمعروف يفوت معروفًا أكبر أو تترتب عليه مفسدة أكبر يحرم الإنكار .

٥- **الاستطاعة** : قال تعالى : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

وقال ﷺ : (**وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**)[١] .

١٤- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم : معرفة مراحل الدعوة إلى الله عز وجل والعبودية المطلوبة في كل مرحلة :

فحيث كان الصحابة الكرام مستضعفين بمكة لا دولة لهم ولا شوكة كانت العبودية في كف الأيدي وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وتحمل الأذى ، مع الاجتهاد في نشر الدعوة .

قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾ [النساء: ٧٧] .

وقال تعالى : ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ** ﴾ [الجاثية: ١٤] .

ولما بايع الأنصار الكرام رسول الله ﷺ بيعة العقبة الثانية أمر النبي ﷺ من كان بمكة بالهجرة إلى المدينة لإقامة الدولة الإسلامية وتقوية الشوكة ، فصارت العبودية المطلوبة في هذه المرحلة في ترك

---

(١) سبق تخريجه .

الأهل والوطن والمال والهجرة إلى المدينة امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ، ولما صار للمسلمين دولة وشوكة أُذن في الجهاد والجلاد، وصارت العبودية في الجهاد والجلاد، وإراقة دماء الكفار وإزهاق أرواحهم، فالواجب على المسلم أن يكون بصيرًا بزمانه، فيحدد المرحلة التي تعيشها الدعوة والواجب عليه في هذه المرحلة، فلا تحركه العواطف الهوجاء، بل ينبغي أن ينظر بعين الشرع لا الهوى، وأن يتحرك لإعزاز دين الله عز وجل إذا تيقن أو غلب على ظنه أن فيما يقوم به فيه إعزاز لدين الله ورفع رايته.

وهذا أيضًا من البصيرة الواجبة في هذا الزمان حتى لا تضيع الجهود، وتزهق النفوس دون ثمرة يجنيها المسلمون إلا الويلات والانتكاسات، وإزهاق أرواح الشباب المسلم، رجاء مصالح متوهمة بدون مكاسب حقيقية، أو حتى نكاية بأعداء الله عز وجل.

١٥- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم: الثقة بنصر الله عز وجل واليقين بوعده:

قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ [الصافات: ١٧٣].

وقال تعالى: ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الروم: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿ **وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً** ﴾ [الفتح: ٢٢-٢٣].

وقال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا** ﴾ [الفتح: ٢٨].

فطبيعة الحرب بين أولياء الله عز وجل وأعدائه أن تكون سجال، ينتصر المؤمنون في جولة من الجولات فتقوى شوكتهم وتزداد قوتهم، ويدال عليهم في جولة أخرى فيمحص الله ما في صدورهم، ويبتلي ما في قلوبهم، ويتخذ من شاء من الشهداء.

ولكن الجولة النهائية لا بد أن تكون لأولياء الله عز وجل، والعاقبة في الدنيا والآخرة للمؤمنين وحزب الله الموحدين، لما حدثت الهزيمة يوم أحد، وظن الناس أن هذه آخر الجولات، وأن المسلمين لن تقوم لهم قائمة، قال الله عز وجل: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران:١٣٧]. فالهزيمة يوم أحد لا يمكن أن تكون آخر الجولات: فسنة الله عز وجل في عباده أن تكون العاقبة للمتقين والهلاك والدمار للكافرين والمكذبين.

والله عز وجل قادر على إهلاك الكافرين والمكذبين كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد:٤].

فلا بد أن يتربى الشباب المسلم على الثقة بنصر الله واليقين بوعده كما تربى الصحابة ﷺ، حتى دانت لهم المشارق والمغارب، ونظر الخليفة المسلم هارون الرشيد إلى السحابة في السماء فقال: أمطري حيث تشائين فسوف يأتيني خراجك.

١٦- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم: معرفة الحضارة الإسلامية والمخططات اليهودية والنصرانية والماسونية التي تستهدف شباب المسلمين:

يقول الأستاذ **عبد الله ناصح علوان**: على المربين أن يُعرِّفوا الولد منذ أن يعي ويميز الحقائق التالية:

(أ) خلود هذا الإسلام وصلاحيته لكل الأزمنة والأمكنة، لما يمتاز به من مقومات الشمول، والخلود، والتجدد، والاستمرار.

(ب) آباؤنا الأولون وما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من عز وقوة وحضارة إلا بفضل اعتزازهم بهذا الإسلام، وتطبيقهم لأنظمة القرآن.

(ج) الكشف للولد عن المخططات التي يرسمها أعداء الإسلام:

المخططات الصهيونية الماكرة.

والمخططات الاستعمارية الغاشمة.

والمخططات الشيوعية الملحدة.

والمخططات الصليبية الحاقدة.

هذه المخططات التي تستهدف بجملتها محو العقيدة الإسلامية عن الأرض، وغرس بذور الإلحاد في الجيل المسلم، وإشاعة الميوعة والانحلال في الأسرة المسلمة، والمجتمع المسلم، والهدف البعيد والقريب من ذلك إخماد روح المقاومة والجهاد في شباب الإسلام، واستغلال ثروات البلاد الإسلامية، ثم بالتالي طمس معالم الإسلام في كل أرجاء المجتمعات التي ينتمي أهلها إلى الإسلام!!

(د) الكشف عن الحضارة الإسلامية التي كانت الدنيا بأسرها ترتشف من معينها حيناً من الدهر عبر التاريخ.

(هـ) وأخيرًا يجب أن يعرف الولد أننا أمة لم ندخل التاريخ بأبي جهل وأُبي بن خلف، ولكن دخلناه بالرسول العربي ﷺ وأبي بكر وعمر.

ولم نفتح الفتوح بحرب البسوس وداحس والغبراء، ولكن فتحناها ببدر والقادسية واليرموك، ولم نحكم الدنيا بالمعلقات السبع، ولكن حكمناها بالقرآن المجيد.

ولم نحمل إلى الناس رسالة اللات والعزى، ولكن حملنا إليهم رسالة الإسلام ومبادىء القرآن[١].

١٧- ينبغي أن يتربى الشباب المسلم على: الخشونة والرجولة وترك التنعم والترفه:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما بعث به إلى اليمن قال: **(إياك والتنعيم، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين)**[٢].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: ذكر أصحاب رسول الله ﷺ عنده الدنيا. فقال رسول الله ﷺ: **(ألا تسمعون: أن البذاذة من الإيمان)**[٣].

والبذاذة هى رثاثة الهيئة، وقيل القشافة أي التقشف.

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام (١/٢٨٦، ٢٨٧).

(٢) رواه أحمد (٥/٢٤٣، ٢٤٤)، وأبو نعيم في الحلية، وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/٢٥٠)، وكذا المنذري في الترغيب والترهيب (٣/١٥٥) وقالا: رجاله ثقات.

(٣) رواه أبو داود (٤١٦١) الترجل، وابن ماجة (٤١١٨)، والحاكم (١/٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٤١).

وعن عبيد الله بن بريدة أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ رحل إلى فضالة بن عبيد وهو بمصر فقدم عليه فقال: أما إني لم آتك زائراً ولكني سمعت أنا وأنت حديثًا من رسول الله ﷺ رجوت أن يكون عندك منه علم. قال: وما هو؟ قال: كذا وكذا. قال: فما لي أراك شعثًا وأنت أمير الأرض؟ قال: إن رسول الله ﷺ كان ينهانا عن كثير من الإرفاة(١).

قال الخطابي: والإرفاة: الإكثار من الزينة، والتدلك، والتدهن، والترجيل ونحو ذلك من أمر الناس، فأمر بالقصد في ذلك، وليس معناه ترك الطهارة والتنظيف، فإن الطهارة والنظافة من الدين(٢).

فطالبت السنة المطهرة بالتعود على التقشف لأن المتقلب في الترف والنعيم عندما يكبر يسترسل في الترف والملذات، فيختار دائماً الطريق السهل، ولا يمكن أن يركب الصعب، وقد يهرب من المسئولية ويجبن عند لقاء الأعداء، بل قد يفر في معارك الرجال، وذلك لأنه نشأ نشأة لينة طرية لا رجولة فيها ولا خشونة، ولا صبر فيها ولا مصابرة. والأمة التي تنشئ جيلاً ناعمًا لا يصلح لشدائد الحياة.

مر النسيم يجرح خديه   ولمس الحرير يدمي بنانه(٣)

---

(١) رواه أبو داود (٤١٦٠) الترجل، والنسائي (٨/ ١٣٢)، وأحمد (٦/ ٢٢).
(٢) معالم السنن (٤/ ٢٠٨).
(٣) منهج التربية النبوية في تربية الإنسان (٩٦، ٩٧).

(ب) مفاهيم خاطئة يتربى عليها الشباب المسلم ينبغي التنبيه عليها والحذر منها:

كثير من جماعات الدعوة في الساحة الإسلامية يربون أبناءهم على مفاهيم خاطئة، يظنون صحتها أو خطأها، ولكنها وسيلة توصلهم إلى الهدف الذي يهدفون إليه، وكونها وسيلة إلى هدف مشروع يكفي عندهم لأن تكون في ذاتها مشروعة، وهذا الظن ظن خاطئ، فالغاية لا تبرر الوسيلة، فمهما كانت الغاية مشروعة لا بد أن تكون الوسيلة كذلك مشروعة، ونحن لا نقصد بهذا المبحث التجريح بهم والطعن فيهم، فليس في ذلك مصلحة شرعية، وإنما نقصد النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، والله من وراء القصد. ولذلك نكتفي بذكر هذه المفاهيم الخاطئة دون عزو إلى فرد أو جماعة اقتداء برسول الله ﷺ في قوله: **(ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا)**[١].

١- فمن هذه المفاهيم الخاطئة التي تُربي عليها بعض الجماعات من ينتسب إليها: الاستهانة بأمر العقيدة:

فلا مانع من أن يضم صف الجماعة الجهمي والمعتزلي والصوفي، ما دام ولاؤهم لجماعتهم، وسمعهم وطاعتهم لقادتهم، وليتهم يضمون هؤلاء الأفراد ذوي العقائد المخالفة ثم يتعلمون في داخلهم العقيدة الصحيحة نتيجة لاهتمام الجماعة بأمر العقيدة، وتبنيها عقيدة السلف ﷺ، فأي أمة تقام بهؤلاء الأفراد وقلوبهم شتى، وعقائدهم

---

(١) رواه أبو داود في الأدب، باب في حسن العشرة ح ٤٧٨٨، وصححه الألباني، الصحيحة ٢٠٦٤.

مختلفة شذر مذر، وهم مخالفون لأوجب الواجبات عليهم، وهو معرفة الله عز وجل بالدليل، وإفراده تعالى بالعبادات، وكيف تأتلف قلوب هؤلاء الأفراد ويترابط هذا المجتمع مع اختلاف العقائد، ثم كيف تقوم بهم دولة الإسلام ويرفعون راية الملك العلام مع هذه العقائد الباطلة المخالفة لعقيدة السلف ﷺ؟ والخلافة حين تعود لا بد أن تعود على منهاج النبوة، فلا بد من جمع الناس على العقيدة الصحيحة، وتعميق الإيمان بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر في قلوبهم، وتحذير الأفراد وتحصينهم من العقائد الباطلة والأقوال العاطلة.

٢- ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يربى عليها الشباب المسلم: غرس بذور التقليد في قلوبهم وتربيتهم على التعصب لمذهب من المذاهب المتبعة بدلاً من تربيتهم على التعصب لسنة رسول الله ﷺ، وترك العمل بكل قول جاء حديث النبي ﷺ بخلافه، مع أن الأئمة الأربعة دلوا الأمة على اتباع رسول الله ﷺ، وترك أقوالهم إذا صح الحديث بخلافها، فقال الإمام الشافعي: إن صح الحديث فهو مذهبي، واضربوا بكتابي هذا عرض الحائط.

وقال الإمام أبو حنيفة: حرام على من لم يعرف دليلنا أن يتبع مذهبنا.

وأدهى من ذلك وأمرُّ تربية الأفراد على الطاعة العمياء لقادة الجماعة، ويستدلون بقول النبي ﷺ: **(مَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي)** [١].

---

(١) رواه البخاري (١١٣/١١٩) الأحكام ح ٧١٣٧، ومسلم (١٨٣٥) الإمارة، واللفظ له وأوله: (من أطاعني فقد أطاع الله).

ونسوا أو جهلوا أن طاعة الأمير مقيدة بطاعته لله عز وجل أو لرسوله ﷺ، وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق عز وجل.

ونسوا كذلك قول أبي بكر رضي الله عنه لما استخلف: أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم.

روى البخاري في صحيحه عن علي رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ سرية، وأمَّرَ عليهم رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب عليهم وقال: أليس قد أمر النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى. قال: عزمت عليكم لما جمعتم حطبًا وأوقدتم نارًا ثم دخلتم فيها، فجمعوا حطبًا فأوقدوا نارًا، فلما هموا بالدخول فقام ينظر بعضهم إلى بعض. قال بعضهم: إنما تبعنا النبي ﷺ فرارًا من النار أفندخلها؟ فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه، فذكر للنبي ﷺ فقال: (**لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا إنما الطاعة في المعروف**)[1].

٣- ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي تربى عليها الشباب المسلم: قولهم بأن كل مجتهد مصيب وأن الحق متعدد:

والحق أن الحق واحد لا يتعدد، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا** ﴾ [الأنبياء:٧٩].

وقوله ﷺ: (**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**)[2]. فالمجتهد مأجور على كل حال، لأنه بذل

---

(١) رواه البخاري (١٣ / ١٢٠) الأحكام ح ٧١٤٥.

(٢) رواه البخاري (١٣ / ٣٣٠) الاعتصام ح ٧٣٥٢، ومسلم (١٢ / ١٣) الأقضية ح ١٧١٦، وأبو داود (٣٥٥٧ عون) الأقضية.

جهداً في تحصيل أدوات الاجتهاد، وقصد الحق وبذل جهده في الوصول إليه، فإن وفق إلى الحق فله أجران وإن لم يوفق للحق فله أجر واحد وهو معذور.

أما استدلالهم على أن الحق متعدد بقول النبيﷺ : **(لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة)**، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيهم، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبيﷺ فلم يعنف واحداً منهم[١]، واستدلالهم بهذا الحديث غير مسلم.

قال الحافظ: ثم الاستدلال بهذه القصة على أن كل مجتهد مصيب على الاطلاق ليس بواضح، وإنما فيه ترك تعنيف من بذل وسعه واجتهد، فيستفاد منه عدم تأثيمه، وحاصل ما وقع في القصة أن بعض الصحابة حملوا النهي على حقيقته ولم يبالوا بخروج الوقت ترجيحاً للنهي الثاني على النهي الأول – وهو ترك تأخير الصلاة عن وقتها – والبعض الآخر حملوا النهي على غير الحقيقة، وأنه كناية على الحث والاستعجال والإسراع إلى بني قريظة، وقد استدل به الجمهور على عدم تأثيم من اجتهد، لأنه ﷺ لم يعنف أحداً من الطائفتين، فلو كان هناك إثم لعنف من أثم[٢].

---

(١) رواه البخاري (٧ / ٤٧١) المغازي ح ٤١١٩ .

(٢) باختصار من فتح الباري (٣/ ٤٧٣).

٤- ومن هذه المفاهيم الخاطئة: قولهم لا إنكار في الخلافيات:

فإن كانوا يقصدون المسائل الاجتهادية - وهي التي لم يرد فيها بخصوصها نص، وكان مستند العلماء فيها القياس، أي يقيسون المنصوص عليه على المنصوص لتشابه بينهما - فهذا حق، فلا ينكر عالم مجتهد على آخر في هذه المسائل الاجتهادية، ويجب على كل منهما أن يفعل ما أداه إليه اجتهاده، وكذا المسائل التي فيها نص غير واضح الدلالة، واختلفت فيه أنظار الفقهاء. أما المسائل التي وردت فيها نصوص من الكتاب أو السنة، والخلاف فيها غير سائغ فبعضهم يستدل بالأدلة الصحيحة الصريحة، والمخالف له يخالفه بقياس فاسد، أو باتباع للرأي والهوى، كمسائل: التصوير، واللحية، ومصافحة النساء، والسفر بغير محرم، فهذه ليست مسائل اجتهادية، والواجب على المسلم إذا بلغه الحكم من الكتاب والسنة أن يقول به ويذهب إليه، ولا يجوز أن يعارضه بقياس فاسد، أو خطأ مجتهد، فإذا اتبعت زلة كل عالم اجتمع فيك الشر كله، فتمييع القضايا بهذه الطريقة يعود على جزء كبير من الشريعة بالهدم، وتصويب كل قول قاله عالم أو مال إليه فقيه ليس بصحيح، فهذه الأقوال قد تكون متعارضة فكيف يصح القول ونقيضه، فالله عز وجل ما تعبدنا باتباع كل عالم، ولكنه تعبدنا باتباع رسوله ﷺ فقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فكل من دلنا على حديث النبي ﷺ وأوقفنا على دليله من الكتاب أو السنة فنحن معه، وهذه منزلة الاتباع اللائقة بطلاب العلم، فلا يليق بطالب العلم التقليد، وكذا لا يجوز له الاجتهاد، لانه لم يحصل أدوات النظر المباشر، فاللائق به أن ينظر في المسائل التي اختلف فيها ويتبع أكثرهم اتباعًا لرسول الله ﷺ، وأسعدهم بالسنة.

٥- ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي تربى عليها الشباب المسلم: تقديم الآراء والأقيسة الفاسدة على النصوص الصريحة الواضحة:

وهذا باب عظيم من أبواب الشر، وسوء أدب مع الله عز وجل ومع رسوله ﷺ، لأنهم يعطلون بذلك ما يشاءون من نصوص الشريعة بعقولهم السخيفة وأفكارهم الرديئة، فإن كل قياس - وإن كان حسنًا من حيث النظر - إذا صح الحديث بخلافه فهو مردود بالقادح المسمى فساد الاعتبار، وإنما يلجأ العلماء للقياس عند عدم النص، فهو كأكل الميتة للمضطر، وكما يقولون: إذا جاء الأثر بطل النظر، وإذا طلع الصباح أغنى عن المصباح.

٦- ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يربى عليها الأفراد في بعض جماعات الدعوة: التعصب للجماعة وقادتها، وقطع المولاة بينهم وبين أفراد بقية الجماعات:

وقد تكون هذه العصبية للجماعة ذريعة للوقوع في الجماعات الأخرى، أو لاستباحة أعراضهم بالغيبة والبهتان، وكذا تتبع العورات، واشتغال كل جماعة بعيوب الأخرى، فيكون التنازع والفشل وتضيع الجهود، وتمرض القلوب، وإن كانت هذه الآفة قد اختفت أو قل وجودها في بعض المناطق، فقد ظهرت في أماكن أخرى، والعجيب الغريب أن هذا التعصب موجود عند الجماعات التي تعتقد اعتقاد السلف، وتنتهج نهج السلف في فهم الكتاب والسنة، نتيجة لاختلاف اللافتات المرفوعة، فأسماء السلفية، وأنصار السنة، وأهل السنة، وأهل الحديث مسميات لمسمى واحد، وهم الذين يعتقدون

اعتقاد السلف، وينتهجون نهج السلف في فهم الكتاب والسنة، فلا ينبغي أن تكون هذه الأسماء مدعاة للعصبية والفرقة، وعلى الدعاة والمربين أن يربوا الناس على الولاء للجماعة الأولى: جماعة الصحابة ومن على شاكلتها عبر القرون، فتذوب بذلك هذه العصبيات المقيتة إذا تربى أفراد هذه الجماعات التي تنتهج منهج السلف على الولاء للجماعة الأم، والمحبة لمن كان على هذا المنهج عبر القرون.

٧- **ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يتربى عليها بعض الأفراد في بعض جماعات الدعوة: تقسيم الدين إلى قشور ولباب:** وهذا التقسيم من أجل إهمال ما أسموه بالقشور بحجة أنهم مشغولون باللباب، وهذا التقسيم متهافت لا دليل عليه من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ. بل الأدلة من الكتاب والسنة على خلافه. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**﴾ [البقرة:٢٠٨] أي في كل شرائع الإسلام، وقال النبي ﷺ: (**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**)[١].

يقول الدكتور عمر الأشقر: ومن هنا يجب الاعتناء بفعل الأعمال التي فرضها الله علينا أو حبب إلينا فعلها، وترك ما نهى عنه من أعمال، لأن ذلك جزء من الإيمان، فالعمل المتروك وإن كان قليلاً ينقص من الإيمان بذلك المقدار، ومن هنا يجب أن ينتبه الذين يهونون من شأن العمل بسنة الرسول ﷺ والتزامها إلى خطورة موقفهم، وقد يتعدى بعض هؤلاء طوره فيصف أموراً من السنن أو الدين بأنها

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٣.

قشور، ونسأل الله أن يعفو عن هؤلاء، فإن الدين كله لباب لا قشور فيه، وإن تفاوتت أمور الدين في الأهمية، ولا يفهم من قولنا هذا أننا لا نعتني بالأولويات في العلم والعمل والدعوة إلى الله، فهذا أمر ينبغي أن يكون مقرراً ومعلوماً، ولكن الذي ننكره هو ترك الجزئيات، ولوم الذين يلزمون أنفسهم بالصغير والكبير من أمر الإسلام، وسنة المصطفى ﷺ، وكم يؤثر في نفسي مشهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما طعن ودخل عليه شاب وقال لعمر قولاً حسناً فلما أدبر ذلك الشاب ليخرج، وكان ثوبه طويلاً دعاه عمر وقال: يا ابن أخي قصر ثوبك فإنه أنقى لثوبك، وأرضى لربك. لم يمنعه ما هو فيه (الموت) أن يرشد الرجل إلى أمر يعده كثير من الناس اليوم من القشور التي لا يجوز أن يعنى بها[1].

٨- ومن هذه المفاهيم الخاطئة: الانزلاق إلى ترهات العمل السياسي والإغراق فيه استناداً إلى قول أحد المفكرين المعاصرين المنظرين لبعض الجماعات الإسلامية المعاصرة، يقول تحت عنوان: «الطريق إلى الصحة والنصر بإذن الله»:

«وبقدر ما ينجح المسلمون في إيجاد ناس منهم أصحاب ثقل في العمل السياسي، وبقدر ما ينجحون في إيجاد ناس منهم أصحاب ثقل في العمل التربوي والتعليمي، وبقدر ما ينجحون في إيجاد ناس منهم

(١) العقيدة في ضوء الكتاب والسنة «العقيدة في الله» (١٨) ط. مكتبة الفلاح، ودار النفائس، وانظر كذلك رسالة «بدعة تقسيم الدين إلى قشور ولباب» لمحمد أحمد ابن إسماعيل - حفظه الله -.

أصحاب ثقل في الشئون المالية والاقتصادية، وبقدر ما ينجحون في إيجاد ناس منهم أصحاب ثقل في كل اختصاص، بقدر ما ينجحون بهذا كله يكون ثقلهم حقيقيًا، وبقدر ما يخفقون في هذا كله أو شيء منه فإن الغثائية فيهم ستستمر» .

وهذا كلام منسلخ من الأدلة، وما هو إلا اتباع الظن، والظن كما قال الله عز وجل: ﴿ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾[النجم:٢٨]. وأين هذا من هدي النبي ﷺ في إقامة الدولة الإسلامية، وتربية أصحابه بالقيام والصيام وتلاوة القرآن، هل زج بالصحابة الكرام في تعلم المهاترات السياسية، أو تعلم الاقتصاد حتى يكون لدعوته ثقل، أم رباهم بالتوحيد وسقاهم القرآن المجيد، وقام وقاموا معه كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [المزمل:٢٠] والذي يستغرب في هذا المنهج هو الاهتمام بالسياسة والاقتصاد وإهمال تعلم العقيدة، والارتقاء بأحوال الناس الإيمانية، والتربية على البذل والجهاد وحب الاستشهاد، والاهتمام بالعلوم التجريبية، وإهمال العلوم الشريفة الشرعية، وكلماتهم التي تتردد دائمًا: نحن نحتاج إلى الطبيب المسلم، والمهندس المسلم، وهذا حق ولكن حاجتنا إلى العالم المسلم، والمربي المسلم، والمجاهد المسلم أشد .

وأترك الرد على هذا الفكر لصاحب المعالم والظلال – رحمه الله -- يقول – رحمه الله –: «حقيقة ينبغي أن يتأملها المؤمنون الداعون إلى الله في كل أرض وفي كل جيل أن المعركة بين المؤمنين وخصومهم هي في صميمها معركة عقيدة، وليس شيئًا آخر على الإطلاق، إن

خصومهم لا ينقمون منهم إلا الإيمان، ولا يسخطون منهم إلا العقيدة، إنها ليست معركة سياسية، ولا معركة اقتصادية، ولا معركة عنصرية، ولو كانت شيئاً من هذا لسهل وقفها أو سهل حل إشكالها، ولكنها في صميمها معركة عقيدة، إما كفر وإما إيمان، إما جاهلية وإما إسلام، ولقد كان كبار المشركين يعرضون على رسول الله ﷺ المال والحكم والمتاع في مقابل شيء واحد وهو أن يدع معركة العقيدة، وأن يداهن في هذا الأمر، ولو أجابهم - حاشاه - إلى شيء مما أرادوا ما بقيت بينهم وبينه معركة على الإطلاق.

إنها قضية عقيدة، ومعركة عقيدة، وهذا ما يجب أن يستيقنه المؤمنون حيثما واجهوا عدواً لهم، فإنه لا يعاديهم إلا لهذه العقيدة ﴿**إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ [البروج:٨] ويخلصوا له وحده الطاعة والخضوع[١].

فرحمة الله على صاحب الظلال والمعالم الذي بذل عمره وجاد بروحه من أجل أن تتضح قضية من قضايا التوحيد، وهي أن الحكم من صلب العقيدة، ومن تمام التوحيد، فالحكم بغير شرع الله كفر، والرضا بالكفر كفر ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة:٤٤].

وقال تعالى: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [يوسف:٤٠].

---

(١) معالم في الطريق لسيد قطب - رحمه الله - ص (١٨٥-١٨٦) دار الشروق.

٩- ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يربى عليها بعض الشباب المسلم: الغلو والتنطع واتباع العاطفة الهوجاء لا تنضبط بضوابط الكتاب والسنة، فيُخْرِجون من الإسلام ويحكمون بالكفر على من تلبس ببعض المعاصي الظاهرة، وإن كانت هذه المعاصي لا تنافي أصل التوحيد، ولا يستحلها أصحابها.

وقد قال الطحاوي - رحمه الله -: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله..»[1] **فالمعاصي بمجردها لا تدل على خروج صاحبها من ملة الإسلام ودخوله في الكفر، وقد قال النبي ﷺ لمن لعن من شرب الخمر: (لا تلعنوه فوالله ما علمت؟ أنه يحب الله ورسوله..)**[2] فالمعاصي لا تنافي أصل الإيمان، ولكن تنافي كمال الإيمان.

وقال الطحاوي - رحمه الله - كذلك: «.. ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه..»[3] فقد جعل الله عز وجل للإسلام باباً وهو الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله فمن فعل فعلاً أو قال قولاً يتنافى مع هذا الإقرار السابق يخرج به من ملة الإسلام إلى ملة الكفر. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨].

وقال ﷺ: **(من قال لا إله إلا الله نفعته يومًا من دهره، أصابه قبل ذلك ما أصابه)**[4].

---

(١) شرح الطحاوية (٢/٤٣٢) لابن أبي العز بتحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط ط. الرسالة.

(٢) رواه البخاري (١٢/١٧٩) الحدود ح ٦٧٨٠.

(٣) شرح الطحاوية (٢/٤٥٨).

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٥/٤٦)، والبيهقي في الشعب رقم (٩٧)، وصححه الألباني في الصحيحة.

وقال ﷺ : (يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ)[١] .

يقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق - حفظه الله - : «ولكن التشدد والتطرف الذي هو آفة الآفات، وغاية الشرور، وسبيل هدم الدين وتمزيق جماعة المسلمين هو الغلو في التكفير، والتنطع بإخراج المسلم عن الإسلام بالمعصية التي لا تبلغ درجة الكفر، واستحلال دمه وماله بذلك، وهذا النوع من الغلو هو الذي فرق أمة الإسلام على عهدها الأول، ففي طريقة استحلت طائفة من المسلمين دم الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، زاعمين أنه لا يسير على طريقة الشيخين، واستحلوا بعد ذلك قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه . .»[٢] .

١٠- ومن هذه **المفاهيم الخاطئة** التي يربى عليها بعض الشباب المسلم: **التهور الحركي، وسرعة الانجراف** في عمليات بائسة يائسة، **لا يجني الإسلام والمسلمون منها إلا** الويلات والانتكاسات، ولا يحصل بها المقصود من عز الإسلام والمسلمين، بل تستأصل بسببه الدعوة، ويذهب الدعاة خلف الأسوار، لا ينتفع بهم ولا ترتفع بهم راية الإسلام، أو يستهان بدمائهم فلا يبقى لهم عين ولا أثر.

عن سليمان بن علي الربعي قال: لما كانت الفتنة - فتنة ابن الأشعث - إذ قاتل الحجاج بن يوسف، انطلق عقبة بن عبد الغافر وأبو الجوزاء وعبد الله بن غالب في نظرائهم فدخلوا على الحسن،

---

(١) رواه البخاري (١٣ / ٤٨١، ٤٨٢) التوحيد ح ٧٤٤٠، ومسلم (١٨٣) الإيمان مطولاً، والترمذي (٢٥٩٨) صفة جهنم واللفظ له.

(٢) فصول من السياسة الشرعية في الدعوة (١٢٥، ١٢٦) باختصار.

فقالوا: يا أبا سعيد ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام، وترك الصلاة، وفعل وفعل؟ قال: وذكروا من فعل الحجاج. قال: فقال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه، فإنها أن تك عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين. قال: فخرجوا من عنده وهم يقولون: نطيع هذا العلج. قال: وهم قوم عرب. قال: وخرجوا مع ابن الأشعث فقتلوا جميعًا[١].

عن الحسن قال: لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يفرج عنهم، ولكنهم يجزعون إلى السيف فيوكلون إليه فوالله ما جاءوا بيوم خير قط[٢].

ولا شك في أن تجربة الجزائر خير شاهد على أن هذه الشجرة لا تثمر إلا الحنظل، والمتتبع لتاريخ الإسلام عبر القرون يزداد يقينًا بأن هذه الطريق كلها دماء وأشلاء، وليس فيها خير للإسلام وأهله.

بل تعمد بعض الحكومات الجائرة والسلطات الجاهلية إلى افتعال مثل هذه الأفاعيل، وبالإعلام الفاجر الكاذب يوهمون الدهماء والعامة أنه من فعل الجماعات الإسلامية، حتى يبرروا استئصال النبت الإسلامي، وتشويه الصحوة، وضرب الحركة، وهذا تطرف حركي في هذه الدعوات كما أن الغلو في التكفير تطرف عقدي.

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/١٦٣، ١٦٤) ط. دار صادر.
(٢) طبقات ابن سعد (٧/١٦٣).

١١- **ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يربى عليها بعض الأفراد في إحدى جماعات الدعوة**: أن إنكار المنكر واجب باليد ولو ترتب على **الإنكار منكر أكبر**.

وهذا القول لا شك منكر يجب إنكاره، ولا يقوله من له أدنى حظ من العلوم الشرعية، لأن الشرعية أتت لتحصيل المصالح وتكثيرها وتقليل المفاسد وإعدامها، والواجب في كل حال من الإنكار هو إنكار القلب، كما سمع ابن مسعود رجلاً يقول: هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر. فقال: هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر. وقال: يوشك من عاش منكم أن يرى منكرًا لا يستطيع له غير أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره، والأدلة على إبطال هذا القول كثيرة شهيرة، فمن ذلك: قصة الأعرابي الذي بال في المسجد فأنكر عليه الصحابة ﷺ ونهاهم النبي ﷺ لأنه شرع في المفسدة ولوث جزءاً من المسجد فلو أنكر عليه لما استطاع أن يقطع بوله ولأدى ذلك إلى تلوث أماكن أخرى من المسجد، وكذا لما قيل للنبي ﷺ اقتل ابن أُبَيّ المنافق فقال: **(لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ)** [١].

فتحمل النبي ﷺ غدرات ابن أُبَي وإن كانت مفاسد، خشية هذه المفسدة العظمى، وهي أن يقول الناس: إن محمداً ﷺ يقتل أصحابه.

١٢- ومن هذه المفاهيم الخاطئة: قول بعض قيادات إحدى الجماعات الإسلامية - وهي كالقانون عندهم -: لا نتكلم في أمراض الأمة :ولا شك في أن هذا من أمراض هذه الجماعة، وعلامات بعدها

---

(١) رواه البخاري ح ٤٩٠٥ تفسير القرآن، ومسلم ح ٢٥٨٤ البر والصلة والآداب.

عن هدي الرسل، فإن من هدي الرسل معالجة أمراض الأمة بالإضافة إلى دعوتهم إلى التوحيد، وطاعة العزيز الحميد، فهذا شعيب – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – يقول لقومه:

﴿ **إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾[الشعراء:١٧٨–١٨٣].

وقال لوط ﷺ لقومه: ﴿ **أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ** ﴾ [الأعراف:٨٠–٨١].

فالرسل الكرام يعالجون أمراض الأمة بالإضافة إلى دعوتهم إلى التوحيد، وإذا تركت الأمراض تنخر في عظام الأمة فقد تقضي عليها، فلا ينفعها نصح الناصحين ووعظ الواعظين، وتحق الكلمة عليهم أنهم من أصحاب الجحيم.

١٣– ومن هذه المفاهيم الخاطئة: قول بعض قادة إحدى جماعات الدعوة التي تستهين بطلب العلم: إن الصحابة لم يكن فيهم من العلماء إلا أربعة.

وهذا من الجهل البليغ والغفلة الشنيعة، ولعلهم يستدلون بحديث البخاري: (**خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب**) [(١)].

---

(١) رواه البخاري (٨/٦٦٢) فضائل القرآن ح ٤٩٩٩.

قال الحافظ: ولا يلزم من ذلك أن لا يكون أحد من ذلك الوقت شاركهم في حفظ القرآن، بل كان الذين يحفظون مثل الذين حفظوا وأزيد، منهم جماعة من الصحابة، وقد تقدم في (غزوة مؤته) أن الذين قتلوا بها من الصحابة كان يقال لهم القراء، وكانوا سبعين رجلاً[١].

ولعلهم بذلك يبررون إعراضهم عن العلم، وعزة العلماء فيهم، وتصدر من هو حديث عهد بالطاعة والعبادة للدعوة، وفاقد الشيء لا يعطيه، والدعوة إلى الله عز وجل لا بد أن تكون على بصيرة، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف:١٠٨]، ومن تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه، وإذا تصدر الحدث فاته علم كثير.

١٤- ومن هذه المفاهيم الخاطئة: قول أحد أئمة بعض الجماعات الإسلامية: أصل الأصول الحب في الله:

وهذا لا شك إهدار لفضل التوحيد، وجهل بالدين المجيد فأصل الأصول هو التوحيد، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقال تعالى: ﴿**وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ**﴾ [الزخرف:٤٥].

فما أمرت الرسل بأمر قبل التوحيد، ولا نهت عن شيء قبل الشرك، وكل دعوة لا تهتم بأمر التوحيد ولا تجعل التوحيد نصب عينيها فهي دعوة على غير هدى المرسلين.

---

(١) فتح الباري (٨/٦٦٣)، وقوله في «غزوة مؤتة» الصحيح «حادثة بئر معونة» كما هو ثابت في السيرة.

والحب في الله ثمرة من ثمرات محبة الله عز وجل، والمحبة عبادة قلبية، وهي جزء من التوحيد، لا يكفي لدخول الجنة والنجاة من النار، فمن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد.

والقلب في سيره إلى الله عز وجل مثله مثل الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فإذا سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، وإذا قطع الرأس مات الطائر، وإذا كسر الجناحان أو أحدهما صار عرضة لكل صائد وكاسر.

١٥- ومن المفاهيم الخاطئة التي يربى عليها بعض الشباب المسلم: عدم الاهتمام بالهدي الظاهر واعتباره من سفاسف الأمور التي لا ينبغي الاشتغال بها، فيعطلون بذلك نصوصاً كثيرة: كالأمر بإعفاء اللحى وحف الشوارب، وكذا النهي عن التشبه بالكفار واتباع سنتهم، وكذا إهمال النساء أوامر الحجاب الشرعي، وما دروا أن صلاح الظاهر هو عنوان صلاح الباطن، وقد قال عمر بن الخطاب ﷺ: «من أظهر لنا خيراً ظننا به خيراً وأحببناه عليه، ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه».

والواجب على المسلم أن يدخل في جميع شرائع الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨] فالواجب على المسلم أن ينقاد ظاهره وباطنه لشرع الله، وأن يعظم شعائر الله، ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢].

وإصلاح الظاهر لا يشغل بحال من الأحوال عن إصلاح الباطن، بل يعين عليه، ويدفع إليه، فمهما كان العبد ملتزمًا في الظاهر بشرع الله فإنه يستحي من المخالفات الظاهرة، لأنه ينتسب في الظاهر للشرع المتين، وقد حكى أحد الدعاة - وفقه الله - أن رجلاً أخبره أنه كان يريد أن يقترف معصية معينة، وكان المانع له من هذه المعصية وجود اللحية في وجهه، فسول له الشيطان حلق لحيته، فلما حلقها قارف المعصية ولم يجد ما يحجزه عنها، فنسأل الله السلامة والعافية.

١٦- ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يربى عليها بعض الشباب المسلم: عدم التوازن في تحصيل العلوم الشرعية،فقد يصل طالب العلم إلى أدق مسائل علم التجويد والقراءات وهو جاهل بالتوحيد أو فقه العبادات، كما يتعمق بعض الطلاب في علم الحديث حتى يظن أنه في رتبة شعبة وسفيان، وهو بعد لم يحصل القدر الواجب من العلوم الشرعية، فهو جاهل بالتوحيد والفقه والتفسير، فدراسة العلم بهذه الطريقة غير المتكافئة قد توقع الطالب في شيء من العجب أو الكبر، وتظهر هذه الآفات في كتب المتعالمين الذين يُوَهِّمُون الأئمة ويزاحمون كبار المحققين بأقوالهم واجتهاداتهم، فيقول الواحد منهم: وهم يحيى، وفي الغالب هو الواهم، فليس بالأمر الهين توهيم هؤلاء العلماء وتخطئتهم، لأنهم جبال في الحفظ والإتقان، ولعل المتعالم اختلط عليه راو باسم راو آخر في نفس الطبقة، أو صحح حديثًا بظاهر السند والحديث معلول عند العلماء، وعلى كل حال الواجب على طالب العلم أن يكون متوازنًا في تحصيل العلوم الشرعية، وأن يبدأ بالأهم فالمهم.

[٣]

التربية الإيمانية



[٢] التربية الإيمانية

ويقصد بها العمل على زيادة الإيمان بالله عز وجل واليوم الآخر، وتعميق معاني الإيمان، والارتقاء بالقلوب حتى تجد حلاوة الإيمان وتحب طاعة الرحمن وتنأى عن الفسوق والعصيان، وانظر طريقة القرآن في تعميق الإيمان بالآخرة في قلوب الصحابة ﷺ، كان القرآن المكي يقرر ويكرر أمور الآخرة على قلوب الصحابة ﷺ، حتى صاروا كأنهم يعاينون الآخرة بعيني رؤوسهم، فهانت عليهم أنفسهم، وبذلوا جميع ما يملكون طلبًا لجنة الله عز وجل، ورغبة في رضاه، فتارة يخبر الله عز وجل بالآخرة خبرًا مؤكدًا، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا** ﴾ [طه: ١٥].

وتارة يقسم الله عز وجل بوقوعها، كما قال تعالى: ﴿ **وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ** ﴾ [الذاريات: ١-٦].

وتارة يأمر نبيه بالإقسام على وقوعها، كما قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ** ﴾ [سبأ: ٣].

وتارة يذم الله عز وجل المكذبين بها، كما قال تعالى: ﴿ **قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ** ﴾
[الأنعام: ٣١].

وتارة يمدح المؤمنين بها، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وتارة يخبر الله عز وجل بقرب القيامة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦-٧] ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

فالإيمان كما قرر السلف يزيد وينقص، يزيد بكثرة الأدلة وقوتها، وينقص بالجهل، والغفلة، والمعاصي، ومهما ازداد الإيمان يسهل على العبد الطاعات والبعد عن المعاصي والعثرات، ومهما نقص الإيمان تعثر العبد في الخطيئات، وسقط في الظلمات، وأعرض عن رب الأرض والسموات، قال النبي ﷺ: (لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ...)[١] فكان مما يميز القرآن المكي الإكثار من ذكر الآخرة، وكذا اشتماله على القصص القرآني الذي يتسلى به الصحابة الكرام وهم يعانون أشد ألوان العذاب بمكة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «... إنما نزل أول ما نزل منه - [أي من القرآن] - سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار - تعني رضي الله عنها سورة

---

(١) رواه البخاري (١٠ / ٣٣) الأشربة ح ٥٥٧٨، ومسلم (٢ / ٤١) الإيمان ح ٥٧.
قال النووي: القول الصحيح الذي قاله المحققون: إن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره، كما يقال: لا علم إلا ما نفع ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا الآخرة، شرح النووي على صحيح مسلم (٢ / ٤١).

المدثر، وهي ثاني سورة نزولاً، وفيها يقول الله عز وجل: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر:٨]. وقوله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً﴾ [المدثر:٣١]. وقوله جل وعلا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [المدثر:٣٨-٤١] حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام. ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر:٤٦] وما نزلت البقرة والنساء إلا وأنا عنده»[١].

ومما ربى الله عز وجل به الإيمان في قلوب الصحابة ﷺ فرض قيام الليل في ابتداء الدعوة، عن عائشة ﷺ قالت: « .. إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَوْلاً، وَأَمْسَكَ اللَّهُ خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْراً فِي السَّمَاءِ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ التَّخْفِيفَ فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعاً بَعْدَ فَرِيضَةٍ... »[٢].

وإنما قصدت ﷺ الأمر بقيام الليل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل:١-٤] وقصدت بالتخفيف الآية الأخيرة من

---

(١) رواه البخاري فضائل القرآن باب تأليف القرآن ح ٤٩٩٣ .

(٢) رواه مسلم (٦/ ٢٦) صلاة المسافرين ح ٧٤٦، وأحمد (٦/ ٥٤)، وأبو داود (٨/ ١٣ عون) الصلاة، والنسائي (٤/ ١٩٩) قيام الليل.

السورة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠]. أليس من الغريب العجيب أن يفرض قيام الليل قبل أن تفرض الصلوات الخمس، وقبل أن تنزل الحدود؟! ولئن قال الإمام البخاري: «العلم قبل القول والعمل»، واستدل بقول الله عز وجل ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩] فلقد قال الصحابة ﷺ ما هو أبلغ من ذلك، وهو أن الإيمان قبل العلم، وقبل العمل.

روى الحاكم بسند صحيح عن ابن عمر ﷺ قال: «عشنا برهة من الدهر وكان أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن».

وكان الواحد منهم يقول لأخيه: اجلس بنا نؤمن ساعة، فيجلسون يذكرون الله عز وجل. فهكذا تربى الإيمان في قلوب الصحابة حتى صار أرسخ من الجبال، وأعلى من السحاب، وظهرت بركات هذا الإيمان في مواقفهم الإيمانية، فكانت على أعلى مستوى في البذل والتضحية في سبيل الله عز وجل، وصدق الأخوة، وصدق التوبة، والولاء والبراء، والصدق مع الله عز وجل ومع رسوله ﷺ، وكان من بركات هذا الإيمان كذلك انتصارات في كل ميدان، وعلو ورفعة وعزة في الدنيا والآخرة، ولا شك في أن أعمال القلوب وعباداتها أجل وأعلى من أعمال الجوارح، فالإخلاص والصدق والتوكل والمحبة أعلى من أعمال الجوارح، بل هي ثمرة لأعمال الجوارح، ولا ينتفع العبد بطاعات جوارحه حتى يكون الباعث لها الإخلاص والمحبة وغير ذلك،

وبالأحوال الإيمانية والأعمال القلبية فاق الصحابة ﷺ من هم أكثر منهم صلاة وصيامًا واجتهادًا، كما قال ابن مسعود ﷺ للتابعين: «لأنتم أكثر عملاً من أصحاب رسول الله ﷺ، ولكنهم كانوا خيراً منكم، كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة».

كان في التابعين ثلاثين تابعيًا لو قيل لأحدهم القيامة غدًا لما استطاع أن يزيد شيئًا، ولكن الصحابة كانوا أفضل منهم لما تقرر في قلوبهم من معاني الإيمان، وما تهيأ لهم من الأحوال، فلقد كان رسول الله ﷺ يفيض عليهم مما أفاض الله عز وجل على قلبه من الأحوال الشريفة والمعاني اللطيفة والمعارف القلبية.

قال أنس ﷺ: «مَا نَفَضْنَا أَيْدِينَا مِنْ دَفْنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا»[1]. فبمجرد أن فارقوا رسول الله ﷺ أحسوا بتغير القلوب، ولذا ندب العلماء إلى مجالسة العلماء الربانيين، والدعاة المخلصين.

فصحبة الزهَّاد والعبَّاد ترغب في الزهد والعبادة، وصحبة البطَّالين أهل الشهوات والغفلات تسكب في القلوب الغفلة والشهوة. كما يقال: «**المجالسة سبب المجانسة**»، فمن جالس المسرورين سرى إلى نفسه السرور، ومن جالس المحزونين سرى إليه الحزن، ويقولون كذلك بأن النفس كالريح إذا مرت بالطيب حملت منه، وإذا مرت بالخبث حملت منه، فنسأل الله أن يطيب قلوبنا بمحبته، وجوارحنا بطاعته، وأن يوفقنا لمجالسة الصالحين من عباده، ويؤهلنا لدخول الجنة، والنجاة من النار.

---

(١) رواه الترمذي (١٣/١٠٤، ١٠٥) المناقب، وقال: هذا حديث صحيح، وابن ماجة (١٦٣٠) الجنائز، والحاكم (٣/٥٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه، وأقره الذهبي وصححه الألباني.

فالتربية الإيمانية هي الارتقاء بالأحوال الإيمانية لشباب الصحوة وتنمية شجرة الإيمان في قلوبهم، وإنما يتم ذلك - إن شاء الله - بأمور:

١ - منها تعميق معرفتهم بالله عز وجل وأسمائه وصفاته وربوبيته وإلهيته:

فكلما ازداد علم العبد بالله عز وجل وأسمائه وصفاته وربوبيته وإلهيته يزداد حبًّا لله عز وجل، وتوكلاً وخشية وإنابة، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر:٢٨] وقال النبي ﷺ: (**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنْ الشَيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللهِ إِنِّي لأَعْلَمُكُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً**)[١]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «كفى بخشية الله علمًا، وكفى بالاغترار بالله جهلاً».

وقيل للإمام الشافعي: يا عالم، فقال: إنما العالم من يخشى الله.

فمهما علم العبد من صفات ربه الجليل عز وجل فإنه يزداد إيمانًا بأنه أهل أن يُطاع فلا يعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، فالنفس مفطورة على محبة الكمال والجمال، وكذا محبة من أحسن إليها وبغض من أساء إليها، وإذا تدبر العبد في أسماء الله عز وجل وصفاته علم أن أسماءه كلها حسنى، وصفاته كلها عليا، وأنه عز وجل هو وحده المتصف بصفات الربوبية كالخلق والإماتة والإحياء

---

(١) رواه البخاري (١٠/٥١٣) الأدب ح ٦١٠١، ومسلم (١٥/١٠٦) الفضائل ح ٢٣٥٦، وأحمد (٦/٤٥، ١٨١).

والتربية بالنعم، وهو عز وجل وحده الذي يجب التحاكم إليه، والرضا بحكمه، والكفر بكل حكم يخالف حكمه، كما قال تعالى: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [يوسف: ٤٠].

وكذا وحده المستحق لكل ألوان العبادة الظاهرة والباطنة، فإنه وحده الإله الحق وما سواه آلهه لا تستحق عبادة من العبادات، لأنه وحده الذي اتصف بصفات الربوبية وبالأسماء الحسنى والصفات العلا، ولأنه وحده القادر على جلب جميع المنافع لعباده، ودفع جميع المضار عنهم، وهو الذي تألهه القلوب، وتنجذب إليه محبة وتوكلاً وإنابة وخشية.

قال النبي ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»(١).

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

«جميع ما يبدو للقلوب من صفات الرب سبحانه يستغني العبد بها بقدر حظه وقسمه من معرفتها أو قيامه بعبوديتها، فمن شهد مشهد علو الله تعالى على خلقه وفوقيته لعباده، واستوائه على عرشه كما أخبر بها أعرف الخلق وأعلمهم به الصادق المصدوق، وتعبَّد

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧)، والترمذي (٩/ ٣١٩، ٣٢٠ عارضة) أبواب صفة القيامة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-: وأصح طرق الحديث طريق حنش الصنعاني التي أخرجها الترمذي، وهو إسناد حسن لا بأس به.

بمقتضى هذه الصفة، بحيث يصير لقلبه صمد يعرج إليه مناجيًا له، مطرقًا واقفًا بين يديه، وقوف العبد الذليل بين يدي الملك العزيز، فيشعر بأن كلمه وعمله صاعد إليه، معروض عليه، مع أوفى خاصته وأوليائه، فيستحي أن يصعد إليه من كلمه ما يخزيه ويفضحه هناك، ويشهد نزول الأمر والمراسيم الإلهية إلى أقطار العوالم، كل وقت بأنواع التدبير والتصرف من الإماتة والإحياء، والتولية، وتقلب الدول، ومداولة الأيام بين الناس، إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه، فمراسيمه نافذة فيها كما يشاء ﴿**يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ**﴾ [السجدة:٥]، فمن أعطى المشهد حقه معرفة وعبودية استغنى به، وكذلك من شهد مشهد العلم المحيط الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السموات، ولا في قرار البحار، ولا تحت أطباق الجبال، بل أحاط بذلك علمه علمًا تفصيليًا، ثم تعبد بمقتضى هذا الشهود من حراسة خواطره وإرادته، وجميع أحواله وعزماته وجوارحه علم أن حركاته الظاهرة والباطنة وخواطره وإرادته وجميع أحواله ظاهرة مكشوفة لديه علانية له بادية لا يخفى عليه منها شيء، وكذلك إذا أشعر قلبه صفة سمعه سبحانه لأصوات عباده على اختلافها وجهرها وخفائها، وسواء عنده من أسر القول ومن جهر به، لا يشغله جَهْرُ مَنْ جَهَرَ عن سمعه صوت من أسرَّ، ولا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه الأصوات على كثرتها واجتماعها، بل هي عنده كلها كصوت واحد. كما أن خلق الخلق جميعًا وبعثهم عنده بمنزلة نفس واحدة»[1].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤٢،٤٣ ط. دار الحديث.

وقال الدكتور ضياء الدين الجماس: «إن التفكير الدائم المستمر بأسماء الله تعالى وفهم معانيها يجعل القلب محبًا لهذه الذات العظيمة الكاملة الجميلة الأسماء، فالقلب مفطور على حب الكمال والجمال الإلهي، فالمفكر في هذه الطريق سيشعر بمشاعر لا يجد حلاوتها في غيره، فسيعاود مرات ومرات، حتى يُجلَّ الله ويعظِّمه، ومن يجل الله يغفر له، فيصفو قلبه، ويشعر بالقرب من حضرة الله، لا أقول قرب مكان، بل مكانة ومعرفة ومحبة.

وفي الحديث الشريف: (**مَنْ تَقَرَّبَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ شِبْرًا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَى اللهِ ذِرَاعًا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بَاعًا، وَمَنْ أَقْبَلَ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَاشِيًا أَقْبَلَ اللهُ إِلَيْهِ مُهَرْوِلاً وَاللهُ أَعْلَى وَأَجَلّ**)[١].

وهكذا تكون العلاقة الرائعة الجميلة بين العبد وربه، لينقله من الإيمان إلى التقوى فالإحسان»[٢].

٢- ومما يتربى به الإيمان في قلوب الإخوان: تدبر القرآن وأحاديث النبي ﷺ - فإن من صفات المؤمنين أنهم يزدادون إيمانًا بسماع القرآن وتلاوته، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [الأنفال: ٢].

---

(١) رواه أحمد ٥/ ١٥٥ بلفظه من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وهو متفق عليه بنحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، فرواه البخاري ح ٧٤٠٥، ومسلم ح ٢٦٧٥. قال النووي: والباع طول ذراعي الإنسان وعضديه وعرض صدره. وقال الباجي: وهو أربعة أذرع -شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ١٢).

(٢) التفكير في الأسماء طريق العلماء (١٩) ط. دار الهجرة.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٤].

ولذا ندبنا الله عز وجل إلى قراءة القرآن وسماعه وتدبره، فقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢].

قال العلامة السعدي - عليه رحمة ربنا العلي -:

إن المتدبر لا يزال يستفيد من علوم القرآن، ومعارفه، ما يزداد به إيمانًا كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢].

وكذلك إذا نظر إلى انتظامه وإحكامه، وأنه يصدق بعضه بعضًا ويوافق بعضه بعضًا، ليس فيه تناقض ولا اختلاف تيقن أنه ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٢].

وأنه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه من التناقض والاختلاف أمورًا كبيرة، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]. وهذا من أعظم مقويات الإيمان، يقويه من وجوه كثيرة، فالمؤمن بمجرد ما يتلو آيات الله ويعرف ما ركب عليه من الأخبار الصادقة، والأحكام الحسنة يحصل له من أمور الإيمان خير كبير، فكيف إذا أحسن تأمله، وفهم مقاصده وأسراره، ولهذا كان المؤمنون الكمل يقولون: ﴿ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ﴾ [آل عمران:١٩٣] وكذلك معرفة أحاديث النبي ﷺ، وما تدعو إليه من علوم الإيمان وأعماله، وكلها من

محصلات الإيمان ومقوياته، فكلما ازداد العبد معرفة بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ ازداد العبد إيمانًا ويقينًا.

فالتدبر للقرآن من أعظم الطرق والوسائل الجالبة للإيمان، والمقوية له، قال تعالى: ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ** ﴾ [ص:٢٩].

فاستخراج بركة القرآن – التي من أهمها حصول الإيمان – سبيله وطريقه تدبر آياته وتأملها، كما ذكر أن تدبره يوقف الجاحد عن جحوده، ويمنع المعتدي على الدين من اعتدائه.

قال تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ** ﴾ [المؤمنون:٦٨] أي فلو تدبروه حق تدبره لمنعهم مما هم عليه من الكفر والتكذيب، وأوجب لهم الإيمان واتباع من جاء به.

وقال تعالى: ﴿ **بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ** ﴾ [يونس:٣٩] أي فلو حصل لهم الإحاطة بعلمه لمنعهم من التكذيب، وأوجب لهم الإيمان[١].

٣– ومما يتربى به الإيمان في قلوب شباب الإسلام: معرفة النبي ﷺ، وقد كان يكفي من عاصره ﷺ أن ينظر في وجهه الكريم فيرى علامات الصدق ودلائل النبوة، كما قال حسان:

لو لم يكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهته تأتيك بالخبر

---

(١) باختصار من التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٣/١٠٨، ١١١).

وكما حدث من عبد الله بن سلام ﷺ - وكان حبراً من أحبار اليهود - فلما هاجر النبي ﷺ إلى طيبة الطيبة، ذهب ونظر إلى وجهه ثم قال: «أشهد بأن وجهك ليس بوجه كذاب»، ودخل في الإسلام. وصار من خيار أصحاب النبي ﷺ وبشره النبي ﷺ بالجنة دار السلام. فمعرفة النبي ﷺ وما جبل عليه من الأخلاق الكريمة، وما أيده الله عز وجل به من المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة، ومعرفة سيرته ﷺ، وما أيده الله عز وجل به من الانتصارات، والعصمة من الناس، ومن المحبة في قلوب أتباعه، فكل ذلك مما يزيد إيماننا بالله عز وجل وبرسوله ﷺ، كما قال الله عز وجل: ﴿ **أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٦٩].

فمعرفته توجب الإيمان به وتصديقه ﷺ، وقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ** ﴾ [سبأ: ٤٦].

فدراسة السيرة النبوية، والمعجزات، ودلائل النبوة، ومعرفة شرف نسبه ﷺ، وأخلاقه وهديه، من أعظم أسباب زيادة الإيمان(١).

٤- ومما يتربى به الإيمان في قلوب شباب الصحوة: دراسة محاسن الإسلام:

إذا تدبر العبد محاسن الإسلام، وعلم أنه دين الله الخالد الذي ارتضاه للبشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ازداد إيمانه بالله عز وجل وبرسوله ﷺ.

---

(١) باختصار وتصرف من شجرة الإيمان للمؤلف (٤١-٤٣).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ولما أكمل الله عز وجل على نبيه ﷺ الدين، وتم التشريع، نزل قول الله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فمهما تدبر العبد محاسن الإسلام علم أن الله عز وجل لم يأمر بأمر إلا وفيه صلاحٌ عاجل أو آجل، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: ٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

يقول الشيخ عبد العزيز محمد السلمان:

كلما تدبر العاقل اللبيب أحكام الإسلام قوي إيمانه وإخلاصه، وعندما يتأمل ما يدعو إليه هذا الدين القويم يجده يدعو إلى مكارم الأخلاق، يدعو إلى الصدق، والعفاف، والعدل، وحفظ الجوار، وإكرام الضيف، والتحلي بمكارم الأخلاق، يدعو إلى تحصيل التمتع بلذائذ الحياة في قصد واعتدال، يدعو إلى البر والتقوى، وينهي عن الفحشاء والمنكر والإثم والعدوان، لا يأمر إلا بما يعود على العالم بالخير والفلاح، ولا ينهي إلا عما يجلب الشقاء والمضرة للعباد[١].

---

(١) باختصار وتصرف من رسالة «من محاسن الدين الإسلامي» (٥-١٢) الطبعة الثانية. وانظر لمزيد الفائدة رسالة «محاسن الإسلام والرد على أباطيل خصومه» لمحمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - بتحقيق وتعليق ساعد عمر غازي.

٥- ومما يتربى به الإيمان في قلوب الشباب: التفكر في مخلوقات الله عز وجل:

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

قال القاسمي - رحمه الله -: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي في إيجادهما على ما هما عليه من الأمور المدهشة، تلك في ارتفاعها واتساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها، وما فيها من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات، وثوابت وبحار وجبال وقفار وأشجار ونبات وزروع وثمار وحيوان ومعادن ومنافع مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص، ﴿وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي في تعاقبهما، وكون كل منهما خلفه الآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها، أو في تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر، وانتقاصه بازدياده، ﴿لآيَاتٍ﴾ أي لأدلة واضحة على الصانع، وعظيم قدرته، وباهر حكمته، والتنكير للتفخيم كمًّا وكيفًا، أي كثيرة عظيمة، ﴿لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ أي لذوي العقول المجلوة بالتزكية بملازمة الذكر دائمًا كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ أي فلا يخلو حال من أحوالهم عن ذكر الله، المفيد صفاء الظاهر، المؤثر في تصفية الباطن، فالمراد تعميم الذكر بها، لأنها الأحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الإنسان غالبًا، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ

وَالأَرْضِ﴾ أي في إنشائهما بهذه الأجرام العظام، وما فيهما من عجائب المصنوعات، وغرائب المبتدعات، ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع سبحانه وتعالى، فيعلموا أن لهما خالقًا قادرًا مدبرًا حكيمًا، لأن عظم آثاره وأفعاله تدل على عظم خالقها تعالى كما قال الشاعر:

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً﴾ بمعنى: يتفكرون قائلين ذلك، وكلمة ﴿هَـذَا﴾ متضمنة لضرب من التعظيم، أي ما خلقت هذا المخلوق العظيم الشأن عبثًا عاريًا من الحكمة، خاليًا من المصلحة، بل متضمنًا لحكم جليلة، ومصالح عظيمة من جملتها أن يكون دلالة على معرفتك، ووجوب طاعتك، واجتناب معصيتك، وأن يكون مدارًا لمعايش العباد ومنارًا يرشدهم إلى معرفة أحوال المبدأ أو المعاد[1].

وقال تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١].

وكان السلف ﷺ يفضلون تفكر ساعة على قيام ليلة؛ لأن التفكر ساعة يثمر في القلب من الإيمان بعظمة الله وقدرته وجلاله والخوف منه أكثر مما يثمر قيام ليلة.

ولما سألت أم الدرداء عن أكثر عبادة أبي الدرداء قالت: «كان أكثر عبادته التفكر».

---

(١) باختصار من محاسن التأويل للقاسمي (١/٣٢١-٣٢٤) ط. دار الفكر.

٦- ومما ينبغي الاهتمام به في تربية الإيمان: الإكثار من النوافل بعد استكمال الفرائض:

قال تعالى في الحديث القدسي: (**وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه**)(١).

فأول ما يقرب إلى الله عز وجل أداء الفرائض كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أفضل الأعمال أداء ما افترض الله، والورع عما حرم الله، وحسن النية فيما عند الله عز وجل».

فالفرائض هي رأس المال، فإذا استكمل العبد فرائضه وأراد أن يترقى في درجات الإيمان وولاية الرحمن عز وجل يفتح على نفسه أبواب النوافل، والنوافل هي ما عدا الفرائض من أجناس الطاعات.

قال العلماء: ما بال النوافل هي السبب الموصل إلى محبة الله عز وجل دون الفرائض؟ وأجاب بعضهم: بأن العبد يفعل الفريضة خوف العقوبة ورجاء الأجر، أما النوافل فلا عقوبة في تركها. فيفعلها العبد بإخلاص نية التقرب والتحبب إلى الله عز وجل، فلما خلصت النية في النوافل كانت هي السبب الموصل إلى محبة الله عز وجل دون الفرائض. فينبغي على المربي أن يهتم بتحبيب العبادات إلى الشباب، بترغيبهم في قيام الليل، وتلاوة القرآن، والأذكار الموظفة، وغير الموظفة والصيام، وقضاء حوائج الناس، وطلب العلم النافع حتى يكون ذلك شغلهم

---

(١) رواه البخاري (١١/٣٤٨، ٣٤٩) الرقاق ح ٦٥٠٢، وأبو نعيم (١/٤) وهو في الصحيحة رقم (١٦٤).

الشاغل، والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، فاللسان إذا لم يتحرك بذكر الله عز وجل تحرك بالغيبة والنميمة والبذاءة واللغو وغير ذلك، وإذا لم تشغل الجوارح والأوقات بالطاعات شغلت بالمعاصي والعثرات، فلا شك في أن شجرة الإيمان في قلب العبد تروى بالصيام والقيام وتلاوة القرآن، وتتفرع فروعها في أرجاء قلبه، وتثمر الثمرات اليانعة الطيبة، فيجد العبد حلاوة الإيمان ومحبة الرحمن.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

٧- ومما يتربى به الإيمان في قلوب الإخوان: أن يعيش العبد في أجواء إيمانية ويتنفس هواء الإيمان، وأن يتباعد عن أجواء المعاصي والشهوات والشبهات:

فلا شك في أن الإيمان ينمو ويترعرع في أجواء الإيمان، وعند تنفس هواء الإيمان في مجالس الذكر، وصلاة الجماعة، وعيادة المرضى وتشييع الجنائز، والتردد على الأماكن المقدسة للحج والعمرة، وزيارة المسجد النبوي. ولا شك كذلك في أن الإيمان يضعف ويضمحل إذا تعرض العبد لأجواء الإباحية والفجور، والتبرج والسفور، فعلى المربين أن يهتموا بتحبيب أجواء الإيمان إلى قلوب شباب الصحوة، وكذا عليهم تحذيرهم والتأكيد عليهم في البعد عن أماكن الكفر والفسوق والعصيان، كأماكن الإباحية والفجور والسفور. قال بعضهم: ليس شيء أضر على قلب العبد من مجالسة الفاسقين والنظر إلى أفعالهم.

ومن فضل الله عز وجل على العبد أن يوفقه إلى الصحبة الصالحة كما قال بعض السلف: إن من نعمة الله على الشباب إذا نسك، أن يوفقه إلى صاحب سنة يحمله عليها.

كذا من فضل الله عز وجل على العبد أن يوفقه إلى الأزمنة الشريفة والأمكنة الشريفة، وأن يوفقه إلى الطاعة والعبادة، فنسأل الله عز وجل أن يوفقنا لطاعته وأن ييسر لنا أسباب رحمته وجنته.

٨- ومما يتربى به الإيمان في قلوب الإخوان: كثرة ذكر الله عز وجل: قال ﷺ: (**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**) [(١)].

وهذا إشارة إلى أن الذكر من أعظم أسباب حياة القلب، ونماء الإيمان فيه. وكان شيخ الإسلام - رحمه الله - يجلس في ذكر الله عز وجل من صلاة الفجر إلى قريب من صلاة الظهر ويقول: هذه غدوتي ولو لم أتغد سقطت قوتي.

وقال - رحمه الله- :الذكر للقلب كالماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا أخرج من الماء.

وقال ابن القيم - رحمه الله - :الذكر هو المنزلة الكبرى التي منها يتزود العارفون، وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون، وهو منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب العارفين التي متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بوراً، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع

(١) رواه البخاري (١١/٢٠٨) الدعوات ح ٦٤٠٧، ومسلم (٦/٦٨) ح ٧٧٩ .

الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبيل الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب، به يستدفعون الآفات ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون، يدع القلب الحزين ضاحكًا مسرورًا، ويوصل الذاكر إلى المذكور، بل يدع الذاكر مذكورًا، وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة، والذكر هو عبودية القلب واللسان، وهي غير مؤقتة بل هم يذكرون معبودهم ومحبوبهم قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها، فكذلك القلوب بور خراب وهو عمارتها وأساسها، وهو جلاء القلوب وصقالتها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقًا ازداد محبة إلى لقائه للمذكور واشتياقًا، وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضًا من كل شيء، به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسنة، وتنقشع الظلمة عن الأبصار.

زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء.

وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته.

قال الحسن البصري: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وفي قراءة القرآن، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق (١).

٩- ومما يتربى به الإيمان: المشاركة في الدعوة إلى دين الرحمن:

وقد سمى الله عز وجل وحيه روحًا وسماه نورًا.

فقال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا** ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فالداعي إلى الله عز وجل يحيي قلوب الناس بشرع الله فيحيي الله قلبه بالإيمان ومحبة الرحمن، والجزاء من جنس العمل.

قال النبي ﷺ: (**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَبَلَّغَهُ إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**) (٢).

---

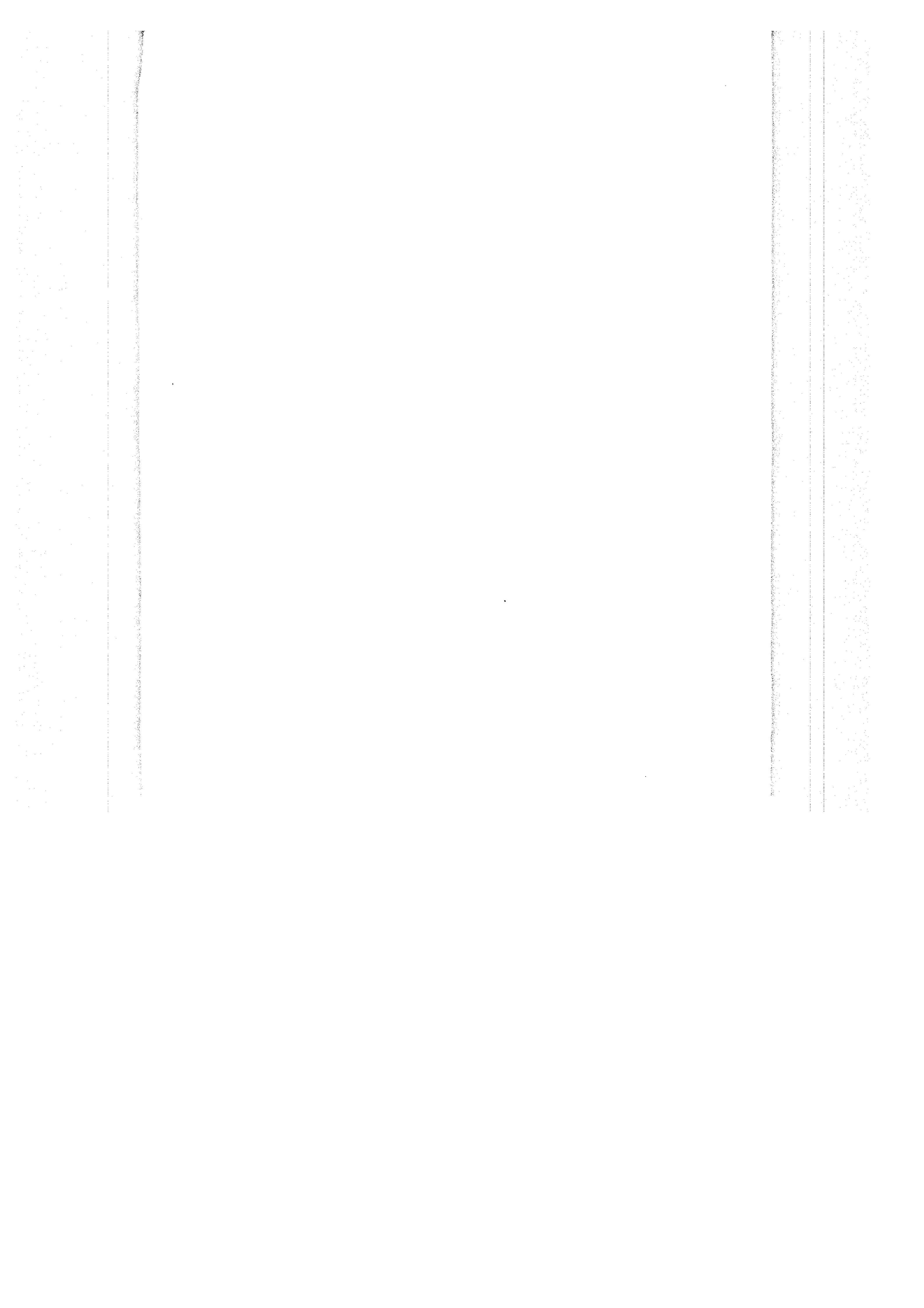
(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٢٣، ٤٢٤)، وانظر فوائد الذكر في «الوابل الصيب» لابن القيم.

(٥) رواه أحمد (٥/ ١٨٣)، والترمذي (١٠/ ١٢-١٢٦ عارضة) أبواب العلم، وابن ماجة (٢٣١) المقدمة، وابن حبان رقم (٦٨٠) الإحسان، والدارمي (١/ ٧٥)، وللحديث طرق وروايات كثيرة، وذكره السيوطي في الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة وصححه الألباني.

فكما ينضر الداعية قلوب الناس بشرع الله ينضر الله قلبه ووجهه.

قال سفيان بن عيينه: لا تجد أحداً من أهل الحديث إلا وفي وجهه نضرة، لدعوة رسول الله ﷺ.

ومن مارس الدعوة إلى الله عز وجل يعلم كيف يزداد بها الإيمان، وتحيا بها القلوب، وتقترب من علام الغيوب، وغفار الذنوب، فنسأل الله تعالى أن لا يحرمنا من الدعوة إلى دينه والتشرف بطاعته وعبادته، والله الموفق.



[٤]

التربية الخلقية



[٤] التربية الخلقية

قال ابن ماسكويه: الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية.

وهذه الحال تنقسم إلى قسمين:

منها ما يكون طبيعيًا: من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو الغضب ويهيج من أقل سبب.

وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، كالذي يجبن من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكًا مفرطًا من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله.

ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدرب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر، ثم يستمر عليه أولاً فأولاً حتى يصير ملكةً وخلقًا[١].

وهذا الثاني هو المعنى بالتربية الخلقية، والمقصود بها تربية الشباب على الأخلاق الفاضلة، كالصدق، والأمانة، والاستقامة، والإيثار، وغير ذلك من الأخلاق الكاملة الفاضلة.

مدح الله عز وجل نبيه ﷺ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

---

(١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لابن ماسكويه، حققه وشرح غريبه ابن الخطيب ص (٤١) الطبعة الأولى، المكتبة المصرية.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعلى دين عظيم، لا دين أحب إليَّ ولا أرضى عندي منه، وهو دين الإسلام». فجعل الدين كله خلقًا، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الدين.

وقال الحسن رضي الله عنه: هو آداب القرآن.

وقال ابن القيم: إنك لعلى الخلق الذي آثرك الله به في القرآن.

وفي الصحيحين أن هشام بن حكيم سأل عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن». فقال: لقد هممت أن أقوم ولا أسأل شيئًا[١].

قال النووي: معناه العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأدب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبره وحسن تلاوته[٢].

قال الداعية الإسلامي سيد قطب - رحمه الله -: ولقد رويت عن عظمة خلقه في السيرة، وعلى لسان أصحابه روايات متنوعة كثيرة، وكان واقع سيرته أعظم شهادة من كل ما روى عنه، ولكن هذه الكلمة أعظم بدلالتها من كل شيء آخر، أعظم بصدورها عن العلي الكبير، وأعظم بتلقي محمد ﷺ لها وهو يعلم من هو العلي الكبير، وبقائه بعدها ثابتًا راسخًا مطمئنًا، لا يتكبر على العباد، ولا ينتفخ، ولا يتعاظم، وهو الذي سمع ما سمع من العلي الكبير[٣].

---

(١) انظر «صلاح الأمة في علو الهمة» لأخينا الفاضل الشيخ سيد حسين العفاني (٥/٢٢٥)، والحديث رواه مسلم (٧٦٤) صلاة المسافرين مطولاً، وأحمد (٦/٤٥).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٦/٣٨، ٣٩).

(٣) في ظلال القرآن (٦/٣٦٥٦) ط. دار العلم بجدة.

وقال كذلك: وقد تمثلت هذه الأخلاق الإسلامية بكمالها وجمالها، وتوازنها واستقامتها، واطرادها وثباتها في محمد ﷺ، وتمثلت في ثناء الله العظيم وقوله: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: ٤][١].

وقال النبي ﷺ: (**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**)[٢].

قال فضل الله الجيلاني: لا يكون دين من الأديان خاليًا من مكارم الأخلاق، لكن لم تكن الأخلاق الكريمة مجموعة كلها في دين من الأديان السابقة حتى جمع الله في دين الإسلام كل ما كان من أخلاق حسنة، فهذا معنى (**أتمم مكارم الأخلاق**) أي أبلغ نهايتها[٣].

قال الأستاذ / محمد محمود الياتي ما ملخصه:

الأخلاق هي مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس، وعلى ضوئها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح.

قال الشاعر:

يا أيها المتحلي غير شيمته ... إن التخلق يأتي دونه الخلق

---

(١) في ظلال القرآن (٦/٣٦٥٨).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (١/٢٧١)، والحاكم (٢/٦٣١)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٥): وهذا إسناد حسن، وابن عجلان إنما أخرج له مسلم مقروناً بغيره، وله شاهد أخرجه ابن وهب في الجامع، فالحديث صحيح.

(٢) فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد (١/٢٧١).

وبما أن الرسول ﷺ هو القدوة الحسنة فقد اتصف بالأوصاف الخلقية المحمودة، كالعلم والحلم والتواضع والكرم والصدق والوفاء وشدة الحياء وحسن المعاشرة والآداب، إلى غير ذلك من الخصال العلية والأخلاق المرضية. أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف قط، ولا قال لي لشيء فعلته لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله ألا فعلته؟ وكان ﷺ أحسن الناس خُلُقًا، وما مسست خزًا ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكًا ولا عطرًا أطيب من عرق رسول الله ﷺ[١].

قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها عندما جاءها في أول بدء الوحي خائفًا: كَلاَّ وَاللهِ لاَ يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا: إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ[٢].

وعن أنس رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ قال: «لم يكن رسول الله ﷺ سبابًا، ولا لعانًا، ولا فحَّاشًا، كان يقول لأحدنا عند المعاتبة: ما له تربت جبينه»[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِه خَادمًا قَطُّ، وَلاَ امْرَأَةً، وَلاَ ضَرَبَ بِيَدِه شَيْئًا إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلاَ خُيِّرَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ إِلاَّ كَانَ أَحَبَّهمَا إِلَيْه أَيْسَرَهُمَا». وفي رواية: «إِلاَّ اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، إِلاَّ أَنْ تَكُونَ إِثْمًا، فَإِذَا كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ الإِثْمِ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ فَيَنْتَقِمَ للهِ[٤].

---

(١) رواه الترمذي في البر والصلة ح ٢٠١٥، وأصله في الصحيحين.
(٢) رواه البخاري (١ / ٣٠) بدء الوحي ح ٤، ومسلم الإيمان ح ١٦٠ .
(٣) رواه البخاري (١٠ /٤٦٧) الأدب ح ٦٠٣١، وأحمد (٣/ ١٢٦، ١٤٤، ١٥٨).
(٤) رواه مسلم (٢٣٢٧) الفضائل، وأبو داود (٤٧٥٦ عون) الأدب مختصراً.

أقوال السلف - رحمهم الله - في حُسن الخلق :

قال الحسن : حسن الخلق بسط الوجه، وبذل الندى، وكف الأذى .

وقال أبو عثمان : هو الرضا عن الله تعالى .

وقال سهل التستري : أدناه الاحتمال، وترك المكافأة، والرحمة للظالم، والاستغفار له، والشفقة عليه .

أن لا يتهم الحق في الرزق، ويثق به، ويسكن إلى الوفاء بما ضمن، فيطيعه ولا يعصيه في جميع الأمور فيما بينه وبينه، وفيما بينه وبين الناس .

وقيل : حُسن الخلق بذل الجميل، وكف القبيح .

وقيل : التخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل .

وقال يحيى بن معاذ : في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق .

وقال - رحمه الله - : سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات، وحُسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات .

وقال الجنيد : أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه : الحلم، والتواضع، والسخاء، وحسن الخلق، وهو كمال الإيمان .

وقال الفضيل : لأن يصحبني فاجر حسن الخلق، أحب إليَّ من أن يصحبني عابد سيئ الخلق .

وقال يوسف بن أسباط: علامة حسن الخلق عشر خصال:

١- قلة الخلاف.

٢- وحُسن الإنصاف.

٣- وترك طلب العثرات.

٤- وتحسين ما يبدو من السيئات.

٥- والتماس المعذرة.

٦- واحتمال الأذى.

٧- والرجوع بالملامة على النفس.

٨- والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون غيره.

٩- وطلاقة الوجه للصغير والكبير.

١٠- ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه.

وذهب الغزالي إلى أن حُسن الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال الجميلة المحمودة شرعًا وعقلاً بسهولة ويسر، ومن غير حاجة إلى فكر وروية، فها هنا أربعة أمور:

أحدها: فعل الجميل.

والثاني: القدرة عليه.

والثالث: المعرفة به.

والرابع: هيئة للنفس بها تميل إلى الحسن ويتيسر عليها.

وليس الخلق عبارة عن الفعل، رب شخص خلقه السخاء ولا يبذل، إما لفقد المال، أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث أو لرياء.

وليس هو عبارة عن القدرة، لأن نسبة القدرة إلى الإمساك والإعطاء واحد، وكل إنسان خلق بالفطرة قادراً على الإعطاء والإمساك.

وليس هو عبارة عن المعرفة، فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعًا على وجه واحد، بل هو عبارة عن المعنى الرابع، فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة[1].

ويقول ابن القيم - رحمه الله -: وحُسن الخلق يقوم على أربعة أركان، لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل.

فالصبر: يحمله على الاحتمال، وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم والأناة والرفق وعدم الطيش والعجلة.

والعفة: تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياء وهو رأس كل خير، وتمنعه من الفحشاء والبخل والكذب والغيبة والنميمة.

والشجاعة: تحمله على عزة النفس وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل والفداء الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته، وتحمله على كظم الغيظ والحلم، فإنه بقوة نفسه وشجاعته يمسك عنانها ويكبحها عن الجزع والبطش.

والعدل: يحمله على اعتدال الخلق وتوسطه فيما بين طرفي الإفراط والتفريط[1].

---

(١) نقلاً عن صلاح الأمة (٥/ ٢٤٠).

(١) باختصار من مدارج السالكين (٢/ ٣٠٨-٣١١).

الأحاديث النبوية الشريفة في فضل حسن الخلق

قال النبي ﷺ : (أثقل شيء في الميزان، الخُلق الحسن)[١] .

وقال ﷺ : (أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا)[٢] .

وقال ﷺ : (إن أحبكم إليَّ وأقربكم مني في الآخرة مجالس أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني في الآخرة أسوأكم أخلاقًا، الثرثارون والمتفيهقون، والمتشدقون)[٣] .

وقال ﷺ : (إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار)[٤] .

وقال ﷺ : (إن الله تعالى جميل يحب الجمال، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافها)[٥] .

وقال ﷺ : (إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصوام القوام بآيات الله بحسن خلقه وكرم ضريبته)[٦] .

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٧٨ عون) الأدب، والترمذي (٢٠٠٣) البر والصلة، وأحمد (٦/٤٤٦-٤٤٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٠)، وابن حبان (٢/٤٨١ الإحسان)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) رواه أحمد (٢/٢٥٠)، وابن حبان (٢/٤٧٩ الإحسان) البر والإحسان، وصححه الألباني.

(٣) رواه أحمد (٤/١٩٣)، وابن حبان (٢/٤٨٢ الإحسان)، والبغوي في شرح السنة، وصححه الألباني.

(٤) رواه الحاكم (١/٦٠) الإيمان، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني.

(٥) رواه الطبراني في الأوسط، انظر مجمع البحرين رقم (٢٩٢٦)، وصححه الألباني في الجامع رقم (١٧٣٩).

(٦) رواه أحمد (٢/١٧٧)، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٥٢٢).

وقال ﷺ: (إن الناس لم يعطوا شيئًا خيرًا من خُلُق حسن)[١].

وقال ﷺ: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)[٢].

وقال ﷺ: (خياركم أحاسنكم أخلاقًا، الموطئون أكنافًا، وشراركم الثرثارون المتفيهقون المتشدقون)[٣].

وقال ﷺ: (خير ما أُعطي الناسُ خُلقٌ حسن)[٤].

وقال ﷺ: (ليس شيء أثقل في الميزان من الخلق الحسن)[٥].

أمثلة من حسن خلق السلف ﷺ -:

شتم رجل سلمان الفارسي فقال له: إن خَفَّتْ موازيني فأنا شر مما تقول، وإن ثَقُلتْ موازيني لم يضرني ما تقول.

وشتم رجل الربيع بن خثيم فقال له: يا هذا سمع الله كلامك، وإن دون الجنة عقبة، إن قطعتها لم يضرني ما تقول، وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول.

وقالت له امرأة: يا مرائي. فقال: ما عرفني غيرك.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١/١٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٩٧٣).

(٢) سبق تخريجه ص ١٦٣.

(٣) رواه البيهقي في الشعب (رقم ٧٩٨٨) باب حسن الخلق، ط. زغلول، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٢٥٥).

(٤) رواه الحاكم مطولاً (١/١٢١) العلم، وقال: صحيح ولم يخرجاه وكذا في (٤/١٩٩) الطب. وقال: هذا حديث أسانيده صحيحة كلها على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والعلة عندهم فيه أن أسامة بن شريك ليس له راو غير زياد بن علاقة، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٣١٦).

(٥) رواه أحمد (٦/٤٤٦-٤٤٨)، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٨٧٦).

وقال علي بن زيد: أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول، فأطرق عمر زمانًا طويلاً ثم قال: أَرَدْتَ أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً.

شتم رجل الأحنف بن قيس فسكت عنه: وأعاد الرجل فسكت عنه، وأعاد فسكت عنه. فقال الرجل: والهفاه ما يمنعه من أن يرد علي إلا هواني عنده.

وشتمه رجل وجعل يتبعه حتى بلغ حيه. فقال الأحنف: يا هذا إن كان بقي في نفسك شيء فهاته وانصرف. لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى ما تكره.

وقال رجل لمالك بن دينار: بلغني أنك ذكرتني بسوء؟! قال: أنت أكرم علي من نفسي، إني إذا فعلت ذلك أهديت لك حسناتي.

وقال رجل لبعض الحكماء: والله لأسبنك سبًّا يدخل معك في قبرك فقال: معك يدخل لا معي.

وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه، فلم يغضب، فقيل له في ذلك فقال: **أقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب.**

قال محمود الوراق:

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب وأن كثرت منه علي الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثلي مقاوم
فأما الذي فوقي فأعرف قدره وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن إجابته عرضي وإن لام لائم
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

قال رجل لعمر بن عبد العزيز: أشهد أنك من الفاسقين. قال: ليس تقبل شهادتك.

سب رجل ابن عباس رضي الله عنهما، فلما فرغ قال: يا عكرمة، هل للرجل حاجة فتقضيها؟ فنكس الرجل رأسه واستحى.

وعن علي بن الحسين بن علي أنه سبه رجل، فرمى إليه بخميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم.

فقال بعضهم: جمع له خمس خصال محمودة: «الحلم، وإسقاط الأذى، وتخليص الرجل مما يبعد عن الله، وحمله على الندم والتوبة، ورجوعه إلى المدح بعد الذم، اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير».

قال يحيى بن منده: كان عمي سيفًا على أهل البدع، وهو أكبر من أن يثني عليه مثلي، كان والله آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، كثير الذكر، قاهرًا لنفسه، عظيم الحلم، كثير العلم. قرأت عليه قول شعبة: من كتبت عنه حديثًا فأنا له عبد: فقال عمي: من كتب عني حديثًا فأنا له عبد.

قال خطيب الموصل أبو الفضل: حدثني أبي قال: توجهت من الموصل سنة ٤٥٩هـ إلى أبي إسحاق - يعني الشيرازي - فلما حضرت عنده رَحَّبَ بي وقال: من أين أنت؟ فقلت: من الموصل. قال: مرحبًا، أنت بلديي.

قلت: ياسيدي أنت من فيروز آباد؟ قال: أما جمعتنا سفينة نوح؟

فشاهدت من حسن أخلاقه، ولطائفه، وزهده ما حبب إليَّ لزومه، فصحبته إلى أن مات.

وقيل إن أبا إسحاق نزع عمامته - وكانت بعشرين دينارًا - وتوضأ في دجلة فجاء لص فأخذها وترك عمامة رديئة بدلها، فطلع الشيخ فلبسها، وما شعر حتى سألوه وهو يدرس. فقال: لعل الذي أخذها محتاج.

قيل للأحنف بن قيس: من أين تعلمت الحلم؟ فقال: من قيس بن عاصم. قيل: وما بلغ حلمه؟ قال: بينما هو جالس في داره إذ أتته جارية بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير فمات، فدهشت الجارية فقال لها: لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى.

كان الفضيل بن عياض - رحمه الله - إذا قيل له: إن فلانًا يقع في عرضك يقول: والله لأغيظن مَنْ أَمَرَهُ - يعني إبليس - ثم يقول: اللهم إن كان صادقًا فاغفر لي، وإن كان كاذبًا فاغفر له.

وكان أبو معاوية يدعو لمن نال منه.

وشتم رجل بكر بن عبد الله المزني - رحمه الله - فبالغ في شتمه وهو ساكت. فقيل له: ألا تشتمه كما شتمك. فقال: إني لا أعرف له شيئًا من المساوئ حتى أشتمه به، ولا يحل لي أن أرميه بالكذب.

وقال رجل مرة لسالم بن عبد الله - رحمه الله -: يا شيخ السوء فقال له سالم: ما أراك أبعدت يا أخي [١].

---

(١) هذه الأمثلة مختصرة من كتاب أخينا الفاضل سيد العفاني (٥/٢٥٣- ٢٧٢) صلاح الأمة في علو الهمة.

مسئولية المربين:

يقول الأستاذ / عبد الله ناصح علوان :

على المربين ولا سيما الآباء والأمهات مسئولية كبرى في تأديب الأولاد على الخير، وتخليقهم على مبادئ الأخلاق .

ومسئوليتهم في هذا المجال مسئولية شاملة بكل ما يتصل بإصلاح نفوسهم، وتقويم اعوجاجهم، وترفعهم عن الدنايا، وحسن معاملتهم للآخرين .

فهم مسئولون عن تخليق الأولاد منذ الصغر على الصدق، والأمانة، والاستقامة والإيثار، وإغاثة الملهوف، واحترام الكبير، وإكرام الضيف، والإحسان إلى الجار، والمحبة للآخرين .

ومسئولون عن تنزيه ألسنتهم من السباب، والشتائم، والكلمات النابية القبيحة، وعن كل ما ينبي عن فساد الخلق وسوء التربية .

ومسئولون عن تعويدهم على مشاعر إنسانية كريمة، وإحساسات عاطفية نبيلة، كالإحسان إلى اليتامى، والبر بالفقراء، والعطف على الأرامل والمساكين .

إلى غير ذلك من هذه المسئوليات الكبيرة الشاملة، التي تتصل بالتهذيب وترتبط بالأخلاق .

وإذا كانت التربية الفاضلة في نظر الإسلام تعتمد في الدرجة الأولى على قوة الملاحظة والمراقبة، فجدير بالآباء والأمهات والمعلمين، وكل

من يهمه أمر التربية والأخلاق أن يلحظوا في الأولاد ظواهر أربعة، وأن يعيروه اهتمامهم لكونهم من أقبح الأعمال، وأحط الأخلاق، وأرذل الصفات، وهذه الظواهر مرتبة كما يلي:

١- ظاهرة الكذب.

٢- ظاهرة السرقة.

٣- ظاهرة السباب والشتائم.

٤- ظاهرة الميوعة والانحلال[١].

جملة من الأخلاق التي ينبغي أن يتربى عليها الشباب المسلم:

قال العلامة جمال الدين القاسمي - رحمه الله - ما ملخصه:

كل من أعار الوجود نظره البصير علم أن حاجة المرء إلى تأديب نفسه لا تفوقها حاجة، لأن الإنسان إلى الشر أميل منه إلى الخير، وإلى الشهوات النفسية أميل منه إلى الكمالات الروحية، فكان من المحتم العناية بتهذيب خلقه، وتحلِّيه بالمحاسن والفضائل، وتطهير نفسه من المساوئ والرذائل، فيصبح محمود الأقوال والأفعال، مثالاً للفضيلة والكمال، وهذه شذرة مما يلزمك أن تتخلق به من آداب نفسك:

عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، لا تستخفنَّ بفضائل شريف، لا تميلن إلى سخيف، لا تقولن هجراً لئلا يسقط قدرك، لا تفعلن نكراً لئلا يقبح ذكرك، إياك وفضول الكلام فإنه يظهر من عيوبك ما بطن،

(١) تربية الأولاد في الإسلام (١/ ١٧٢، ١٧٣).

ويحرك من عدوك ما سكن، فكلام الإنسان بيان فضله، وترجمان عقله، فاقصره على الجميل، واقتصر منه على القليل، وإياك وما يستقبح من الكلام فإنه ينفر عنك الكرام، ويوثب عليك اللئام، إياك واللجاج فإنه يوغر القلوب، وينتج الحروب، فاقتصر من الكلام على ما يثبت حجتك ويبلغك حاجتك، ومن قال بلا احترام أجيب بلا احتشام، لا تعود نفسك إلا ما تحظى بأجره وتُحمد على ذكره، وإياك ومحاجة من يملكك قهره وينفذ فيك أمره، يستدل على رزانة الرجل بقلة نطقه ومقاله؛ وعلى فضله بفضل عمله واحتماله، فأكرم إخوانك، وأكثر خلانك، وأكفهم لسانك، فطعن اللسان أنفذ من طعن السنان، تعام عمَّا تسوؤك رؤيته، وتغاب عمَّا تضرك معرفته، ولا تشر على من لا يقبل منك، ولا تجب عمَّا لا تُسأل عنه، وإذا عاتبت فاستبق، وإذا صنعت معروفًا فاستره، وإذا صُنِعَ إليك فانشره، وإذا أذنبت فاعتذر، وإذا أذنب إليك فاغتفر، فالمعذرة بيان العقل، والمغفرة بيان الفضل، لا تزهد في رجل عرف فضله، وجرب عقله، ولا تعن قويًا على ضعيف، ولا تؤثر دنيا على شرف، ولا تُشِر بما يُعْقِب الوزرَ والإثمَ، ولا تفعل ما يُقبِّح الذكر والاسم.

الق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير مذلة ولا هيبة منهما، وتوقر من غير كِبْر، وتواضع من غير مذلة، ليكن ضالة عقلك التي ينشدها ونجعته التي يرتادها: الحق، فاحكم به ولو على نفسك، ولا تكن ممن تأخذه العزة بالإثم، عليك بالنشاط والعمل، وترك البطالة والكسل، ولا تكن كلاً على غيرك، فإن الرجل كل الرجل الذي يأكل من كسبه، ويشرب من ورده.

أقدم على جلائل الأعمال مع الصبر والثبات، واحمل نفسك على معالي الأمور والتثبت بأحسن الأعمال، والأمور العظام والتهاون لنيلها بالآلام، فإن الكسل من النقائص التي توجب الخسائس والشرور.

وقد قيل: إذا رقدت النفس في فراش الكسل استغرقت في بحر الحرمان.. ليكن مجلسك هادئًا، وحديثك موزونًا مرتبًا، وإذا جلست فلا تستوفز، وتحفَّظ من تشبيك أصابعك وفرقعتها، والعبث بشاربك ولحيتك وخاتمك، وتخليل أسنانك، وإدخال إصبعك في أنفك، وكثرة بصاقك وتنحنك، والتمطي والتثاؤب في وجه الناس وفي الصلاة وغيرها.

أصغ إلى الكلام الحق ممن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط، ولا تسأله إعادته، واسكت عن المضاحك والحكايات، لا تحدث عن إعجابك بولدك وشعرك وكلامك وتضيفك وسائر ما يخصك. إذا خاصمْت فتوقر وتحفظ من جهلك، وتفكر في جهتك.

لتكن سهل اللقاء والبشاشة ولو في حال المرض، وبادر بالتحية والبشر من تلقاه واكتم بؤسك، واجعل شكواك لمن يقدر على غناك، ولا تحضر منازعة فإنك لا تخلو من قسط من أذاها، ولو بالمطالبة بأداء الشهادة.

إياك والانبساط فإنه عورة من عوراتك، فلا تبذله إلا لمأمون عليه حقيق به، لا تتصنع تصنع المرأة في التزين، ولا تتبذل تبذل العبد، ولا تلح في الحاجات ولا تشجع أحداً على ظلم، ولا تعلم أحداً من أهلك وولدك فضلاً عن غيرهم مقدار مالك، فإنهم إن رأوه قليلاً هنت عليهم وإن رأوه كثيراً لم تبلغ رضاهم قط، واجفهم من غير عنف، ولن لهم من غير ضعف، ليكن لك فضل عزلة، فإن كثرة الخلطة مجلبة الابتذال.

ومما يروى عن علي ﷺ: إياك وفعل القبيح، فإنه يُقبِّح ذكرك ويُكثِر وزرك، إياك أن تستسهل ركوب المعاصي فإنها تكسوك في الدنيا ذلة وتكسبك في الآخرة سخط الله. عليك بالحكمة فإنها الحلية، عليك بالحياء فإنه عنوان النبل، عليك بالسخاء فإنه ثمرة العقل، عليك بالأناة فإن المتأني حري بالإصابة، عليك بحسن الخلق فإنه يكسبك الكرامة ويكفيك الملامة، عليك بلزوم الحلال، وحسن البر بالعيال، عليك بالصدقة تنج من دناءة الشح، عود نفسك الجميل فإنه يجمل عنك الأحدوثة، ويجزل لك المثوبة، عود نفسك حسن الكلام تأمن الملام. كن بالوحدة آنس منك بقرناء السوء، كن للمظلوم عونًا، وللظالم خصمًا، كن للود حافظًا وإن لم تجد محافظًا، كن مؤاخذاً نفسك مغالبًا سوء طبعك، وإياك أن تحمل ذنوبك على ربك. كن بأسرارك بخيلاً، ولا تذع سراً أودعته فإن الإذاعة خيانة، كن حسن المقال جميل الأفعال، فإن مقال الرجل برهان فضله، وفعاله عنوان عقله، كن صموتًا من غير عي، فإن الصمت زينة العالم وستر الجاهل.

كن بعدوك العاقل أوثق منك بصديقك الجاهل. كن متصفًا بالفضائل مبرأ من الرذائل.

لا تأس على ما فات، لا تقولن ما يسوؤك جوابه، لا تركنن في مودة من لم تكشفه، لا تزهدن من شيء حتى تعرفه، لا تَضْمَن ما لن تقدر على الوفاء به، لا تخبر بما لم تحط علمًا به، لا تأمن البلاء في أمنك ورخائك، لا تعدن شراً ما أدركت به خيراً، لا تعدن خيراً ما أدركت به شراً، لا تتكلم بما لا تعلم فكفى بذلك جهلاً، لا تمسك عن إظهار الحق إذا وجدت له أهلاً، لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال.

لا تعود نفسك اليمين فإن الحلاَّف لا يسلم من الإثم، لا تعود نفسك الغيبة فإن معتادها عظيم الجرم، لا تيأس من الزمان إذا منع، ولا تثق به إذا أعطى، كن على أعظم الحذر، لا يؤنسك إلا الحق، ولا يوحشنك إلا الباطل، لا تخل نفسك من فكرة تزيدك حكمة، وعبرة تفيدك عصمة، لا تسيء الخطاب فيسوءك الجواب، ولا تحارب من لا يعتصم بالدين، فإن مغالب الدين محروب[١]، لا تغالب من لم يستظهر بالحق فإن مغالب الحق مغلوب.

لا تجهل نفسك فإن الجاهل بنفسه جاهل بكل شيء[٢].

---

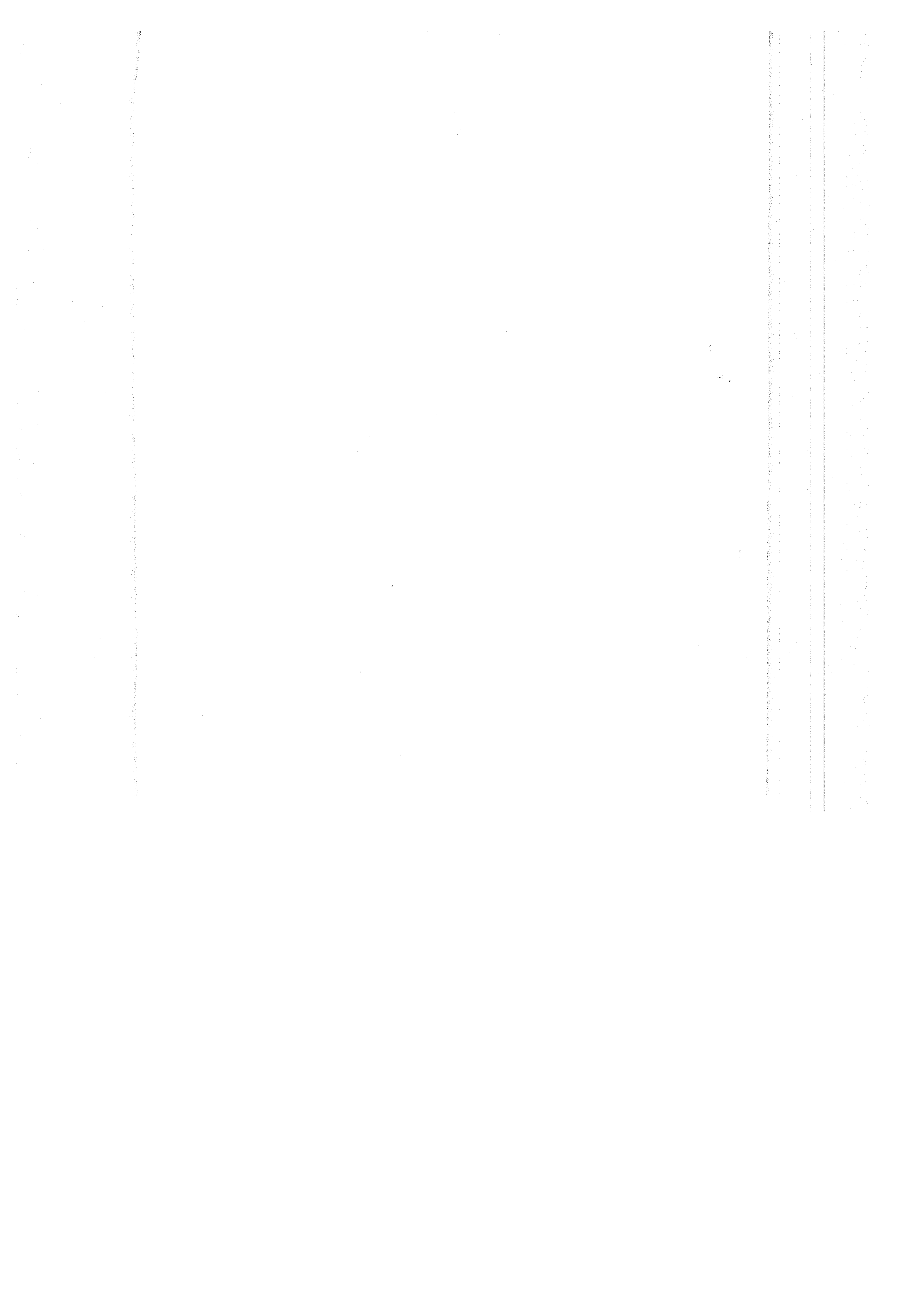
(١) أي مهزوم في الحرب.

(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأحباب، لجمال الدين القاسمي الدمشقي (٦-١٥) باختصار ط. مؤسسة قرطبة.

[٥]

التربية على الآداب النبوية

والسنن المصطفوية



[٥] التربية على الآداب النبوية والسنن المصطفوية

مما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم الذي يهدف إلى إقامة المجتمع المسلم، وإعادة الخلافة على منهاج النبوة الآداب النبوية والسنن المصطفوية، وهذه الآداب كثيرة، منها ما يتلقاه المسلم في بيته ومدرسته بالقدوة الحسنة، ولكننا في أزمة عزَّت فيها الأسوة الحسنة، وأقفرت منها أكثر بيوت المسلمين، واستبدل بكثير منها الآداب الغربية الكافرة، والأذواق المستوردة من حضارة الغرب الكافر، كنتيجة طبيعية لانتشار الأجهزة الخبيثة كالفيديو والتلفاز وأجهزة استقبال البث المباشر، التي أطاحت بكثير من القيم الإسلامية، والآداب النبوية، وقتلت غيرة الرجال، وأضاعت حياء النساء، وصارت مجتمعات المسلمين لا تفترق كثيراً عن المجتمعات الغربية الكافرة، فعلى القائمين على المناهج التربوية الاهتمام بإحياء الفضائل والآداب الإسلامية، ونشرها وإشاعتها، والاهتمام بتدريسها، لعل الله عز وجل يبارك في هذه الجهود، ويستنقذ بها كثير من أبناء المسلمين، حتى لا يجرفهم سيل المعاصي والشهوات، والإعراض عن رب الأرض والسموات، والله الموفق للطاعات والهادي لأعلى الدرجات.

وهذه جملة من الآداب الإسلامية التي ينبغي الاهتمام بها:

١ - آداب بر الوالدين.

٢ - آداب صلة الرحم.

٣ - آداب الضيافة.

٤ – آداب الجوار.

٥– آداب طلب العلم.

٦– آداب النظر.

٧– آداب اللسان.

٨– آداب الخلطة.

٩– آداب الذكر.

١٠ – آداب الطعام.

١١ – آداب النوم.

١٢ – آداب السلام.

١٣ – آداب السواك.

١٤ – آداب العطاس والتثاؤب.

١٥ – آداب الاستئذان.

١٦ – آداب المجلس.

١٧ – آداب السفر.

١- آداب بر الوالدين

قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣–٢٤].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت النبي: أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: (**الصلاة على وقتها**). قال: ثم أي؟ قال: (**ثم بر الوالدين**). قال: ثم أي؟ قال: (**الجهاد في سبيل الله**)[1].

والبر اسم جامع للخير، وهو ضد العقوق، ومعناه الصلة وفعل الخير والتوسع فيه، واللطف والطاعة.

ومن برهما: النفقة عليهما إذا احتاجا، لقوله عز وجل: ﴿**وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**﴾ [لقمان:١٥] وقوله عز وجل: ﴿**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ [الإسراء:٢٣].

ومن برهما: توقيرهما واحترامهما، عن هشام بن عروة عن أبيه أو غيره أن أبا هريرة أبصر رجلين فقال لأحدهما: ما هذا منك؟ فقال: أبي. فقال: لا تسمه باسمه، ولا تمش أمامه، ولا تجلس قبله.

ومن برهما: دعوتهما إلى الله عز وجل، روى مسلم وأحمد عن أبي كثير السحيمي قال: «سمعت أبا هريرة يقول: ما سمع بي أحد يهودي ولا نصراني إلا أحبني. إن أمي كنت أريدها على الإسلام فتأبى فقلت لها فأبت، فأتيت النبي ﷺ فقلت: ادع الله لها فدعا، فأتيتها وقد أجافت عليها الباب، فقالت: يا أبا هريرة إني أسلمت. فأخبرت النبي ﷺ فقلت: ادع الله لي ولأمي فقال: (**اللهم عبدك أبو هريرة وأمه أحبهما إلى الناس**)[3].

---

(١) رواه البخاري (٢/ ٩) مواقيت الصلاة ح ٥٢٧.

(٢) رواه أحمد (٢/ ٣١٩، ٣٢٠)، والبخاري في الأدب المفرد (رقم ٣٤) واللفظ له، ورواه مسلم بلفظ: (اللهم حبب عبيدك هذا – يعني أبا هريرة – وأمه إلى عبادك المؤمنين). رقم (٢٤٩١) فضائل الصحابة.

ومن برهما: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما بعدهما.

عن محمد بن سيرين قال: كنا عند أبي هريرة ليلة قال: اللهم اغفر لأبي هريرة ولأمي ولمن استغفر لهما. قال محمد: فنحن نستغفر لهما حتى ندخل في دعوة أبي هريرة.

ومن برهما: صلة أهل ودهما، ففي الصحيح عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ**»[١].

ومن برهما: قضاء دينهما، والحج عنهما، والوفاء بنذرهما.

عن ابن عباس قال: أمرت امرأة سنان بن سلمة الجهني أن يسأل رسول الله ﷺ أن أمها ماتت ولم تحج، أفيُجزئ عن أمها أن تحج عنها؟ قال: «**نعم، لو كان على أمها دين فقضته عنها، ألم يجزء عنها؟ فلتحج عن أمها**»[٢].

٢- آداب صلة الرحم

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ**﴾ [النساء: ١].

أي اتقوا الله بطاعتكم إياه، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، ولكن بروها وصلوها.

(١) رواه مسلم (١٦ / ١١٠) البر والصلة والآداب ح ٢٥٥٢.
(٢) رواه النسائي (٥ / ١١٦) مناسك الحج، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي رقم (٢٤٧٠).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ. حَتَّى إذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَت الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أمَا تَرْضَيْنَ أنْ أصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟. قَالَتْ: بَلَى. قَالَ: فَذَاكِ لَكِ)** [١].

ثم قال رسول الله ﷺ: (اقرءوا إن شئتم ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (٢٣) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾

[محمد: ٢٢-٢٤]).

وعن أنس ﷺ مرفوعًا: **(مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)** [٢].

قال السفاريني: قال البلباني: واعلم أن المراد بصلة الرحم موالاتهم ومحبتهم أكثر من غيرهم لأجل قرابتهم، وتأكيد المبادرة إلى صلحهم عند عداوتهم، والاجتهاد في إيصال كفايتهم بطيب نفس عند فقرهم، والإسراع إلى مساعدتهم ومعاونتهم عند حاجتهم، ومراعاة جبر خاطرهم، مع التعطف والتلطف بهم، وتقديمهم في إجابة دعوتهم، والتواضع معهم مع غناه وفقرهم، وقوته وضعفهم، ومداومة مودتهم، ونصحهم في كل شئونهم، والبداءة بهم في الدعوة والضيافة قبل غيرهم، وإيثارهم في الصدقة والإحسان والهدية على ما سواهم،

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٥٤) البر والصلة.

(٢) رواه البخاري (١٠/٤١٥) الأدب ح ٥٩٨٦، ومسلم (١٦/١١٤) البر والصلة ح ٢٥٥٧.

لأن الصدقة عليهم صدقة وصلة، وفي معناه الهدية ونحوها، ويتأكد فعل ذلك مع الرحم الكاشح المبغض، عساه أن يرجع عن بغضه إلى مودة قريبه ومحبته. وفي الحديث: (**الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقة وصلة**)[١].

واعلم أن هذا كله ليس بواجب، أكثره مندوب كما يعلم[٢] اهـ.

٣- آداب الضيافة

عن أبي شريح الكعبي أن رسول الله ﷺ قال: (**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام فما بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يحرجه**)[٣].

قال ابن بطال: سئل عنه مالك فقال: يكرمه ويتحفه يومًا وليلة، وثلاثة أيام ضيافة. قلت: واختلفوا هل الثلاث غيرها أو بعد منها؟

فقال أبو عبيد: يتكلف له في اليوم الأول بالبر والألطاف، وفي الثاني والثالث يقدم له ما حضره، ولا يزيده على عادته، ثم يعطيه ما يجوز به يوم وليلة، وتسمى الجيزة، وهي قدر ما يجوز به المسافر من منهل إلى منهل، ومنه الحديث الآخر: (**أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم**)[٤].

---

(١) الحديث رواه النسائي (٥ / ٩٢) الزكاة، والترمذي (٦٥٨) الزكاة، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٢) غذاء الألباب (١ / ٣٠٧) ط. دار العلم للجميع ومكتبة البيان، رقم (٥٣١).

(٣) رواه البخاري (١٠ / ٥٤٨) الأدب ح ٦١٣٥، ومسلم (٣ / ١٣٥٢) اللقطة ح ٤٨.

(٤) رواه أبو داود (٣٠١٣) الخراج والإمارة، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٢٣)، وقد رواه البخاري ومسلم مطولاً.

وقال الخطابي: معناه أنه إذا نزل به الضيف أن يتحفه ويزيده في البر على ما بحضرته يومًا وليلة، وفي اليومين الآخرين يقدم له ما يحضره، فإذا مضى الثلاث فقد قضى حقه، فما زاد عليها مما يقدمه له يكون صدقة[١].

ذكر الله عز وجل عن إبراهيم عليه السلام أنه كان مضيافًا كريمًا، وكان له روغتان: روغة شجاعة، وروغة كرم، قال تعالى: ﴿**فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ**﴾ [الصافات:٩٣]، وقال تعالى: ﴿**فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ**﴾ [الذاريات:٢٦] وراغ معناها: ذهب بخفية، وقوله: ﴿**بِعِجْلٍ سَمِينٍ**﴾ وهو أجود البقر، وهذه عادة الكرماء المرحبين بضيوفهم.

٤- آداب الجوار

عن أبي شريح الخزاعي عن النبي ﷺ قال: (**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**)[٢].

قوله: (**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**) المقصود المبالغة في إتيان هذه الأفعال، كما تقول لولدك: إن كنت ابني فأطعني، تحريضًا له على الطاعة، وتخصيص اليوم الآخر بالذكر لأن رجاء الثواب والعقاب كله راجع إلى الإيمان باليوم الآخر، ومن لا يعتقده لا يرتدع عن شر ولا يقدم على خير، وتكريره للاهتمام والاعتناء بكل خصلة.

---

(١) فتح الباري (١٠/٥٤٩).

(٢) رواه البخاري (١٠/٤٦٠) الأدب ح ٦٠١٩، ومسلم (١/٦٩) الإيمان ح ٤٨ واللفظ له.

وقوله: (فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ) والإحسان إليه أن يعينه على ما يحتاج إليه، ويدفع عنه السوء، ويخصه بالنيل لئلا يستحق الوعيد والويل، وهذا أروع من قول النبي ﷺ في رواية: (فلا يؤذ جاره) والأذى بغير حق محرم على كل أحد، لكن في حق الجار أشد تحريمًا، وفي الحديث: (فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ) والإكرام بطلاقة الوجه، والكلام الطيب، والإطعام، وقد فسر عطاء الخرساني حق الجار بالإعانة، والإقراض والعيادة، والتعزية، والتهنئة، واتباع الجنائز، وأن لا تستطيل عليه في البناء حتى تحرمه من الريح والشمس مثلاً[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: (مَا زَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ)[(٢)].

وقوله: (سَيُوَرِّثُهُ) أي يأمر بتوريث الجار من جاره، بأن يجعله مشاركًا في المال مع الأقارب بسهم يعطاه، مسلمًا كان أو كافرًا، عابدًا أو فاسقًا..[(٣)].

قال الحسن: ليس حسن الجوار كف الأذى، ولكن حسن الجوار احتمال الأذى[(٤)].

---

(١) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد (١/ ١٩١) لفضل الله الجيلاني. ط. السلفية.

(٢) رواه البخاري (١٠/ ٤٥٥) الأدب ح ٦٠١٥، ومسلم رقم (٢٦٢٤) البر والصلة.

(٣) باختصار من فضل الله الصمد (١/ ١٩٠).

(٤) فضل الله الصمد (١/ ٢٠٦)

[٥] آداب طلب العلم

– ينبغي لطالب العلم أن يستحضر نية الإخلاص في الطلب، فقد قال النبي ﷺ: (**من طلب علمًا مما يُبْتغَى به وجه الله لا يطلبه إلا ليصيب به عرض الدنيا لن يجد عرف الجنة يوم القيامة**)(١).

– وينبغي له أن يطلب العلم النافع، وهو علم الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، لا يطلب علم الكلام والفلسفة وما ضرره أكثر من نفعه.

– وينبغي له كذلك أن يختار من يتعلم منه، ولا يتعلم إلا ممن ظهرت ديانته، واشتهرت صيانته. قال مالك بن أنس: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم.

– وينبغي له أن ينظر إلى معلمه بعين الاحترام والتوقير، فإن هذا أقرب إلى الانتفاع به. قال الربيع: ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليَّ هيبة له.

– وينبغي له أن يتجنب الأسباب الشاغلة عن التحصيل، إلا سببًا لا بد منه للحاجة، فالعلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك.

– وينبغي له أن لا يرفع صوته رفعًا بليغًا من غير حاجة، ولا يضحك ولا يكثر الكلام من غير حاجة، ولا يعبث بيده ولا يلتفت يمينًا ولا شمالاً من غير حاجة.

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٤٧ عون) العلم، وابن ماجة (١ / ٩٣) المقدمة، وصححه الألباني رقم (٢٠٤) صحيح ابن ماجة.

– ومن ذلك أن يدخل على شيخه كامل الخصال متطهرًا، ملتزمًا بالآداب الشرعية الظاهرة والخفية، كالتنظيف بإزالة الأوساخ، ونتف الإبط، وإزالة الروائح الكريهة، وتسريح اللحية والتطيب.

– ومن ذلك أن يعمل بما يتعلمه. قال بعضهم: يهتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل. ومن العمل بالعلم تعليمه، والله الموفق للطاعات والهادي لأعلى الدرجات.

٦- آداب النظر

قال تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ [النور: ٣٠].

وقد أمر الله عز وجل بغض البصر، وصيانة الفرج، وقرن بينهما في معرض الأمر، وبدأ بالأمر بالغض لأن العين رائد للقلب كما قيل:

ألم تر أن العين للقلب رائد   فما تألف العينان فالقلب آلف

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**كُتبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصيبُهُ منَ الزِّنَا، مُدْرِكٌ ذَلكَ لاَ مَحَالَةَ: فَالعَيْنَان زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالأُذُنَان زِنَاهُمَا الاسْتمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الكَلامُ، وَاليَدُ زِنَاهَا البَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الخُطَا، وَالقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلكَ الفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ**)[١].

وعن جرير رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة فقال: (**اصرف بصرك**)[٢].

(١) رواه البخاري (١١/٢٦) الاستئذان ح ٦٢٤٣، ومسلم (١٦/٢٠٥، ٢٠٦) القدر ح ٢٦٥٧ واللفظ له، وأحمد (٢/٢٧٦).

(٢) رواه مسلم (١٤/١٣٩) الأدب ح ٢١٥٩، والترمذي (١٠/٢٢٩) الأدب، والدرامي (٢/٢٧٨) الاستئذان ح ٢٦٤٣، وأحمد (٤/٣٥٨-٣٦١).

قال النووي: ومعنى نظر الفجأة أن يقع بصره على الأجنبية من غير قصد فلا إثم عليه أن يصرف بصره في الحال، فإن صرف في الحال فلا إثم عليه، وإن استدام النظر آثمَ لهذا الحديث، فإن رسول الله ﷺ أمره بصرف بصره مع قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾(١).

وتتأكد هذه الآداب الشرعية مع كثرة تبرج النساء وقلة حيائهن، فالواجب على المسلم أن يحرص على سلامة قلبه، ورضا ربه بغض بصره، فالنظرة سهم مسموم من سهام إبليس:

يا راميًا بسهام اللحظ مجتهدا   أنت القتيل بما ترمي فلا تصب
وباعث الطرف يرتاد الشفاء له   طوقه إنه يأتيك بالعطب

٧- آداب اللسان

قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وقال النبي ﷺ: **(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)**(٢).

وقال ﷺ: **(إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ)**(٣).

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٣٩).

(٢) رواه البخاري (١٠/ ٤٦٠) الأدب ح ٦٠١٨، ومسلم (٢/ ١٨) الإيمان ح ٤٨، وأبو داود (١٣٢ عون) الأدب، وابن ماجة (٣٩٧١) الفتن.

(٣) رواه البخاري (١١/ ٢٦٦) الرقاق ح ٦٤٧٧، ومسلم (١٨/ ١١٧) الزهد ح ٢٩٨٨، والترمذي (٩/ ١٩٥ عارضة) الزهد.

قال النووي: في هذا الحديث حث على حفظ اللسان، فينبغي لمن أراد أن ينطق أن يتدبر ما يقول قبل أن ينطق، فإن ظهرت فيه مصلحة تكلم، وإلا أمسك[١].

عن الحسن البصري قال: كانوا يقولون: «إن لسان المؤمن وراء قلبه، فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه، وإن لسان المنافق أمام قلبه، فإذا همَّ بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه».

وآفات اللسان كثيرة خطيرة، منها: الكلام فيما لا يعني، وفضول الكلام، والغيبة، والنميمة، وكلام ذي الوجهين، والمدح، والقذف، وشهادة الزور، والكذب، والقول على الله بغير علم، وإن من أهون آفات اللسان خطراً الكلام فيما لا يعني، وقد قال النبي ﷺ: (**من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه**)[٢] وقال سهل بن عبد الله: من تكلم فيما لا يعنيه حرم الصدق.

وقال الحسن: من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه. فكيف بالغيبة والنميمة والزور وغير ذلك، نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١١٧).

(٢) رواه الترمذي (٩/ ١٩٦ عارضة) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي أسامة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ من هذا الوجه، ورواه ابن ماجة (٣٩٧٦) وحسنه النووي، وابن عبد البر، ورجح ابن رجب إرساله، وصححه الألباني.

٨- آداب الخلطة

من أضر الأشياء على قلوب المؤمنين مخالطة أهل المعاصي والشهوات، فإنها توجب تشتت القلب وهمه وغمه وضعفه، وهل كان أضر على عم النبي ﷺ أبي طالب عند وفاته من قرناء السوء؟ لم يزالوا به حتى حالوا بينه وبين كلمة لو قالها لأوجبت له السعادة الأبدية.

والضابط النافع في أمر المخالطة أن يخالط الناس في الطاعات، وأن يخالفهم في المعاصي وفضول المباحات. وإن دعت الحاجة إلى المخالطة في فضول المباحات فليستعن بالله عز وجل ويؤثِّر فيهم من الخير ما أمكنه، فإن أعجزته المقادير عن ذلك فليسل قلبه من بينهم كسل الشعرة من العجين، وليكن فيهم حاضراً غائباً قريباً بعيداً، نائماً يقظاناً، ينظر إليهم ولا يبصرهم، يسمع كلامهم ولا يعيه، لأنه قد أخذ قلبه من بينهم، ورقى به إلى الملأ الأعلى يسبح حول العرش مع الأرواح العلوية الزكية، وما أصعب هذا وأشقه على النفوس، وإنه ليسير على من يسَّره الله عليه.

وكل مخالطة وخلة في غير طاعة الله عز وجل ومحبته تنقلب يوم القيامة إلى عدواة ومشاقة، قال تعالى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾[الزخرف:٦٧].

وقال إبراهيم الخليل لقومه: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾[العنكبوت:٢٥].

٩- آداب الذكر

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال ﷺ: (مَثَلُ الَّذي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذي لاَ يَذْكُرُ كَمَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ) (١).

فمن آداب الذكر: الإخلاص وحضور القلب، وتواطأ القلب واللسان عليه، والإكثار منه لقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤١].

ومن ذلك: نظافة الثوب والبدن والطهارة والتطيب واستقبال القبلة.

ومن ذلك: التأدب مع الله عز وجل، واستحضار عظمته، قال تعالى: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

قال شيخ الإسلام: لما ذكر الله الذكر ذكر الخوف، لأن الخوف مطلوب عند الذكر (٢).

ومن ذلك: قطع الذكر لرد السلام، وتشميت العاطس، وعند سماع المؤذن.

ومن ذلك: استعمال أصابع اليد في عد الذكر، لأن الصحابة كانوا يسبحون بأصابعهم.

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٥٤.

(٢) باختصار من الآداب النبوية التربوية لصالح بن علي أبو عراد (٣٧) ط. مكتبة أبها.

ومن أداب الذكـر : اتخاذ القدوة الصالحة المؤمنة الذاكرة لله سبحانه وتعالى، قال عز من قائل : ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** ﴾ [الكهف :٢٨] .

وهذا أدب تربوي يقتضي اتخاذ القدوة الصالحة الحسنة من الذين يذكرون الله عز وجل، ويعينون على ذكره ويذكّرون المسلم بمولاه. قالوا عن أيوب بن تميم السختياني المحدث الشهير التابعي سيد شباب أهل البصرة : إنه كان إذا خرج إلى السوق، ورآه الناس، سبحوا وحمدوا وذكروا الله، لأن رؤيته تذكر بالله عز وجل.

ليسـوا كقـوم إذا لاقيـتهم عـرضًا ... أهدوك من نورهم ما يتحف الساري
تَروى وتشبع من سيـماء طلعتهم ... بوصـفـهم ذكروك الواحـد البـاري

والجليس السعيد من إذا ذكرت الله أعانك، وإذا نسيت ذكرك، والسيئ المفلس من إذا ذكرت الله لم يعنك، وإذا سهوت لم يذكرك[1] .

١٠- آداب الطعام

فمن آداب الطعام والشراب : استحضار نية التقوِّي على طاعة الله عز وجل.

ومـن الآداب : أن يختار الحلال الطيب من المطاعم والمشارب، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾ [البقرة :١٧٢] .

---

(١) السابق (٣٨) .

ومن آداب الطعام: غسل اليدين قبله.

ومن ذلك: التسمية في أوله، والأكل باليمين، والأكل مما يليه.

كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: **(يَا غُلامُ! سَمِّ اللهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)** [١].

ومن ذلك: الاجتماع على الطعام لتأليف القلوب، وترقيقها وحصول البركة، كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا أحضروا له الطعام قال: التمسوا بعض المساكين والفقراء، فلن آكل وحدي.

ومن ذلك: أن يبدأ الطعام بذكر الله.

ومن ذلك: التواضع في الجلوس لقوله ﷺ: **(لا آكل متكئًا)** [٢].

ومن ذلك: الأكل بثلاثة أصابع ولعقها بعد الأكل.

ومن ذلك: عدم النفخ في الطعام الحار، وألاَّ يؤكل حتى يبرد. وإذا سقطت منه لقمة أماط عنها الأذى وأكلها، ولا يدعها للشيطان.

ومن ذلك: عدم الإكثار من الطعام، قال النبي ﷺ: **(الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعىً وَاحِدٍ، وَالكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ)** [٣].

---

(١) رواه البخاري (٩ / ٤٣١) الأطعمة ح ٥٣٧٦، ومسلم (٢٠٢٢) الأشربة، ومالك في الموطأ، صفة النبي ﷺ (٢ / ٩٣٤).

(٢) رواه البخاري (٩ / ٤٥١) الأطعمة ح ٥٣٩٨، والترمذي (١٨٣١) الأطعمة، وأبو داود (٣٧٥١ عون) الأطعمة.

(٣) رواه مسلم (١٤ / ٢٥) الأشربة عن أبي موسى الأشعري ح ٢٠٦٢، ورواه البخاري عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم ح ٥٣٩٣، ح ٥٣٩٦ .

وقال بعض السلف: إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة.

ومن ذلك: عدم ذم الطعام أو عيبه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «مَا عَابَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ»(١).

ومن ذلك: حمد الله تعالى بعد الطعام والشراب، لما رواه مسلم عنه ﷺ: (**إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَيَرْضَى عَلَى العَبْدِ يَأْكُلُ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**)(٢).

ومن ذلك: أن يدعو لمن أكل عنده بدعاء رسول الله ﷺ: (**اللهم أطعم من أطعمني، واسق من سقاني**) رواه مسلم(٣).

وهناك آداب ليس عليها بخصوصها أدلة من الكتاب والسنة ولكنها توافق روح الشريعة، والعرف العام الذي يعتبر به في مثل هذه المواطن، فمن ذلك أن يأكل بلا تكلف، وأن لا ينظر إلى رفاقه بعين المراقبة، فإن ذلك يخجلهم، وأن لا يفعل ما يستقذره الناس في الغالب: كنفض اليد في الإناء، والأكل والفم مملوء بالطعام، وكذا الكلام وفي فمه طعام، أو مجرد فتح فمه، والتجشؤ، وغير ذلك من الآداب التي تناسب الذوق السليم.

---

(١) رواه البخاري (٩/ ٤٥٨) الأطعمة ح ٥٤٠٩، ومسلم (٢٠٦٤) الأشربة، والترمذي (٢٠٣١) البر والصلة، وأبو داود (٣٧٤٥ عون) الأطعمة.

(٢) رواه مسلم (٢٧٣٤) الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

قال النووي: وفيه استحباب حمد الله تعالى عقب الأكل والشرب، وقد جاء في البخاري صفة التحميد: (الحمد لله حمداً كثيراً كافياً غير مكفي، ولا مودع ولا مستغني عنه ربنا) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ٨٠).

(٣) رواه مسلم (٥٥٠٢) الأشربة.

١١- آداب النوم

ومن آداب النوم: أن ينام على نية صالحة، كما قال معاذ: إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي.

ومن ذلك: أن ينام مبكرًا حتى يستطيع قيام الليل ويستقبل صلاة الفجر وأذكار الصباح بنشاط، وقد نهي عن السمر بعد العشاء إلا للعلم النافع، أو تأنيس الرجل زوجته، أو التشاور في مصالح المسلمين.

وكان عمر رضي الله عنه يعلوا بالدرة من يسمر بعد صلاة العشاء ويقول: أَسَمَرٌ أوَّلَ الليل ونوم آخره؟!

ومن ذلك: أن يحاسب العبد نفسه قبل النوم على ما قاله وفعله في نهاره، فإن وقف على ذنب تاب منه، فينام على توبة ويصبح على توبة.

قال بعض السلف: من لم يتب كل صباح ومساء كان من الظالمين، قال الله عز وجل: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [الحجرات: ١١].

ومن ذلك: ألا يبيت إلا ووصيته عند رأسه، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ وَلَهُ مَا يُوصِي فِيهِ، إِلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ**»[١].

ومن ذلك: عدم التكلف في الفراش، أو المبالغة في نعومته، فإن ذلك أقرب للتقوى وهدي الصالحين، وأدعى إلى التوفيق لقيام الليل.

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٤١٩) الوصايا ح ٢٧٣٨، ومسلم (١٦٢٧) الوصية. قال النووي: وقد أجمع المسلمون على الأمر بها. لكن مذهبنا ومذهب الجماهير أنها مندوبة لا واجبة.

ومن ذلك: نفض الفراش قبل النوم للتأكد من خلوه من الهوام والحشرات، ولما ورد عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي مَنْ خَلَفَهُ عَلَيْهِ**)[1].

ومن ذلك: خلع ملابس العمل، وارتداء ملابس للنوم، ويراعى في ملابس النوم أن تكون متسعة، غير مانعة للحركة، وفضفاضة نظيفة مصنوعة من القطن ساترة غير شفافة.

ومن ذلك: أن يتأكد من إطفاء المصابيح، وأنابيب الغاز، وإغلاق الأبواب، وتغطية الآنية، في الصحيح عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**أَطْفِئُوا المَصَابِيحَ إِذَا رَقَدتم، وَأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ، وَأَوْكِئُوا الأَسْقِيَةَ، وَخَمِّرُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ، وَلَوْ بِعُودٍ تَعْرُضُونَهُ، أَوْ تعرضه عَلَيْهِ**)[2].

ومن ذلك: أن ينام العبد على طهارة، ففي صحيح ابن حبان من حديث ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**من بات طاهراً بات في شعاره مَلَك، فلا يستيقظ إلا قال المَلَك: اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهراً**)[3]. والشعار: ما يلي البدن من ثياب.

ومن ذلك: أن ينظف فمه بالسواك أو الفرشاة والمعجون.

---

(١) رواه البخاري (١١ / ١٣٠) الدعوات ح ٦٣٢٠، ومسلم (٢٧١٤) الذكر والدعاء.

(٢) رواه البخاري، الأشربة ح ٥٦٢٤، ومسلم (٢٠١٢) الأشربة، ومالك في الموطأ (٢/٩٢٨، ٩٢٩).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣/٣٢٨) الطهارة ح ١٠٥١، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٢٢٦).

ومن ذلك: أن ينام على شقّه الأيمن، ويستقبل بوجهه القبلة، ويضع راحة اليد اليمنى تحت الخد الأيمن.

ومن ذلك: أن يتلو أذكار النوم الثابتة عن النبي ﷺ، فمن ذلك قوله ﷺ: (**باسْمكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبكَ أَرْفَعُهُ، إنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ به عِبَادَكَ الصَّالِحِين**)(١).

ومن ذلك: ما رواه حذيفة قال: كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: (**باسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا**)(٢).

وكذا يتلو أذكار الاستيقاظ من النوم، كما في حديث البخاري: كان النبي ﷺ إذا استيقظ من نومه قال: (**الحَمْدُ للهِ الَّذي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**)(٣).

١٢- آداب السلام

قال تعالى: ﴿**فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً**﴾ [النور: ٦١]، وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾ [النساء: ٨٦].

كما أن السلام حق من حقوق المسلم على أخيه لما رواه الشيخان عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: (**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ**)(٤).

---

(١) رواه البخاري (٦٣٢٠) الدعوات، ومسلم (٢٧١٤) الذكر والدعاء.

(٢) رواه البخاري (١١/ ١١٧) الدعوات ح ٦٣٢٤، والترمذي (٣٤١٧) الدعوات، وأبو داود (٥٠٢٨ عون) الأدب، وأحمد (٥/ ٣٨٥، ٤٠٧).

(٣) السابق.

(٤) رواه البخاري (٣/ ١٣٥) الجنائز ح ١٢٤٠، ومسلم (٢١٦٢) السلام.

وإفشاء السلام سبب جالب للمحبة والألفة بين المسلمين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **﴿لاَ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟! أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ﴾**(١) .

ومن آداب السلام: أن يبدأ المسلم أخاه بالسلام، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال سول الله ﷺ : **﴿إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام﴾**(٢) .

ومن آداب السلام: أن يكون عند اللقاء وعند الفراق لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **﴿إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة﴾**(٣) .

ومن ذلك: السلام على الصبيان الصغار، فعن أنس رضي الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم، وقال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَفْعَلُهُ»(٤) .

ومن ذلك: تكرير السلام إذا حجز حاجز بين المسلم وأخيه، لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: **﴿إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه﴾**(٥) .

---

(١) رواه مسلم رقم (٥٤) الإيمان، وأبو داود (٥١٧١ عون) الأدب، وابن ماجة (٦٨) المقدمة، وقال النووي: فقوله ﷺ : (ولا تؤمنوا حتى تحابوا) معناه لا يكمل إيمانكم ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب.

(٢) رواه أبو داود (٥١٧٥ عون) الأدب، وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم (٤٣٢٨).

(٣) رواه أبو داود (٥١٨٦ عون) الأدب، والترمذي (٢٧٠٦) الاستئذان، وقال: حديث حسن.

(٤) رواه البخاري (١١/ ٣٤) الاستئذان ح ٦٢٤٧، ومسلم (٢١٦٨) السلام.

(٥) رواه أبو داود (٥١٧٨ عون) الأدب، وقال الألباني: صحيح موقوفاً ومرفوعاً، وانظر الصحيحة رقم (١٨٦).

ومن ذلك: أن يبلغ سلام من طلب منه تبليغه، فإن ذلك أمانة عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: **(هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلامَ. قَالَتْ: قُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ)**[١] متفق عليه.

ومن ذلك: أن لا يبدأ الكافر بالسلام، لعزة الإسلام، قال النبي ﷺ: **(لاَ تَبْدَءُوا اليَهُودَ وَلاَ النَّصَارَى بِالسَّلامِ)**[٢].

وإذا سلم عليه الكافر ضيق عليه بقوله: **(وَعَلَيْكُمْ)**.

ومن ذلك: أن لا يستعمل في التحية غير السلام، وأن يترك تحية الكفار.

ومن ذلك: أن يسلم الماشي على القاعد، والراكب على الماشي، والقليل على الكثير، والصغير على الكبير لقوله ﷺ: **(يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي، وَالمَاشِي عَلَى القَاعِدِ وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ)**[٣] متفق عليه.

---

(١) رواه البخاري (٧/ ١٣٣) فضائل أصحاب النبي ﷺ ح ٣٧٦٨، ومسلم (٢٤٤٧) فضائل الصحابة.

(٢) رواه مسلم (٢١٦٧) السلام، وأبو داود (١٨٣د عون) الادب، والترمذي (٢٧٠٠) الاستئذان.

(٣) رواه البخاري (١١/ ١٧) الاستئذان ح ٦٢٣٢، ومسلم (٢١٦٠) السلام.
وقال النووي: هذا أدب من آداب السلام، واعلم أن ابتداء السلام سنة ورده واجب، فإن كان المسلم جماعة فهو سنة كفاية في حقهم إذا سلم بعضهم حصلت سنة السلام في حق جميعهم فإن كان المسلم عليه واحداً تعين عليه الرد، وإن كانوا جماعة كان الرد فرض كفاية في حقهم، شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٩٩).

١٣- آداب السواك

قال النبي ﷺ: (**السواك مطهرة للفم مرضاة للرب**)[١].

والسواك يعني دلك الأسنان وتنظيفها باستعمال عود من شجر الأراك أو ما يقوم مقامه من الأشجار النافعة، كالبشم وأصول الجوز ونحوها، ولا ينبغي أن يؤخذ من شجرة مجهولة فربما كان سماً.

وكان النبي ﷺ يتسوك في كل أحيانه، ويتأكد السواك عند تغير رائحة الفم، وعند الاستيقاظ من النوم، وعند القيام إلى الصلاة، قال النبي ﷺ: (**لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ**)[٢].

وكذا عند قراءة القرآن، تطييباً للفم، وتعظيماً للقرآن، وعند إتيان الجمعة تجملاً، لما رواه أحمد بسند صحيح أن النبي ﷺ قال: (**حق على كل مسلم الغسل والطيب والسواك يوم الجمعة**)[٣].

وعند دخول البيت، فعن عائشة رضي الله عنها: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ بَدَأَ بِالسِّوَاكِ**»[٤].

قال بعض العلماء: لما في ذلك من تهيؤ لمقابلة الأهل، والحديث معهم، ولأن السواك مبارك، وفيه أنس وتغيير لرائحة الفم التي ربما

---

(١) رواه النسائي (١/ ١٠) الطهارة، وأحمد (٦/ ٤٧، ٦٢، ١٢٤، ٢٣٨)، والدارمي (١/ ٧٤) الطهارة ح ٦٨٤، وصححه الألباني في الإرواء ٦٦، وأخرجه البخاري تعليقاً في كتاب الصوم.

(٢) رواه مسلم (٢٥٢) الطهارة، والدارمي (١/ ٧٤) الطهارة ح ٦٨٣ .

(٣) رواه أحمد (٤/ ٣٤)، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٧٩٦).

(٤) رواه مسلم (٢٥٣).

تغيرت من كثرة الحديث، فإن رائحة الفم تتغير بكثرة النوم، أو من كثرة السكوت، أو كثرة الكلام، فاستحب أن يتعاهد المسلم فمه بهذا السواك الجميل الذي ثبت عن معلم الخير عليه الصلاة والسلام[١].

١٤- آداب العطاس والتثاؤب

فمن أداب العطاس أن يحمد العاطس ربه عز وجل، وأن يدعو له إخوانه المسلمون بالرحمة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أن النبي ﷺ قال: «**إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم**»[٢].

يقول الأستاذ صالح بن علي أبو عراد: في ذلك توجيه نبوي يتمثل في أنه إذا عطس المسلم فإن عليه أن يحمد الله سبحانه على ما حصل له من نعمة ومنفعة بتلك العطسة التي أخرجت الأبخرة المحتقنة في أنفه وخياشيمه، ولذلك شرع المربي الكبير والمؤدب العظيم ﷺ حمد الله على هذه النعمة، لأن حمد المنعم على النعمة مظهر من مظاهر كرم الأخلاق، وحب الحق، والاعتراف بالفضل، ومقابلة الجميل بالثناء عليه. ثم إنه ورد في الحديث أن الله سبحانه يحب العطاس، وذلك لما فيه من إيقاظ للهمم، وتنشيط للجسم، ولما فيه من تذكير للإنسان بنعمة من نعم الله ليحمده عليها، ويذكره عندها، ثم يأتي بعد ذلك

---

(١) الآداب النبوية التربوية (٧٦).

(٢) رواه البخاري (١٠/٦٢٣) الأدب ح ٦٢٢٤، وأبو داود (٥٠١٢ عون) الأدب.

دور من سمعه ليشمته، أي يقول له: (**يرحمك الله**). وتشميت العاطس أدب تربوي نبوي اجتماعي ينم عن خلق كريم وذوق رفيع لمجالس المسلمين، فالمسلم لا يتوانى عن تصيد أدنى مناسبة ليدعو لأخيه المسلم دعوة خيرة كريمة[١].

ومن آداب العطاس: أن يُحْرَم المسلم من التشميت إذا لم يحمد الله عز وجل، لما رواه أبو موسى ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ فَلاَ تُشَمِّتُوهُ**)[٢].

ومن الآداب: وضع اليد أو طرف الثوب على الفم عند العطاس، فعن أبي هريرة ﷺ: «أن النبي ﷺ كان إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه - أي فمه -، وخفض صوته، أو غض بها صوته»[٣]. وهو حديث صحيح.

ومن هذه الآداب: التشميت إلى ثلاث مرات، فإذا عطس الرابعة دعا له بالشفاء، عن أبي هريرة مرفوعًا: (**شمت أخاك ثلاثًا، فما زاد فهو زكام**)[٤].

ويكره أكثر أهل العلم تشميت المرأة الأجنبية الشابة، ولا يكره ذلك للعجوز، لأنه ليس هناك ريبة أو شهوة في الغالب.

---

(١) الآداب النبوية التربوية (٥٨).

(٢) رواه مسلم (٢٩٩٢) الزهد.

(٣) رواه أبو داود (٥٠٠٨ عون) الأدب، والترمذي (٢٧٤٥) الأدب، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) رواه أبو داود (٥٠١٣) الأدب.

أما التثاؤب:

فمن آدابه أن يرد المسلم التثاؤب ما استطاع، لأنه اتباع للشيطان، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (**أما التثاؤب فإنما هو من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان**)[١].

ومن ذلك أنه إن لم يستطع رده وضع يده على فيه أو ثوبه، لما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ - أي فمه - فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ**)[٢].

ومن ذلك: أن لا يرفع صوته بالتثاؤب ما استطاع، لما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (**التثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا قال ها ضحك الشيطان منه**)[٣].

١٥- آداب الاستئذان

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا**﴾[النور:٢٧].

وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾[النور:٥٩].

---

(١) رواه البخاري (١٠/٦٢٦) الأدب.

(٢) رواه مسلم (٢٩٩٥) الزهد والرقائق.

(٣) رواه البخاري (٣٢٨٩) بدء الخلق، والترمذي مطولاً (٢٧٤٧) الأدب.

فمن آداب الاستئذان: أن يبدأ بالسلام، عن كلدة بن الحنبل ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ فدخلت عليه ولم أسلم، فقال النبي ﷺ: **«ارْجِعْ فَقُلْ السَّلامُ عَلَيْكُمُ أَأَدْخُلُ؟»**[١] .

ومن ذلك: أن يفصح عن اسمه إذا سُئِلَ، ولا يقول: أنا.

ومن ذلك: أن يستأذن ثلاثًا، فإن أذن له وإلا رجع، لقوله ﷺ: **«الاسْتِئْذَانُ ثَلاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلاَّ فَارْجِعْ»**[٢] .

وكذا لو قيل له ارجع يرجع سليم القلب، مسروراً بقول الله عز وجل: ﴿ **وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ** ﴾ [النور:٢٨].

ومن ذلك: ألا يقف في مواجهة الباب، لئلا تقع عينه على عورة من عورات البيت.

ومن ذلك: أن يتخير الوقت، فلا يهجم على أخيه في ساعة متأخرة من الليل، ولا في وقت راحته، أو طعامه، وأن لا يدق الباب دقًا عنيفًا، فقد كان الصحابة ﷺ يدقون أبواب النبي ﷺ بالأظافير[٣] .

---

(١) رواه البخاري (٢٧١٠) الاستئذان، وأبو داود (٥١٥٥ عون)، وقال الترمذي: حسن غريب، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٨١٨).

(٢) رواه البخاري (١١/٢٨) الاستئذان ح ٦٢٤٥، ومسلم (٢١٥٣) الآداب واللفظ له.

(٣) بتصرف «من كيف نربي أولادنا إسلامياً» لمحيي الدين عبد الحميد (١٩٨) ط. مؤسسة بدران.

١٦- آداب المجلس

قال الأستاذ / محيي الدين عبد الحميد :

« للمجلس آداب يجب أن يعلمها الآدباء إلى أبنائهم، ويتابعونهم عند تنفيذها . .

١- الجلوس حيث ينتهي به المجلس :

فعن جابر بن سمرة ﵁ قال : « كنا إذا أتينا النبي ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهي » .

٢- عدم الجلوس بين اثنين إلا بإذنهما :

لقول النبي ﷺ : **(لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما)**(١) .

وفي رواية لأبي داود : **(لا يجلس بين رجلين إلا بإذنهما)**(٢) .

٣- لا يجلس في وسط القوم بل يجلس محاذيًا للناس :

فعن حذيفة بن اليمان ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : **(لعن من جلس وسط الحلقة)**(٣) .

٤- لا يتناجى مع آخر إذا كان الحاضر ثلاثة نفر :

لقول النبي ﷺ : **(إِذَا كُنْتُمْ ثَلاثَةً فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا ، مِنْ أَجْلِ أَنْ ذَلِكَ يُحْزِنَهُ)**(٤) .

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٢٤ عون) الأدب، والترمذي (٢٧٥٢) الأدب، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني (٤٠٥٥) صحيح أبي داود .

(٢) رواه أبو داود (٤٨٢٣ عون) الأدب، وحسنها الألباني (٤٠٥٤) صحيح أبي داود .

(٣) رواه أبو داود (٤٨٠٥) الأدب، والترمذي (٢٧٥٣) الأدب، وقال : هذا حديث حسن صحيح، وقال ابن معين : أبو مجلز لم يسمع من حذيفة .

(٤) رواه البخاري (١١ / ٨٤) الاستئذان ح ٦٢٩٠، ومسلم (٢١٨٤) السلام واللفظ له .

٥- إذا خرج من المجلس ثم رجع إليه فهو أحق به :

لما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ)(١) .

٦- الاستئذان قبل الانصراف .

٧- أن يردد دعاء كفارة المجلس عند القيام :

لما رواه الحاكم وأبو داود بسند حسن عن أبي برزة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يقوم من المجلس قال : (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ)(٢) .

١٧- آداب السفر

قال أحمد بن قدامة المقدسي : السفر وسيلة إلى الخلاص من مهروب عنه ، أو الوصول إلى مرغوب إليه .

والسفر سفران : سفر بظاهر البدن عن الوطن ، وسفر بسير القلب من أسفل سافلين إلى ملكوت السموات ، وهذا أشرف السفرين ، فإن الواقف على الحالة التي نشأ عليها عقب الولادة ، الجامد على ما تلقفه بالتقليد من الآباء لازم درجة القصور ، قانع برتبة النقص ، ومستبدل بمتسع عرضه السموات والأرض ظلمة السجن ، وضيق الحبس .

ولم أر في عيوب الناس شيئًا كنقص القادرين على التمام(٣)

---

(١) رواه مسلم (٢١٧٩) السلام ، وأبو داود (٤٨٣٢ عون) الأدب .

(٢) باختصار من كيف نربي أولادنا إسلامياً (١٩٩ ، ٢٠٠) .

والحديث رواه أبو داود (٤٨٣٦ عون) الأدب ، والحاكم (١ / ٣٧٥) الدعاء . وقال الألباني : حسن صحيح «صحيح أبي داود رقم (٤٠٦٨)» .

(٣) مختصر منهاج القاصدين (١١٩) ط . دار الإمام .

وللسفر آداب معروفة:

فمن ذلك: أن يستحضر نية صالحة في سفره، كطلب العلم، أوالحج أو العمرة أو كفاية نفسه ومن يعولهم، وصيانتهم عن ذل السؤال.

ومن ذلك: أن لا يخاطر في سفره بدينه، كمن يسافر إلى بلاد الإباحية والفجور والتبرج والسفور طلبًا للرزق، بل يسافر إلى بلاد المسلمين، وإلى أرض هي أقل فتنة حتى يسلم له دينه.

ومن ذلك: أن يرد المظالم، ويقضي الديون، ويعد النفقة لمن تلزمه نفقته.

ومن ذلك: أن يستخير الله عز وجل قبل سفره.

ومن ذلك: أن يختار صحبة طيبة، ولا يسافر وحده، فالمسافر شيطان، والمسافران شيطانان، والثلاثة ركب.

ومن ذلك: أن لا يهمل أذكار وأدعية السفر.

١٨- آداب الكسب والمعاش

قال العلامة جمال الدين القاسمي في فضل الكسب والحث عليه:

أما من الكتاب: فقوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا** ﴾ [النبأ: ١١]، فذكره في معرض الامتنان، وقال تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٠]، فجعلها ربك نعمة وطلب الشكر عليها.

وقال تعالى: ﴿ **فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ** ﴾ [الجمعة: ١٠].

وأما الأخبار: فمنها قوله ﷺ: «**لأنْ يأْخُذَ أَحدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلاً فَيَسْأَلَهُ، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ**»[1].

وقال عمر رضي الله عنه: «لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة».

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إني لأكره أن أرى الرجل فارغًا، لا في أمر دنياه ولا في آخرته».

فمن آداب الكسب أن ينوي العبد الاستعفاف عن السؤال، وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم، واستعانة بما يكسبه على الدين، وقيامًا بكفاية العيال، ليكون من جملة المجاهدين به، ولينو النصح للمسلمين، وأن يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه، ولينو اتباع طريق العدل والإحسان في معاملته.

وأن يقصد القيام في صنعته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات، ولا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة، وأسواق الآخرة المساجد، قال تعالى: ﴿**رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ**﴾ [النور: ٣٧][2].

وينبغي عليه أن يتحرَّى الحلال من الرزق، فإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**﴾ [البقرة: ١٧٢].

---

(١) رواه البخاري (٣/٣٩٣) الزكاة، ومسلم (١٠٤٢) الزكاة.

(٢) بتصرف واختصار من تهذيب موعظة المؤمنين (١٥١–١٦٠).

وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ [المؤمنون: ٥١].

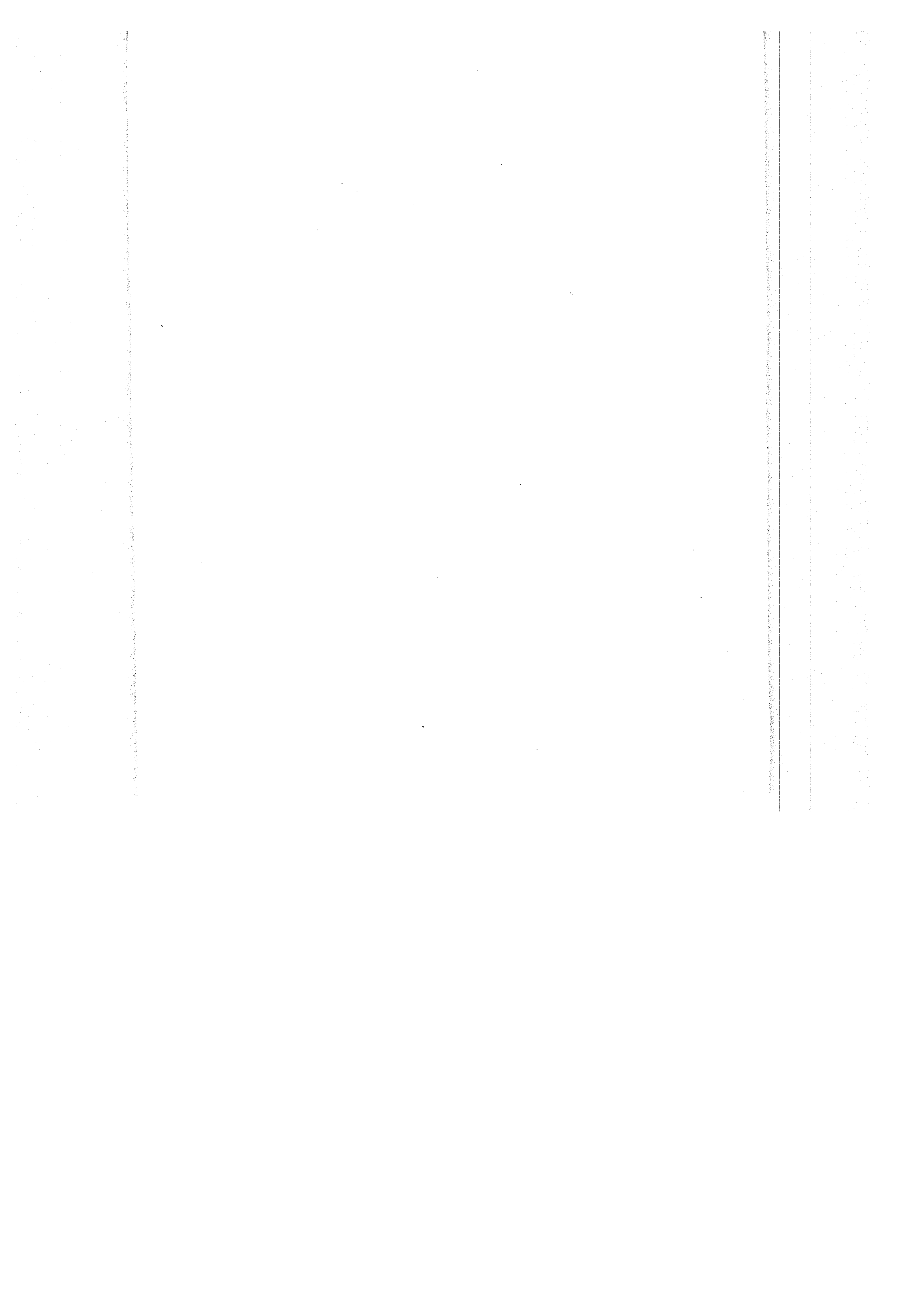
قالوا: من أكل حلالاً فعل الطاعات، ومن أكل حرامًا فعل المعاصي، ومن أكل من الشبهات وقع في الشبهات.

وينبغي عليه أن يراقب الله تعالى في عمله، ويحسن إلى خلقه، وأن يوفي بما تعاقد عليه في عمله، فقد قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١].

[٦]

التربية الجسدية

الجهادية



[٦] التربية الجسدية الجهادية

قال الأستاذ / عبد الله ناصح علوان :

من أهم الوسائل النافعة التي وضعها الإسلام في تربية أفراد المجتمع جسميًا، وتكوينهم صحيًا، هو إملاء فراغهم بأعمال جهادية، وتدريبات عسكرية، وتمرينات رياضية كلما سنحت لذلك فرص، أو تهيأت ظروف .

وذلك لأن الإسلام بمبادئه السمحة وتعاليمه السامية جمع في آن واحد بين الجد واللهو البريء، أو وفَّق بين مطالب الروح وحاجات الجسم، واعتنى بتربية الأجسام وإصلاح النفوس على حد سواء .

والولد من حين يعقل هو أَوْلى بالعناية بهذا الإعداد الصحي والتكوين الجسماني . . . بل هو أولى بإملاء الفراغ في كل ما يعود على جسمه بالصحة، وعلى أعضائه بالقوة، وعلى سائر بدنه بالحيوية والنشاط .

وذلك لثلاثة أسباب :

الأول : الفراغ الكثير المتيسر له .

الثاني : لوقايته من الأمراض والأسقام .

الثالث : لتعويده منذ الصغر على تمارين الرياضة، وأعمال الجهاد[١] .

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام (٢ /٨٨٧) .

قال القاسمي: « يقول بعضهم: إن الرياضة الجسدية في الألعاب الرياضية صحية أخلاقية، إذ يستعان على صرف أهواء الشبان عما يضرهم، والأخذ بها إلى ما يفيدهم، فإن في النفس ميولاً متعددة، وأهواء متباينة كامنة، فما استعمل منها نشط ونما وتغلب على مباينه، وأصبح ملكة راسخة، ولذلك يجب أن يعدل ميل الشبان ويصرف عن الضار إلى النافع، ويستعان بالألعاب الرياضية على ذلك. والألعاب الرياضية متعددة، وليست كلها نافعة، فعلينا أن نختار الأنفع منها للصحة »(١).

يقول الدكتور بدير محمد بدير: « وتهدف الرياضة إلى تنمية اللياقة البدنية، والنمو الجسمي للشباب بما يكسبهم درجة عالية من التحمل لمشاق العمل، ومقاومة الإجهاد والتعب، وكذلك استثمار أوقات الفراغ فيما يوظف طاقات الشباب، ويعمق في نفوسهم معاني الشجاعة والإقدام، فيكونوا قادرين على حماية مجتمعهم من الفساد والتحلل، ووطنهم من الغزو بأنواعه، ويقاس على ذلك أنواع الرياضة المستخدمة التي تربي أجسام الشباب، وتزيدها قوة ومتانة على هدي أوامر الإسلام، في أوقات الرياضة، وتعلم أنواع الرمي المختلفة، واستخدام أنواع الأسلحة المتعددة، وقيادة الطائرات والسفن الحربية، وكل أمر يتعلق بالإعداد الجسمي والنفسي والميداني للشباب.

إن الإسلام في حاجة إلى كيان سليم قوي، فياض متحرك، متمكن من الحياة، إن رسالته هي رسالة القوة في الحق، القوة في البناء

---

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأحباب (٩١، ٩٢).

والتعمير، القوة في حمل الأمانة، القوة في القيام بمقتضياتها، القوة في الجهاد في سبيلها، والمسلم المجاهد من أزهد الناس في متاع الحياة الدنيا وزينتها، إنما هي زهادة القوة، لا زهادة اللامبالاة»[١].

قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ تلا قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ ثم قال: (أَلاَ إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلاَ إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلاَ إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ)[٢].

يقول المفكر الإسلامي سيد قطب - رحمه الله -:

إنه لا بد للإسلام من قوة ينطلق بها في «الأرض» لتحرير «الإنسان». وأول ما تصنعه هذه القوة في حقل الدعوة أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها، فلا يُصَدُّوا عنها، ولا يُفتنوا كذلك بعد اعتناقها. والأمر الثاني: أن ترهب أعداء هذا الدين، فلا يفكروا في الاعتداء على «دار الإسلام» التي تحميها تلك القوة. والأمر الثالث: أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي وهو ينطلق لتحرير «الإنسان» كله في «الأرض» كلها. والأمر الرابع: أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية لله وحده، ومن ثم فالحاكمية له وحده

---

(١) منهج السنة النبوية في تربية الإنسان (١٠١).

(٢) رواه مسلم (١٩١٧) الإمارة، والترمذي (٣٠٨٣) التفسير.

سبحانه. إن الإسلام ليس نظامًا لاهوتيًا يتحقق بمجرد استقراره عقيدة في القلوب وتنظيمًا للشعائر، ثم تنتهي مهمته، إن الإسلام منهج عملي واقعي للحياة يواجه مناهج أخرى تقوم عليها سلطات، وتقف وراءها قوى مادية، فلا مفر للإسلام لإقرار منهجه الرباني من تحطيم تلك القوى المادية وتدمير السلطات التي تنفذ تلك المناهج الأخرى وتقاوم المنهج الرباني(١).

وروى أحمد والبخاري أن النبي ﷺ مر على نفر من أسلم ينتصلون بالسوق - يتدربون على الرمي - فقال ﷺ: **(ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا، ارموا وأنا مع بني فلان)** فأمسك أحد الفريقين عن الرمي. فقال رسول الله ﷺ: **(ما لكم لا ترمون؟)** فقالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال ﷺ: **(ارموا وأنا معكم كلكم)**(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سابق بالخيل التي أضمرت من الحيفاء وكان أمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق، وكان ابن عمر فيمن سابق(٣).

قال النووي: وفي الحديث جواز المسابقة بين الخيل، وجواز تضميرها، وهما مجمع عليهما للمصلحة في ذلك، وتدريب الخيل ورياضتها وتمرنها على الجري، وإعدادها لذلك لينتفع بها عند الحاجة في القتال كرًا وفرًا(٤).

---

(١) في ظلال القرآن (٣/١٥٤٣، ١٥٤٤) ط. دار العلم بجدة.
(٢) رواه البخاري (٦/١٠٧) الجهاد والسير ح ٢٨٩٩، وأحمد (٤/٥٠).
(٣) رواه البخاري (٦/٨٤) الجهاد والسير ح ٢٨٦٩، ومسلم (١٨٧٠) الإمارة.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/١٤).

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان للنبي ﷺ ناقة تسمى العضباء، وكانت لا تسبق، فجاء أعرابي على قعود له (ناقة فتنة) فسبقها، فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا: سُبِقَتْ العضباء فقال ﷺ: (**إن حقا على الله أن لا يرفع شيئًا من الدنيا إلا وضعه**)[١].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن الله عز وجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، ومنبله. وارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إليَّ من أن تركبوا. ليس من اللهو إلا ثلاث: تأديب الرجل فرسه، وملاعبته أهله، ورميه بقوسه ونبله، ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبه عنه فإنها نعمة تركها أو قال كفرها...**)

وفي رواية: (**كل شيء ليس من ذكر الله عز وجل فهو لهو أو سهو، إلا أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضين، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله. وتعلم السباحة**)[٢].

قال الخطابي: وفي هذا بيان أن جميع أنواع اللهو محظورة، وإنما استثنى رسول الله ﷺ هذه الخلال من جملة ما حرم منها، لأن كل واحدة منها إذا تأملتها وجدتها معينة على حق، أو ذريعة إليه. ويدخل في معناها ما كان من المثاقفة بالسلاح، والشد على الأقدام، ونحوها مما يرتاض به الإنسان فيتوقح[٣] بذلك بدنه، ويتقوى به على

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠١) الرقاق.

(٢) رواه الترمذي (١٦٣٧) فضائل الجهاد، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود (٢٤٩٦ عون) الجهاد، والنسائي (٦/٢٨) الجهاد مختصراً، لكن ضعفه الألباني في ضعيف الجامع رقم (١٧٣٢)، ولم أحذفه كعادتي لشهرته وللتنبيه عليه.

(٣) أي: يشتد ويصلب، انظر المعجم الوسيط مادة «وقح»، ٢/١٠٤٨.

مجالدة العدو، فأما سائر ما يتلهي به البطالون من أنواع اللهو كالنرد والشطرنج، والمزاجلة بالحمام، وسائر ضروب اللعب مما لا يستعان به في حق ولا يستجم به لدرك واجب محظور كله[١].

وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، فلبثنا حتى إذا أرهقني اللحم - أي سمنت - سابقني فسبقني، فقال: (**هَذه بتِلْكَ**)[٢].

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الولاة ما يلي: أما بعد: فعلموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل...

قال الأستاذ/ عبد الله ناصح علوان:

فمن هذه النصوص يتبين أن الإسلام شرع ممارسة الألعاب الرياضية، والتدريبات الجهادية من: مصارعة، وعدو، ورماية، وفروسية، من أجل أن تأخذ أمة الإسلام بأسباب العزة والنصر والسيادة، وأن تتربى أفرادًا وجماعات على معاني القوة والفتوة والجهاد: تنفيذًا لقوله تبارك وتعالي: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾ [الأنفال: ٦٠].

وتحقيقًا لقوله ﷺ: (**الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ**)[٣].

ومما لا يختلف فيه اثنان أن أعداء الإسلام حين يعلمون أن أمة

---

(١) معالم السنن للخطابي (٣/٢٨، ٢٩).

(٢) رواه أبو داود (٢٥٦١ عون) الأدب، وصححه الألباني في صحيح السنن (٢٢٤٨).

(٣) رواه مسلم (١٦/٢١٥) القدر ح ٢٦٦٤، وابن ماجة (٦٤) المقدمة.

الإسلام استعدت عسكريًا وحربيًا، وتكونت صحيًا وجسميًا، واكتملت إيمانيًا ونفسيًا، وعزمت على الجهاد حركيًا وإراديًا.. فإنهم لا شك منهزمون من نفوسهم القلقة الخائفة الخوارة قبل أن ينهزموا في ميادين المنازلة والجهاد، وهذا ما يعرف اليوم بالسلم المسلح، وهذا ما نوه إليه ﷺ حين قال: (**نصرت بالرعب مسيرة شهر**) [١].

وينبغي أن يُعْلَمَ أن الألعاب الرياضية المنتشرة في عصرنا الحاضر منها ما هو مباح أو مستحب، ومنها ما حرمه العلماء، فمن الرياضة التي حض عليها الشرع: المناضلة – وهي المسابقة بالرمي – وقد قال النبي ﷺ: (**ارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إليَّ من أن تركبوا**) [٢]. ففي الحديث الحث على المناضلة وهي الرمي بالنشاب وغيره، وكذا السباق، وبيان أن الرمي أحب إلى الشارع، وقال النبي ﷺ: (**ألاَ إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ**) [٣].

ومن ذلك سباق الخيل، كما سبق النبي ﷺ بين الخيل المضمرة وغير المضمرة.

وكانت العضباء ناقة رسول الله ﷺ لا تسبق، حتى أتى أعرابي على قعود له فسابقها فسبقها، ولما اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ طيب خاطرهم بقوله: (**إن حقًا على الله أن لا يرفع شيئًا في الدنيا إلا وضعه**) [٤].

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام (٢/٨٨٩،٨٩٠) والحديث رواه البخاري (١/٤٣٦) التيمم، ومسلم (٥، ٣، ٤) المساجد.

(٢) سبق تخريجه ص ٢١٩ .

(٣) سبق تخريجه ص ٢١٧ .

(٤) سبق تخريجه ص ٢١٩ .

وكذا سابق النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها فسبقها. فقال: «هَذِهِ بِتِلْكَ»(١).

وسابق سلمة بن الأكوع أحد الصحابة على مرأى من رسول الله ﷺ فسبقه. كما في صحيح مسلم(٢).

ومن الرياضة المشروعة كذلك: المصارعة التي ليس فيها إيذاء، فقد صارع النبي ﷺ ركانة وصرعه، أما ما يسمى بالمصارعة الحرة والتي يستبيح فيها كل من المتصارعين إيذاء الآخر والإضرار به فغير جائزة، لقوله ﷺ: «لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ»(٣).

ومن الرياضة المستحبة: السباحة، وكان الأقدمون يهتمون بأمر السباحة اهتماماً عظيماً لأنها تقوى العضلات وتنشطها دون أن تتعب البدن تعباً شديداً. وهذا الفن هو بدون شك من أقوى المروضات البدنية، فالسباحة تجمع بين الرياضة والنظافة(٤).

ومن الرياضة المباحة: صيد البر والبحر، قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة: ٩٦].

والصيد إما بالآلة الجارحة كالسهام، وإما بالحيوان الجارح الذي يقبل التعليم كالكلب والفهد من سباع البهائم، أو البازي والصقر من سباع

(١) سبق تخريجه ص ٢٢٠.

(٢) رواه مسلم (١٢ / ١٧٧، ١٨٣) الجهاد ح ١٨٠٧.

(٣) رواه مالك في الموطأ مرسلاً (٢ / ٧٤٥) الأقضية، وخلاصة القول فيه أنه صحيح بطرقه، وقد احتج به جماهير أهل العلم. وانظر تحقيق جامع الأصول (هامش ٦ / ٦٤٤، ٦٤٥).

(٤) جوامع الآداب في أخلاق الأحباب بتصرف (٩٤).

الطيور قال تعالى: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤] (١).

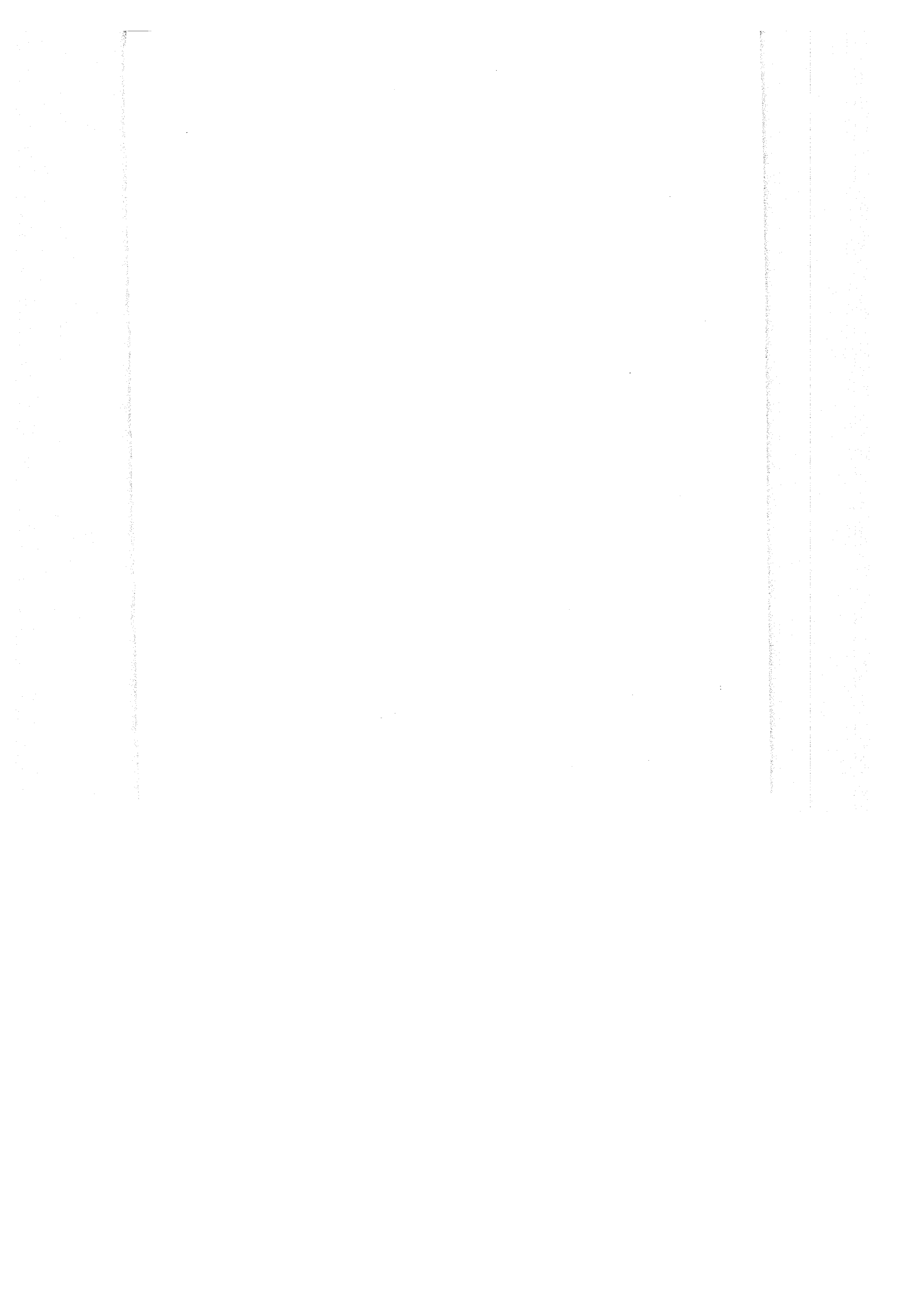
ومن ذلك اللعب بالحراب. وقد أذن النبي ﷺ للحبشة أن يلعبوا بحرابهم في مسجده الشريف، وأذن لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن تنظر إليهم، وكذا كمال الأجسام ورفع الأثقال.

أما اللعب بالكرة، والملاكمة، والمصارعة الحرة، ومصارعة الثيران، والمشي على الحبال، واللعب بالطاولة (النرد)، والشطرنج، فقد أفتى العلماء بحرمتها، وأسباب التحريم مختلفة.

وينبغي أن ينبه أيضًا على أن الألعاب المباحة يشترط فيها أن لا تتضمن مخالفات شرعية، ككشف العورات، والانشغال الكثير بها إلى درجة شغل القلب بها، وكذا إضاعة الواجبات الشرعية كالصلاة، والله أعلى وأعلم.

---

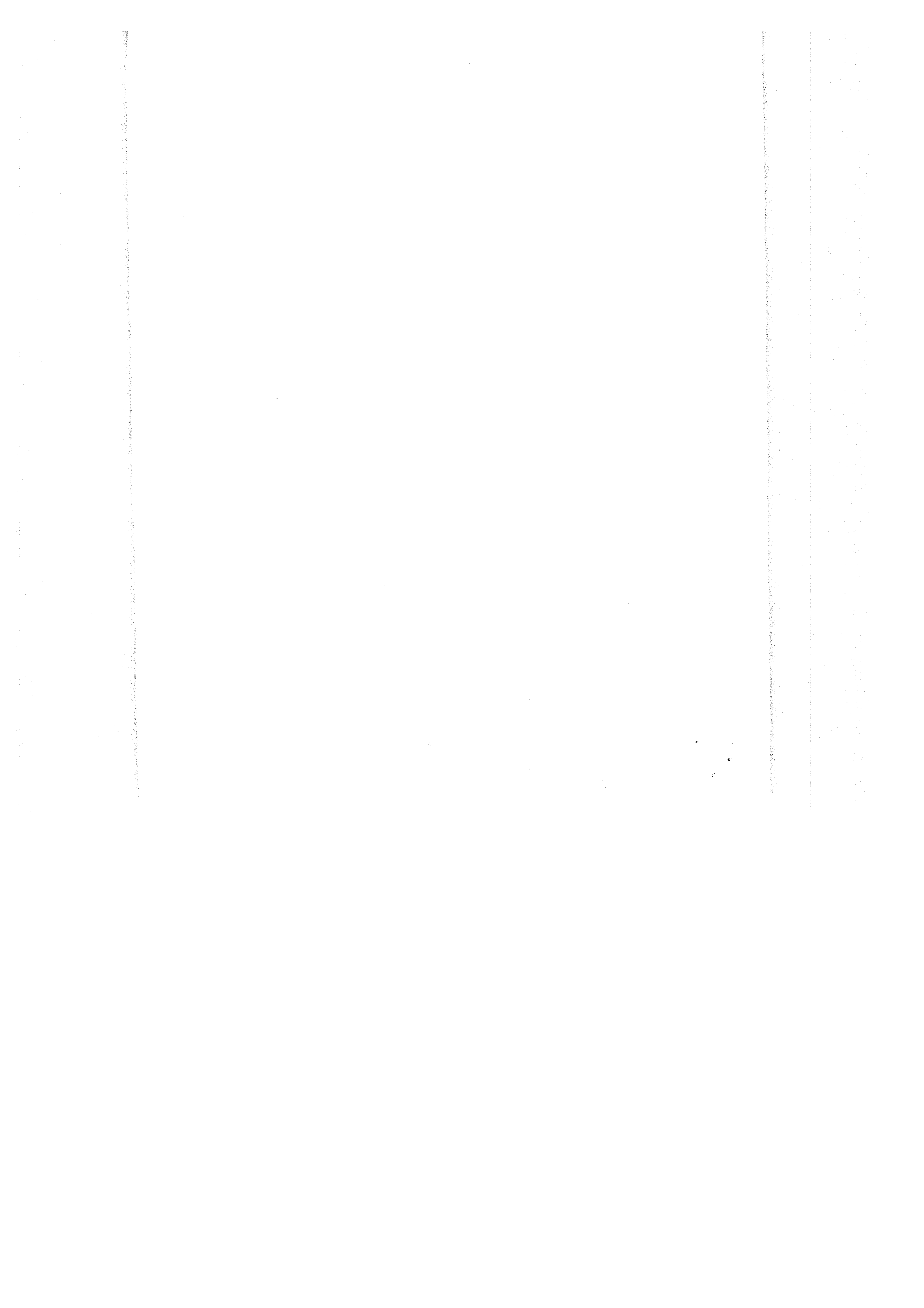
(١) انظر تربية الأولاد في الإسلام (٢/٩٣٨).



[٧]

التربية على العفة

والاستعفاف



[٧] التربية على العفة والاستعفاف

والعفة: هي الكف عما لا يحل ولا يجمل.

والاستعفاف: طلب العفاف، وهو الكف عن الحرام.

قال الله تعالى: ﴿**وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا**﴾ [النور:٣٣].

وقال ﷺ: (وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ)[١].

والعفة خلق إيماني رفيع، زينة للرجل المسلم والمرأة المسلمة في الدنيا والآخرة، يحفظان به إيمانهما، ويضمنان به استقامتهما، ويستجلبان به رضا ربهما، ويعتصمان به من معاصيه وسخطه، ويحفظان به شبابهما وصحتهما.

ومما يدل على فضل العفة والاستعفاف قوله تعالى: ﴿**وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾ [النور:٣٣].

قال الزمخشري: ﴿**وَلْيَسْتَعْفِفِ**﴾ وليجتهد في العفة وظلف النفس[٢]، كأن المستعفف طالب من نفسه العفاف، وحاملها عليه. ﴿**لا يَجِدُونَ نِكَاحًا**﴾ أي استطاعة تزوج، ويجوز أن يراد بالنكاح ما ينكح به من المال. ﴿**حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾ ترجية للمستعففين، وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفًا

---

(١) رواه البخاري (٣/٣٩٢) الزكاة ح ١٤٦٩، ومسلم (١٠٥٣) الزكاة.

(٢) ظلف النفس أي منعها.

لهم في استعفافهم، وربطًا على قلوبهم، وليظهر بذلك أن فضله أولى بالأعفَّاء، وأدنى من الصلحاء[١] .

وقال تعالى :﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾ [النور: ٦٠] .

ومن الآيات الكريمة في الحَضِّ على العفة وبيان سبيلها قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور: ٣٠-٣١] .

فغض البصر طلب للعفة، لأن غضه وسيلة إلى حفظ الفرج، قال تعالى :﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور: ٣٠] .

ومن الآيات التي تحض على العفة وتمدح أهلها قوله تعالى :﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ [المعارج: ٢٩-٣٠] .

وكذا الآيات التي تحض على الزواج، فالزواج أغض للبصر وأحصن للفرج، قال تعالى :﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ [النور: ٣٢] .

وكذا الآيات التي تحض على الحجاب، فإنها تحض على العفة والطهارة وزكاة النفس وطهارة المجتمع، قال تعالى :﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١] .

---

(١) الكشاف (٣/ ٢٣٧، ٢٣٨) للزمخشري ط. دار الريان للتراث.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

والشرع كله طهارة وعفة، وصيانة للقلب والجوارح، ومن سَلَّمَ نفسه للشرع المتين تولى تطهيره وتطيبه وحمايته ورعايته، فليس على المؤمن إلا أن يكون بين يدي الشارع كالميت بين يدي الغاسل، فالإسلام يحرم على المسلم النظر إلى الأجنبية، والخلوة بها، ومصافحتها والدخول عليها، والسفر بها، ويحرم على المرأة التبرج، والخضوع بالقول، والتطيب خارج بيتها، فيكون بين المسلم الملتزم بالشرع وبين الفاحشة أبواب كثيرة مغلقة، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٣٢].

فحرم الزنا وكذا الذرائع والطرق الموصلة إليه، فالنظر المحرم والخلوة المحرمة، والسفر المحرم كل ذلك يقرب من الفاحشة.

قال ابن القيم - رحمه الله -: ويكفي في قبح الزنا أن الله سبحانه وتعالى مع كمال رحمته شرع فيه أفحش القتلات وأصعبها وأفضحها، وأمر أن يشهد عباده المؤمنون تعذيب فاعله، ومن قبحه أن الله سبحانه فطر عليه بعض الحيوان البهيم الذي لا عقل له، كما ذكر البخاري في صحيحه عن عمرو بن ميمون الأودي قال: رأيت في الجاهلية قرداً زنى بقردة فاجتمع عليهم القرود فرجموهما حتى ماتا، وكنت فيمن رجمهما [١].

(١) روضة المحبين (٣٥٩) والحديث رواه البخاري (٧/ ١٨٢) مناقب الأنصار.

ثم قال - رحمه الله - ما ملخصه: والزنا يجمع خلال الشر كلها: من قلة الدين، وذهاب الورع، وفساد المروءة، وقلة الغيرة، لا تجد زانيًا معه ورع، ولا وفاء بعهد، ولا صدق في حديث، ولا محافظة على صديق، ولا غيرة تامة على أهله، ومن موجباته غضب الرب بإفساد حرمه وعياله.

ومنها: سوء الوجه وظلمته، وما يعلوه من الكآبة والمقت الذي يبدو عليه للناظرين، من ظلمة الوجه وطمس نوره.

ومنها: الفقر اللازم.

ومنها: أنه يذهب حرمة فاعله، ويسقطه عن عين ربه ومن أعين عباده.

ومنها: أنه يسلبه أحسن الأسماء، وهو اسم العفة والعدالة، ويعطيه أضدادها كاسم الفاجر والفاسق والزاني والخائن.

ومنها: أن يسلبه اسم المؤمن كما في الصحيحين عن النبي ﷺ: **(لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ)**(١).

ومنها: أنه بعرض نفسه لسكنى التنور الذي رأى النبي ﷺ فيه الزناة والزواني(٢).

ومنها: أنه يفارقه الطيب الذي وصف الله به أهل العفاف، ويستبدل به الخبيث الذي وصف الله به الزناة كما قال تعالى: **﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾** [النور:٢٦].

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٣٠) الأشربة ح ٥٥٧٨، ومسلم (٢/ ٤١، ٤٢) الإيمان ح ٥٧، والترمذي (٢٦٢٥) الإيمان.

(٢) كما في حديث سمرة بن جندب، رواه البخاري (٣/ ٢٥١، ٢٥٢) الجنائز (١٣٨٦).

وقد حرم الله الجنة على كل خبيث، بل جعلها مأوى الطيبين ولا يدخلها إلا طيب.

ومنها: الوحشة التي يجعلها الله عز وجل في قلب الزاني، وهي نظير الوحشة التي تعلو وجهه، فالعفيف على وجهه حلاوة، وفي قلبه أنس، ومن جالسه استأنس به، والزاني تعلو وجهه الوحشة، ومن جالسه استوحش منه.

ومنها: قلة الهيبة التي تنزع من صدور أهله وأصحابه وغيرهم، وهو أحقر شيء في نفوسهم وعيونهم، بخلاف العفيف فإنه يرزق الحلاوة والمهابة.

ومنها: أن الناس ينظرونه بعين الخيانة، فلا يأمنه أحد على حرمته، ولا على ولده.

ومنها: الرائحة التي تفوح عليه يشمها كل ذي قلب سليم.

ومنها: ضيقة الصدر وحرجه، فإن الزناة يعاملون بضد قصودهم، فإن من طلب لذة العيش وطيبه بما حرمه الله عليه عاقبه بنقيض قصده، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته، ولم يجعل الله معصيته سبباً إلى خير قط.

ولو علم الفاجر ما في العفاف من اللذة والسرور، وانشراح الصدر، وطيب العيش لرأى أن الذي فاته من اللذة أضعاف ما حصل له، مع ربح العاقبة والفوز بثواب الله وكرامته.

ومنها: أنه يعرض نفسه لفوات الاستمتاع بالحور العين في المساكن الطيبة في جنات عدن.

ومنها: أن الزنا يجرئه على قطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، وكسب الحرام، وظلم الخلق، وإضاعة أهله وعياله، وربما قاده قسراً إلى سفك الدم الحرام، وربما استعان عليه بالسحر، وأشرك وهو يدري أو لا يدري، فهذه المعصية لا تتم إلا بأنواع من المعاصي قبلها ومعها، ويتولد عنها أنواع أخر من المعاصي بعدها، فهي محفوفة بجند من المعاصي قبلها، وجند بعدها، وهي أجلب شيءٍ لشر الدنيا والآخرة، وأمنع شيء لخير الدنيا والآخرة، وإذا علقت بالعبد فوقع في حبائلها وشراكها عز على الناصحين استنقاذه، وأعيا الأطباء دواؤه، فأسيرها لا يفدى، وقتيلها لا يودى، وقد وكلها الله سبحانه بزوال النعم، فإذا ابتلى بها عبد فليودع نعم الله، فإنها ضيف سريع الانتقال، وشيك الزوال، قال الله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الأنفال: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ** ﴾ [الرعد: ١١][1].

---

(١) باختصار من روضة المحبين (٣٦٠-٣٦٣).

ومما يعين على تربية الشباب على العفة معرفته ثمرات العفة العاجلة والآجلة.

فمن ثمرتها: طهارة الفرد، ونقاء المجتمع، فالعفيف يحيا حياة اجتماعية مستقرة، يتمتع بالسمعة الطيبة، والذكر الحسن، والزواج السعيد، ويهنأ بنفسية مستقرة مطمئنة، يأنس بالطاعة وبهجة القرب من الله، ولذة العبادة وحلاوة الإيمان، ويسعد مجتمعه بأخلاقه الفاضلة، بحيائه، وعفافه وحشمته وتقواه، وستره، وصبره. فقل لي بربك، ألا يسعد المجتمع بأمثال هؤلاء، أم أن سعادة المجتمع في ذلك الذي استمرأ العيش في الظلام، وأكل اللحم الحرام، لا يرعى المحرمات، ولا هم له إلا إشباع الشهوات؟(١).

ومن ثمرتها: النجاة من الإصابة بالأمراض الخبيثة التي تلاحق أصحاب الشهوات والنزوات، كالإيدز، والزهري، والسيلان نعوذ بالله من الخذلان.

ومن ثمرتها: التدرب على مخالفة الهوى، والله عز وجل لم يجعل للجنة طريقًا إلا في مخالفة الهوى، فقال تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ**﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]، وقد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات.

---

(١) بتصرف من «العفة ومنهج الاستعفاف» (٩٨، ٩٩).

ومن ثمرتها : التدرب على قوة الإرادة والعزيمة على فعل الطاعات وترك المعاصي، فمن استطاع مخالفة هوى نفسه تقوى إرادته في سائر الطاعات، وكذا يقوى على قهر نفسه وكفها عن سائر المعاصي، أما من اتبع هوى نفسه، وخالف مقتضى العفة والاستعفاف، فإنه تقوى عليه نفسه في سائر الميادين، فلا تراه يصمد أمام عدو، أو يصبر إذا تعرض لبلاء، أو يثبت إذا تعرض لفتنة النساء.

ومن ثمرتها : أن يطمئن المؤمن على إيمانه وإخلاصه لله عز وجل، قال تعالى : ﴿ **كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [يوسف : ٢٤].

روي عن عبد الله بن عمر قال : « صدق الإيمان أن يخلو الرجل بالمرأة الحسناء فيدعها لا يدعها إلا لله » . قوله : « يخلو » لا يقصد به أنه يتعمد الخلوة بها، ولكن المقصود إذا خلا بها في ظرف من الظروف والله أعلم.

ومن ثمرتها : أن يصون العبد عرضه، فمن حافظ على أعراض الناس حفظ الله عرضه، ومن عبث بأعراض الناس عبث الناس بعرضه، والجزاء من جنس العمل. وقد قيل : من كان يحرص على عرضه فليحرص على أعراض الناس، وكل دَيْنٍ لا بد له من وفاء، ودَيْنُ الأعراض وفاؤه الأعراض، والمرء يهتك عرضه حين يهتك أعراض الناس.

ومن ثمرتها: الوصول إلى الزواج المثالي، فإن الشاب الذي أرخى العنان لشهواته، وتعود على تدنيس الأعراض وإشباع رغباته بألوان متعددة من المفاسد، لن يطيق صبراً عنها وإن تزوج، إلا أن يتوب، ويبدأ بزواجه صفحة جديدة من حياته، وكذلك الفتاة التي خرجت من حصنها العفيف، وخالطت الرجال وعاشرتهم من الصعب بعد ذلك أن تخضع لزوج تهب له كل حياتها إلا بعد توبة نصوح، أما أهل العفاف من الرجال والنساء فإن المودة والرحمة والسكن تتبادل بين الزوجين، ويرى كل منهما في الآخر الحب المخلص، والمنحة الأبدية، وعنوان الرخاء فيتعلق كل منهما بالآخر إلى النهاية.

ومن ثمرتها: أن يستظل العبد بظل عرش الرحمن يوم القيامة، كما في قوله ﷺ: (**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ**. و« فيه » **رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ**)[١].

قال النووي: وخص ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها، وعسر حصولها، وهي جامعة للمنصب والجمال، لا سيما وهي داعية إلى نفسها، طالبة لذلك، قد أغنت عن مشاق التوصل إلى مراودة ونحوها، فالصبر عنها لخوف الله تعالى، وقد دعت إلى نفسها مع جمعها المنصب والجمال من أكمل المناصب وأعظم الطاعات، فرتب الله تعالى عليه أن يظله في ظله[٢].

---

(١) رواه البخاري (٢ / ١٦٨) الأذان (٦٦٠)، ومسلم رقم (١٠٣١) الزكاة.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٧ / ١٧١).

الطريق إلى العفة:

من أراد الوصول إلى هدف سام ينبغي عليه أن يسلك الطريق الموصلة إليه، وأن يأخذ بأسباب تحصيله، فما هي الأسباب الموصلة إلى العفة، وبمعنى آخر: كيف يكون الاستعفاف، وهو طلب العفة؟ وهذه جملة أسباب بحسب الاجتهاد لا الحصر:

١- تقوية الإيمان: فمهما ضعف إيمان العبد صار لا يتورع عن المعاصي والشبهات، ويتكاسل عن الطاعات الواجبات: وقد قال النبي ﷺ: **(لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ...)** (١).

فإذا كانت شجرة الإيمان ضعيفة في قلب العبد فإنها لا تثبت إذا أتتها عواصف الشهوات أو الشبهات، فمن أراد الثبات على الإيمان والبعد عن معصية الملك الديان فعليه بتقوية شجرة الإيمان، وإحياء وازع التقوى، واستشعار مراقبة الله عز وجل له، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**﴾[الحديد:٤]. وقال النبي ﷺ في بيان درجة الإحسان: **(أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)** (٢).

ومهما استشعر القلب حلاوة الإيمان والمراقبة فإنه يستحيي من مخالفة أمره، وارتكاب نهيه:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل ... خلوت ولكن قل عليَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما يخفى عليه يغيب

---

(١) رواه البخاري (١٠ / ٢٣) الأشربة، ومسلم (١٢ / ٤١) الإيمان.
(٢) رواه البخاري (١ / ١١٤) الإيمان (٥٠)، ومسلم (١ / ١٥٧-١٦٠) الإيمان (٨).

راود رجل أعرابية في ليلة شديدة الظلمة، وقال لها: والله ما يرانا إلا الكواكب، فقالت: فأين مكوكبها؟ والتقوى هي علم القلب بقرب الرب.

٢- إحياء الآداب الإسلامية كآداب النظر والخلطة والاستئذان: فمهما أهمل العبد هذه الآداب الإسلامية دخل عليه الشر، فمن أطلق لحظاته دامت حسراته.

قال بعضهم:

كل الحوادث مبداها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فعلت في قلب صاحبها ... فعل السهام بلا قوس ولا وتر

والمرء ما دام ذا عين يقلبها ... في أعين الناس موقوف على خطر

يسر مقلته ما ضر مهجته ... لا مرحبًا بسرور عاد بالضرر

وكذا البعد عن أماكن الاختلاط والفجور، والتبرج والسفور، وعن مخالطة أصحاب الشهوات، والمعرضين عن طاعة رب الأرض والسموات، فإن في خلطة هؤلاء ترغيب في الدنيا الدنية والشهوات الدنيوية، أما مخالطة أهل الزهد والورع والرغبة في الاخرة، فإنها ترغب في ما عند الله من نعيم وتزهد في زينة الدنيا الفانية.

وكذا مراعاة آداب الاستئذان، فلا يهجم على أحد بغير استئذان، ولا يقف أمام الباب عند الاستئذان حتى لا تقع عينه على عورة غافلة. وقد قدمنا في باب التربية على الآداب النبوية والسنن المصطفوية هذه الآداب بشيء من الإسهاب فلا نطيل بذكرها والله الهادي.

٣- البعد عن المثيرات الجنسية:

قال الدكتور عبد الله ناصح علوان:

من المسئوليات الكبرى التي أوجبها الإسلام على المربي أن يجنب ولده ما يثيره جنسيًا ويفسده خلقيًّا، وذلك حينما يبلغ الولد سن المراهقة، وهو السن الذي يترواح ما بين العاشرة إلى البلوغ.

ولقد أجمع علماء التربية والأخلاق أن مرحلة المراهقة هي من أخطر المراحل في حياة الإنسان، فإذا عرف المربي كيف يربي الولد، وكيف ينتشله من أوحال الفساد وبيئات الانحلال؟ وكيف يوجهه التوجيه الأمثل فعلى الأغلب أن الولد ينشأ على الخلق الفاضل، والأدب الرفيع، والتربية الإسلامية السامية[1].

فمن المثيرات الجنسية التي ينبغي أن يتجنبها الشباب: أماكن التبرج والتهتك والسفور، كالأسواق، والبلاجات، وأماكن اللهو والمتنزهات.

ومن المثيرات الجنسية: الصور الفاضحة التي تمتلئ بها الجرائد والمجلات التي يقوم عليها تجار الشهوات، والذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

ومن ذلك المسلسلات الهابطة والأفلام الساقطة التي تعرض على شاشة التلفاز والفيديو وأجهزة استقبال البث المباشر، التي تنقل إلى

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام (٢/٥٢٣).

بيوت المسلمين الحياة الغربية العفنة التي مات فيها الحياء، وذهبت الغيرة، وضاعت الأخلاق، واختفت معاني الشرف والمروءة، وصار الناس أضل من البهائم: ﴿ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد:١٢] فإذا ألف الناس رؤية المتبرجات والمتهتكات ورؤية الاختلاط الماجن بين الرجال والنساء، فإنهم لا يستقبحون القبيح، ولا ينكرون المنكر، فينبغي أن يصون المسلم سمعه وبصره وجوارحه من كل ما يثيره، حتى يحيا حياة عفيفة طاهرة مطمئنة نظيفة.

قال في تربية المراهق في رحاب الإسلام:

ومن أجل منع الإثارة الجنسية أوجب الإسلام على المرأة إذا بلغت سن الرشد الالتزام بالحجاب عند خروجها، وجعل للعورة حدوداً فلا يكشف من المرأة ما يثير فتنة، ولا يظهر شيئًا من حسن أو جمال، وجعل لباس المرأة لا يصف الجسم، ولا يشف عنه. قال ﷺ: (**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، على رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**)[1].

---

(١) تربية المراهق (١٠٩). والحديث رواه مسلم (٢١٢٨) اللباس. وقال النووي: هذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع هذان الصنفان وهما موجودان وفيه ذم هذين الصنفين.

قيل: معناه كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها، وقيل: تستر بدنها وتكشف بعضه إظهاراً بحالها ونحوه، وقيل: معناه تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها، وأما مائلات فقيل: معناه عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه، مميلات أي يعلمن غيرهن فعلهن المذموم – شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/٩٥٦).

٤- التبكير بالزواج:

عملاً بقول النبي ﷺ: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ)[١].

فإذا بلغت الفتاة سن الزواج، وتقدم لها من هو كفؤ لها، فعلى وليها أن يبادر بتزويجها، وكذا الشاب إذا كان عنده مؤن الزواج أو يملك والده أن يزوجه فعليه أن يبادر إلى تزويجه، فإن الزواج أغض للبصر. وأحصن للفرج، وإن لم يفعلوا ذلك تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.

يقول الدكتور بدير محمد بدير:

حثَّت السنة المطهرة على المسارعة بتزويج الشباب. فالزواج سبب من أسباب الاستقرار النفسي والإشباع الغريزي الفطري عن طريق نظيف مشروع، وذلك حتى يسلم الشباب من الانحلال الخلقي، وشيوع الفاحشة، والاتصال الحرام، وتفشِّي الأمراض الفتاكة بطاقة الشباب من التي تقضي على النسل، وتوهي القوة، وتنشر الوباء، وتكون سبب العداوة والبغضاء[٢].

ويقول الدكتور/ عبد العزيز بن محمد النغيمشي ما ملخصه:

وهكذا نجد أن الإشباع الغريزي حاجة ملحة في مرحلة المراهقة، وأن النضج المبكر يقتضي الإشباع المبكر، ويكون ذلك بالزواج المبكر،

---

(١) رواه البخاري (٤ / ١٤٢) الصوم ح ١٩٠٥، ومسلم (١٤٠٠) النكاح.
(٢) منهج السنة في تربية الإنسان (١١٩).

والزواج المبكر هو الأصل والطريق الطبيعي الفطري لتلبية الحاجة الغريزية والشوق والميل إلى الجنس الآخر بسبب هذه الحاجة الملحة، والأسباب الأخرى أمر يقعده المنهج الإسلامي ويؤصله، ويبين الأسلوب الناجح في إشباعه وتوجيهه، وقد سبقت الإشارة إلى أن المنهج الإسلامي منهج فطري واقعي في كل مطالبه وتشريعاته[١].

٥- اختيار الصحبة الصالحة التي ترشد إلى الخير وتعين عليه وتحذر من الشر وتمنع منه:

فمن أراد سلامة دينه ودنياه وصيانة نفسه وعفتها وكرامتها فعليه بالانضمام إلى رفقة صالحة تؤنسه في غربته، وتعينه على طاعته، فليس شيء أنفع للعبد من مجالسة الصالحين والنظر إلى أفعالهم، وليس شيء أضر على العبد من مجالسة الفاسقين والنظر إلى أفعالهم، وقد قال النبي ﷺ: **«إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»**[٢].

فمن وفق للصحبة الصالحة أخذت بيده إلى طريق العفة والنجاة والسعادة في الدنيا والآخرة.

ومن سقط في رفقة فاسدة أضاعت عليه دنياه وآخرته، ولم ينل منهما إلا الصفقة الخاسرة والتجارة البائرة.

---

(١) المراهقون دارسة نفسية إسلامية للآباء والمعلمين والدعاة (٨٧، ٨٨) ط. دار المسلم.

(٢) رواه البخاري في الذبائح والصيد (٥٥٣٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٢٨).

يقول الأستاذ / محمد حامد الناصر :

ولعظم الأثر الذي تحدثه الرفقة، ووضوح هذا التأثير في شخصية الصديق وسماته صار المربون والمجربون يعرفون المرء من رفقائه وجلسائه، ويقومونه بمعرفتهم لأصدقائه وقرنائه، وقد جاء في الأثر: وإياك وقرين السوء فإنه به تعرف.

ونادى الحكماء باستخدام هذا المقياس الدقيق للتعرف على شخصية الإنسان وشمائله.

حتى قال بعضهم:

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي [١]

٦- ومما يعين على العفة التسامي والاستعفاف :

عملاً بقول الله عز وجل: ﴿ **وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ [النور:٣٣].

وبقول النبي ﷺ : (**وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ..**)[٢].

والمقصود بالتسامي: الاستعفاف، وهو أن يجتهد المسلم بكل طاقته في العبادة والطاعة والدعوة إلى الله عز وجل، وأن يكثر من الصيام الذي يكسر الشهوة، وتذل به النفس، فيقوى عليها المؤمن ويطوعها لله عز وجل، والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، فإذا لم يبذل العبد جهده ووقته في الطاعة والرياضة المباحة شغلته نفسه بالباطل والمعاصي،

---

(١) تربية المراهق في رحاب الإسلام (٢٤٨) ط. رمادي للنشر وابن حزم.

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٤٠ .

وقد وعد الله من سلك طريق العفة والاستعفاف بتسهيل طريق الزواج الذي يشبع فيه العبد نفسه بما شرعه الله عز وجل وأحله، فقال تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النور: ٣٣].

قال الدكتور/ عبد الله ناصح علوان ما ملخصه:

فالتسامي هو أن تنفس عن نفسك بجهد روحي، أو عقلي أو قلبي أو جسدي، يستنفذ هذه القوة المدخرة، ويخرج هذه الطاقة المحبوسة بالالتجاء إلى الله والاستغراق في العبادة، أو بالانقطاع إلى العمل، والانغماس في البحث، أو بالجهد الجسدي والإقبال على الرياضة، والعناية بالتربية الدينية، أو البطولة الرياضية[(١)].

٧- ومما يعين على العفة معرفة بعض المواقف الإيمانية في العفة والاستعفاف:

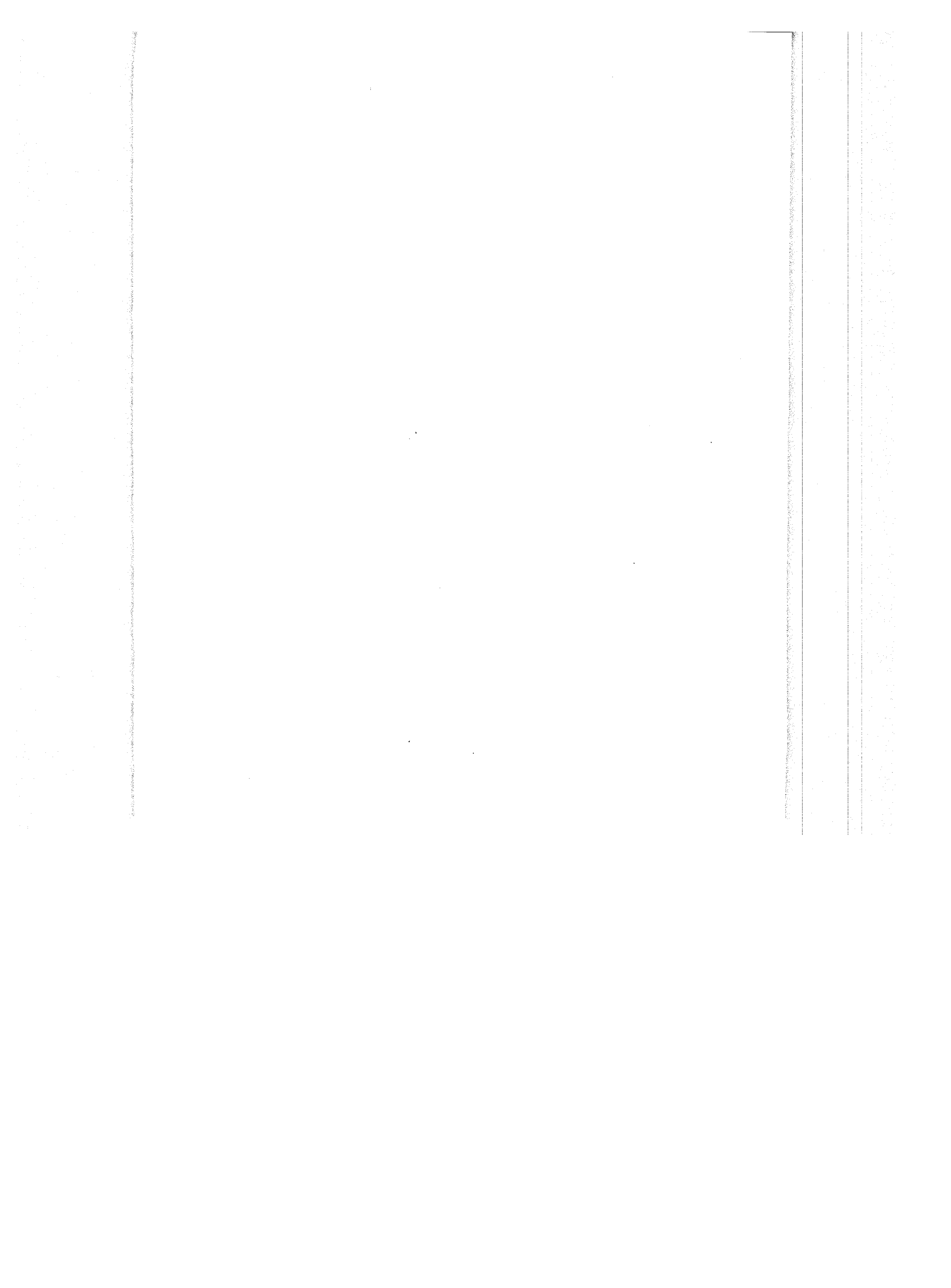
كموقف نبي الله يوسف عليه السلام وعفته من امرأة العزيز، وهي التي راودته عن نفسه وهو في بيتها، وغلّقت الأبواب وقالت: هيت لك. فاعتصم بالإيمان ولجأ إلى الرحمن وقال: ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ [يوسف: ٢٣] ولما كثر الكيد عليه من امرأة العزيز ونساء المدينة استعان بالله عز وجل عليهن وقال: ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣].

ومن ذلك قصة مرثد بن أبي مرثد الصحابي رضي الله عنه، وغير ذلك من المواقف الإيمانية الشريفة، وقد ذكرنا جملة من ذلك في كتاب «**مواقف إيمانية**» فلا نطيل بإعادة ذكرها والله المستعان[(٢)].

---

(١) تربية الأولاد (١/ ٥٩٣).

(٢) ينظر: مواقف إيمانية ص ٩٧-١١٥



الفصل الرابع

الهدي القرآني في التربية



الفصل الرابع

الهدي القرآني في التربية

لا شك في أن التربية القرآنية هي أعلى تربية وأرقاها، وقد ظهرت بركة هذه التربية في الجيل الأول الذي نزل عليه القرآن منجمًا، يغرس فيهم أصول العقائد، ويعمق فيهم المعاني الإيمانية الشريفة، ويثبتهم على الإيمان، وكان الصحابة ﷺ يتلقون الآيات القرآنية بالإيمان والتصديق، ويصدرون عنها بالعمل والاستجابة والطاعة، فترقّى بهم القرآن إلى أعلى درجات اليقين والصدق والإخلاص والبذل والتضحية والثبات، وظهرت فيهم المواقف الإيمانية والأحوال الشريفة التي تُصدِّق ما في قلوبهم من إيمان وتصديق بالقرآن، وكان أمام الصحابة ﷺ التطبيق العملي للقرآن وهو النبي ﷺ فقد كان ﷺ قرآنًا يمشي على الأرض، سئلت عائشة ﷺ عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»(١).

وهذه أمثلة للتربية القرآنية:

١ - القرآن يربي في قلوب الناس عقيدة التوحيد:

قال الأستاذ / محمد شديد:

وقد كانت البشرية قبل القرآن متردية في حمأة الوثنية والشرك، بين عبادة أصنام بشتى الصور والأشكال، وبين دعوى البنوة لله تعالى التي

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٦٢ .

كانت عند العرب في صورة بنوة الملائكة لله، وعند مشركي اليهود في صورة بنوة عزير لله، وعند مشركي النصارى في صورة بنوة عيسى لله.

فجاء بها القرآن ناصعة واضحة جلية، ليس فيها لبس ولا غموض، ولا تجنح إلى الأحاجي والألغاز، ولا تصطدم بمنطق أو تكفير، ولا تجبر العقول والأفهام، ولم يلجأ القرآن قط في إقامة الدليل عليها إلى أقضية المنطق الجافة، ولا إلى الإقناع الذهني المجرد، إنما جاء بالأدلة السهلة الواضحة، التي تخاطب العقل والقلب، وتثير التفكير والوجدان، قوية ناصعة لا تدع سبيلاً إلى جدل ولا مراء، فقرر الحقيقة أولاً: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص:١-٤]. ثم أقام الدليل: ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾ [المؤمنون:٩١].

﴿**أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ (٢١) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ [الأنبياء:٢١-٢٢].

وفي موطن الرد على مشركي النصارى الذين اختلط عليهم الأمر من قِبَل ولادة عيسى، ذكر القرآن قصة مولده، ثم أبان أنه إذا كان وُلِد بغير أب فقد خُلق آدم من تراب بغير أب ولا أم.

﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾

[آل عمران:٥٩] ثم وجه إلى عدم المماراة والجدل، وسلك في سبيل الإقناع أسلوبًا يستثير عوامل الخير، ويخاطب كوامن الإيمان في النفس.

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١].

٢- القرآن يربي في قلوب العباد ملكة المراقبة والتقوى:

قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۝٩ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ [الرعد: ٨-١٠].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١].

فمهما استشعر قلب العبد اطلاع الله عز وجل عليه ومراقبته لأقواله وأفعاله فإن هذا من أقوى الدواعي له على التقوى والمراقبة، والمعية معيتان: معية سمع وبصر وقدرة وإحاطة وهي معية الله عز وجل للخلق كلهم، ومعية خاصة بأوليائه وهي معية التأييد والنصرة والتسديد،

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]. وقوله تعالى لهارون وموسى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه:٤٦].

فالمعية الأولى العامة تستوجب الخوف والحذر والتقوى.

والمعية الثانية الخاصة تستوجب الأنس والرضا والثقة بوعد الله ونصره.

٣- القرآن يربي المسلم على أن تكون علاقته مباشرة مع الله عز وجل فلا يحتاج إلى وسائط ولا شفعاء:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢].

فمن أراد أن يتوب ويرجع إلى الله عز وجل لا يحتاج أن يذهب إلى كاهن، أو ذي سلطان ديني حتى يرفع توبته، ولا يحتاج إلى شفعاء يشفعون له عند الله عز وجل. ومن أراد أن يسأل شيئًا فعليه أن يرفع حاجته إلى الله عز وجل مباشرة دون الرجوع إلى أحد من مخلوقاته كما قال النبي ﷺ: **(إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله)**[1].

(١) تقدم تخريجه ص ٨٥.

٤- القرآن يربي المسلم على التفكير فيما يقع تحت حواسه من أحداث وآيات ليستدل بها على وجود الله عز وجل وقدرته وعظمته :

قال تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ** ﴾ [الواقعة : ٥٨-٥٩] . ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ** ﴾ [الواقعة : ٧١-٧٢] .

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ** ﴾ [آل عمران : ١٩٠] .

وقال تعالى : ﴿ **وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ** ﴾ [الذاريات : ٢٠-٢١] .

فالقرآن يربي المسلم على التدبر والتفكر في مخلوقات الله عز وجل، وفيما يقع أمامه من أحداث، ليستدل بها على عظمة الله وقوته، فيزداد إيمانًا بالله عز وجل ووحدانيته :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

٥- القرآن يربي المؤمن على الثقة بنصر الله عز وجل واليقين بوعده :

قال تعالى : ﴿ **وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [الأنفال : ١٠] . وقال تعالى : ﴿ **وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا** ﴾ [الفتح : ٢٢] . وقال تعالى : ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الروم : ٤٧] . وقال تعالى : ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ** ﴾ [غافر : ٥١] . وقال : ﴿ **وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ [الصافات : ١٧٣] .

كما يبين القرآن مَنْ الذين يستحقون نصر الله، فقال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧].

فالذين يستحقون نصر الله هم الذين نصروا الله بتحليل حلاله وتحريم حرامه، والإخلاص في الدعوة إلى دينه، وبذل الغالي والرخيص لإعزاز دينه، الذين يستحقون نصر الله هم الذين يحبهم الله ويحبونه، ويجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم.

الذين يستحقون نصر الله هم الذين باعوا أنفسهم لله عز وجل يطلبون رضا الله وجنته.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ [التوبة: ١١١].

٦- القرآن يربي المؤمن على الاستعداد للقاء الله عز وجل، وأن كل أحد من البشر له أجل محدود، فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون:

قال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ولما قال المنافقون بعد غزوة أحد: لو أطاعنا المؤمنون وتخلفوا معنا ما ماتوا وما قتلوا، بيَّن الله عز وجل أن المقولة كافرة لأن فيها إنكاراً لحقيقة الأجل الذي حدده الله عز وجل لكل واحد.

فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

وبيَّن الله عز وجل أن الذين يُقتلون في سبيل الله عز وجل لا يجوز أن يطلق عليهم أنهم أموات، بل أحياء عند ربهم يرزقون، فقد انتقلوا من حياة إلى حياة، فقال تعالى: ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

٧- القرآن يربي المؤمن على معرفة الغاية التي خلق من أجلها، وهي عبادة الله عز وجل، والهدف الذي ينبغي أن يسعى إليه وهو رضا الله عز وجل وابتغاء وجهه:

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧].

ويبين للمسلم أن نية العبادة والطاعة ينبغي أن تصاحب المسلم في كل قول أو فعل أو حركة أو سكون.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

فكما يصلي لله عز وجل ويذبح لله عز وجل فهو يأكل ليتقوى على طاعة الله، وينام يحتسب نومه عند الله، لأنه أيضًا يستعين به على طاعة الله، ويتزوج ليستعين بذلك ويتقوى على طاعة الله، فهو في كل أحواله عبد مطيع لله عز وجل، لا يحل بحال أن ينسلخ عن العبودية لله عز وجل، وكل من ينسلخ عن العبودية لله عز وجل فإنه يقع في عبودية غير الله من الأحجار، والأشجار، والهوى، والمال، والنساء، والطواغيت، فكلما اكتملت عبودية المسلم لله عز وجل تحرر من عبودية غير الله وكلما نقصت عبوديته لله وقع في عبادة غيره، ولذلك كانت وظيفة الرسل وأتباعهم تعبيد الناس لله عز وجل وتحريرهم من عبادة غير الله، فكل رسول قال لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ وهذا ربعي بن عامر تلميذ رسول الله ﷺ يقول لرستم قائد الروم: «إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

كما يربي القرآن المؤمن على معرفة الهدف الذي يهدف إليه، وهو الوصول إلى رضا الله عز وجل، والفوز بجنته، والنظر إلى وجهه وهو أعلى نعيم أهل الجنة فقال تعالى: ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى﴾ [الليل: ١٩-٢٠].

٨- القرآن يربي المسلم على أن التفاضل بين الناس ليس بالحسب ولا بالنسب ولا بالمال ولا بالشهرة وإنما هو بتقوى الله عز وجل:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات:١٣].

كان أبو لهب عم النبي ﷺ قرشي هاشمي، وحكم عليه القرآن بالنار وهو يمشي على الأرض فقال تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [المسد: ١-٥].

وكان سلمان فارسيًّا، لم يكن عربيًّا فضلاً عن أن يكون قرشيًّا، وارتفع بتقوى الله عز وجل واتباع رسوله ﷺ وقد قال بعضهم:

لقد رفع الإسلام سلمان فارس   وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب

وكان سلمان رضي الله عنه يقول:

أبي الإسلام لا أب لي سواه   إذا افتخروا بقيس أو تميم

٩- القرآن يربي المسلم على الآداب الإسلامية المباركة، كآداب بر الوالدين وآداب النظر، وآداب الاستئذان، وآداب الحكم:

قال تعالى في آداب بر الوالدين: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء:٢٣].

وقال تعالى في آداب النظر: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

وقال تعالى في آداب الاستئذان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧].

وقال تعالى في آداب الحكم: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

١٠ - القرآن يربي المؤمن على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والبذل لإعزاز دين الله عز وجل:

قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ [الحديد: ٢٠].

فمهما زهد العبد في الدنيا وعرف حقارتها، وعرف الآخرة وخطرها فإنه يبادر ببذل نفسه وماله رغبة في رضا الله عز وجل والفوز بجنته، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

وقد كانت مواقف الصحابة ﷺ في البذل والتضحية على أعلى مستوى من الجلالة والعظمة، لارتفاع رتبتهم في الزهد في الدنيا واليقين بالآخرة، والصدق مع الله عز وجل.

١١- القرآن يربي في المسلم العواطف الربانية الوجدانية:

يقول الأستاذ / عبد الرحمن النحلاوي ما ملخصه:

يعتمد الترغيب والترهيب القرآني والنبوي على إثارة الانفعالات وتربية العواطف الربانية، وهذه التربية الوجدانية مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية:

(أ) كعاطفة الخوف من الله: التي أمر الله بها ﴿**فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران:١٧٥]، ومدح عباده الذين يخافونه ووعدهم بالثواب العظيم ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾ [الرحمن:٤٦] بل أمرنا أن ندعوه خوفًا من عذابه وطمعًا في ثوابه.

﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [الأعراف:٥٥-٥٦].

وعلى تربية هذه العاطفة الربانية بنيت بعض العبادات، كالصوم، وتحريم الصيد في الحج ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ**﴾ [المائدة:٩٤].

كما بنى كثير من المعاملات الإسلامية عليها، كالنصح في البيع والشراء، ورعاية اليتيم، وحسن معاملة الزوجة، والعدل بين الأولاد،

فكل من خاف ربه كان إنسانًا فاضلاً عادلاً في سلوكه ومعاملاته، ومن لم يستحِ من ربه يفعل ما يشاء بلا ضابط ولا وازع، له قلب كالحجارة أو أشد قسوة.

(ب) الخشوع: معناه التذلل والخضوع والشعور بالانقياد والعبودية لله، وهو ثمرة الخوف.

وقد ورد الحض على الخشوع عند ذكر الله وقراءة القرآن في قوله: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦].

(ج) المحبة: فطر الإنسان منذ طفولته على الميل إلى أن يحب ويكون محبوبًا، وقد ورد الحب في القرآن في عدة آيات. والحب في الأصل – كما هو معروف بين الناس تعلق المحب بالمحبوب وتتبع آثاره ودوام تذكره وحضور القلب معه وعمل ما يرضيه ويحقق سروره.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قال ابن كثير: ولحبهم لله وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم له لا يشركون به شيئًا، بل يعبدونه وحده، ويتوكلون عليه، ويلجئون إليه في جميع أمورهم.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

فجعل الله اتباع رسوله الذي يبلغ أوامره من شروط محبته.

كما وصف الله الذين يحبهم الله ويحبونه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

وإذا تتبعنا حياة الرسول ﷺ وأصحابه نرى أن محبة الله من أهم الدوافع التي تجعل الإنسان حريصًا على تحقيق شريعة الله في سلوكه وحياته، دون أن يكون عليه رقيب من البشر، وأن من أهم العوامل التي تؤدي إلى محبة الله الشعور بفضله، والتعرف إلى نعمه، وإلى ما أعد للمتقين في جنات النعيم، وطول مناجاته، وقراءة كلامه، وتأمل آثار رحمته... إلخ.

(د) الرجاء: وهو الطمع في رحمة الله، والأمل في ثوابه وجزيل الأجر عنده، وقد كان هذا الرجاء دافعًا إلى الجهاد وطلب الموت في سبيل الله. فكان الصحابي والمجاهد يقول: بخ بخ! هل بيني وبين الجنة إلا أن أقاتل فأقتل في سبيل الله؟ ويهجم على الأعداء حتى يستشهد، وغرس هذا الرجاء في نفوس الناشئة ينبني على الإيمان بالله واليوم الآخر، وعلى الإكثار من وصف الجنة ونعيمها، وربطها بضرورة التقيد بأوامر الله، وترك نواهيه، وبالجهاد وإعلاء كلمة الله[1].

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها باختصار (٢٥٩-٢٦٢).

وختم - حفظه الله - بحثه بما ملخصه:

تعتمد التربية بالترغيب والترهيب على ضبط الانفعالات والعواطف والموازنة بينها.

فلا يجوز أن يطغى الخوف على الأمن والرجاء فيقنط المذنب من عفو الله ورحمته، وقد نهى الله عن هذا اليأس فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[الزمر:٥٣].

كذلك لا ينبغي أن يطغى الفرح يزوال الشدة وقوته، مما يدعوه إلى العودة إلى المعاصي.

بل ينبغي أن يجمع الإنسان بين الخوف من عقاب الله وعظمته ومقامه، فلا يطغى ولا يتملكه الغرور، والرجاء في رحمة الله، فلا ييأس من عفوه. وكل من اليأس والغرور يؤدي إذا تمادى بصاحبه إلى الكفر أو الفسوق والطغيان، كما يفهم من الآيات السابقة، ومن قوله تعالى: ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[الأعراف:٩٩].

ولو استجمع الإنسان في ذهنه صفة من صفات الكمال الإلهي وما يقابلها من تلك الصفات لما وقع في شيء من التناقض أو الإفراط والتفريط في جنب الله، فاستشعار غضب الله يجب أن لا ينسينا رحمته، وإرادته المطلقة ينبغي ألا تنسينا حكمته، وهكذا[١].

---

(١) السابق (٢٦٣، ٢٦٤).

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

١٢- القرآن يربي المؤمن على المحبة الشديدة لله عز وجل التي تدفعه للبذل في سبيل الله وألا يعز شيئًا على الله عز وجل:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] وحب المؤمن لله عز وجل يجعله يبذل الغالي والرخيص، والنفس والنفيس لله عز وجل، فلا يعز شيئًا على الله عز وجل، ولو كانت روحه التي بين جنبيه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]. وإنما كان ذلك كذلك حتى يكون البذل والتضحية لإعلاء راية الله وإعزاز دينه، فإن شجرة الإسلام لا تروى بالماء وإنما تروى بالدماء.



الفصل الخامس

الهدي النبوي المبارك
في التربية



الفصل الخامس

الهدي النبوي المبارك في التربية

أعظم مربي[*] طَرَقَ البشرية هو النبي الخاتم ﷺ، وأعلى هدي وخير الهدي هو هدي محمد ﷺ، وأشرف جيل تربى على ظهر الأرض هو الجيل الذي رباه رسول الله ﷺ، وأجمل أوصاف وأسنى أخلاق وأطيب عقيدة ما تحلى به الصحابة الكرام ببركة تربية النبي ﷺ، إنهم أوسمة شرف، ودرر مضيئة على جبين البشرية، ما سبقهم جيل على سمتهم، ولا يمكن أن يأتي بعدهم في مثل روعتهم وجلالتهم، فرضي الله عنهم وأرضاهم، وقد فعل عز وجل، وصلى الله وسلم وبارك على من أحسن تربيتهم، ورفع منارهم وارتفع بهم إلى درجات الرفعة والشرف في الدنيا والآخرة.

وهذه ومضات مضيئة، وأزهار متناسقة، وألوان فريدة، وأضواء عجيبة من هديه المبارك ﷺ في التربية:

١ - فمن هديه المبارك ﷺ في التربية الحوار، واغتنام الفرص:

يقول الأستاذ / عثمان قدري مكانسي ما ملخصه:

قد يمر الرسول ﷺ مع أصحابه في مكان فيرى أمرًا يستحق التعليق

(*) هذا الباب من أنفس وأعز أبواب الكتاب، لأن غاية المربي أن يعرف كيف ربى النبي ﷺ الصحابة الكرام، فنحن نرى ثمرات تربيته ﷺ أطيب الثمرات، ولكن قد تخفى علينا طريقته ﷺ وهديه في التربية، وهذا يحتاج إلى داسة للسيرة النبوية، ودراسة للشمائل المصطفوية.

عليه، أو يسمع كلمة فيلقي الضوء عليها، فتكون هذه الكلمات من رسول الله ﷺ عظة وعبرة مؤثرة في نفوس أصحابه، وقد يحاور ﷺ أصحابه ليصل إلى فكرة يثبتها في عقولهم، أو يرشدهم بها ويهذب نفوسهم، ويدلهم على طريق الخير الموصل إلى رضا الله تعالى، فذكر أمثلة إلى أن قال:

ومن الأحاديث التي بينت صغار الدنيا وهوانها على الله تعالى ما رواه جابر رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ فَتَنَاوَلَهُ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ: (**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟**).

قَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، (أَوْ مَا نَصْنَعُ بِهِ؟).

قَالَ: (**أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟**).

قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ هَذَا السَكُّ عَيْبًا فِيهِ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟

فَقَالَ: (**فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**)[1].

أسلوب حواري عملي، يرى رسول الله ﷺ جديًا مقطوع الأذنين ميتًا تزكم رائحته الأنوف، يمسكه من إحدى أذنيه ويعرضه على أصحابه أن يشتروه بدرهم فيأبون – وماذا يفعلون بجيفة قذرة؟ .. لو كان حيًّا وهو مقطوع الأذنين ما رغبوا فيه.. فكيف وهو ميت؟

حين يصلون إلى هذا القرار يعظهم النبي ﷺ فيخرج الدنيا من

---

(١) رواه مسلم (١٨ / ٩٣) الزهد ح ٢٩٥٧، وأبو داود (١٨٤ عون) الطهارة، وقوله: (أسك) أي صغير أو مقطوع الأذنين.

قلوبهم، إنها لا تساوي جناح بعوضة عند الله، وإلا ما كان سقى الكافر منها جرعة ماء[١].

٢- ومن هديه ﷺ المبارك في التربية أنه كان إذا أمر بأمر ينفذه على نفسه فيجمع بين أمرهم به ومبادرته ﷺ بفعله:

كما فعل ﷺ يوم الحديبية، فبعد أن تم بينه ﷺ وبين قريش الصلح، وكان من بنود هذا الصلح أن يرجع المسلمون هذا العام، وكانوا قد أحرموا بالعمرة، وأن يعودوا مِنْ قابل أي في السنة السابعة من الهجرة لأداء العمرة، أمر النبي ﷺ الصحابة الكرام بأن يحلقوا أو يقصروا، وكان الصحابة رضي الله عنهم في غاية الشوق إلى العمرة، وشق عليهم هذا الأمر، فدخل النبي ﷺ على أم سلمة وأخبرها فأشارت عليه أن يخرج إلى أصحابه، وأن يأمر حالقه بأن يحلقه، فلما رأى الصحابة رضي الله عنهم ذلك بادروا بتنفيذ أمره ﷺ وكادوا يذبح بعضهم بعضاً في سرعة تنفيذ أمره ﷺ.

وفي حفر الخندق كان النبي ﷺ يحفر مع الصحابة الكرام وهو يقول:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

وكانوا يرتجزون:

نحن الذين بايعوا محمدًا على الجهاد ما بقينا أبدًا

---

(١) التربية النبوية لعثمان قدري مكانسي (٥٥-٦١) باختصار، ط. ابن حزم، وقوله: (إنها لا تساوي جناح بعوضة عند الله) اقتباس من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء) رواه الترمذي وصححه الألباني بشواهده.

ولو اكتفى ﷺ بالإشراف العام وإعطاء الأوامر لم يكن ذلك منه ﷺ منكرًا، ولكنه شاركهم بنفسه مبالغة في تنشيطهم للعمل، وطمعًا في ثواب الملك الوهاب، وحتى يتعلم الدعاة والمربون في كل زمان ومكان أن يجمعوا بين الأمر بالمعروف والعمل به، والنهي عن المنكر والانتهاء عنه، ولا يكونوا مثل بني إسرائيل الذين عاتبهم الله عز وجل بقوله: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤].

٣- ومن هديه ﷺ المبارك في التربية أنه كان يتعهد أصحابه ويسألهم عن أحوالهم وعباداتهم، وتنشيطًا لهم، ورفعًا لهمتهم في الطاعة والعبادة:

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **(مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟)**.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا.

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **(فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟)**.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا.

قال: **(فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟)**.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا.

قال: **(فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟)**.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ)**[١].

---

(١) رواه مسلم (١٠٢٨) فضائل الصحابة، والبخاري في الأدب المفرد (٥١٥).

فهذا أدب حسن للمربين في تعهد من يقومون بتربيتهم، فيظهر لهم المقصر في الطاعة والعبادة، فيخصونهم بمزيد من الاهتمام والنصح، وكذا يثنون على من ينشط للطاعة ويبشرونه بالخير، وفي الحديث بيان شرف الصحابة وهمتهم وبذلهم ومسارعتهم إلى طاعة الله عز وجل، خاصة السابقون الأولون وعلى رأسهم الصديق الأول ﷺ.

من لي بمثل سيرك المدلل تسير رويدًا وتجيء في الأول

وقوله: **(دخل الجنة)**.

قال النووي: قال القاضي: معناه دخل الجنة بلا محاسبة ولا مجازاة على قبيح الأعمال، وإلا فمجرد الإيمان يقتضي دخول الجنة بفضل الله تعالى[1].

٤- ومن هديه ﷺ المبارك أنه كان يرغب الصحابة في الدرجات العالية والرتب السامية ويبعث فيهم الرغبة في التنافس في الخير:

عن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: **(لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه)**.

فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال: **(أين علي بن أبي طالب؟)**. فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه فقال: فأرسلوا إليه. فأُتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ٢٢٤).

يكونوا مثلنا؟ فقال: **(انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَم)**(١).

وفيه الارتفاع بهمم من يقوم المربي بتربيتهم، وتنبيههم إلى المراتب العالية، وحثهم على التنافس على الخير، والرغبة في الوصول إلى أعلى المراتب وأرفع الدرجات، وفيه أيضاً مناقب جمة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وبيان شرف الدعوة إلى الله عز وجل، وأن هداية شخص واحد على يد الداعية خير من أنفس الأموال التي يتنافس عليها الناس، وعليها يتحاسدون، فنسأل الله أن يوفقنا في الدعوة إلى دينه وألاّ يحرمنا من هذا الخير العميم والرزق الكريم والشرف العظيم.

٥- ومن هديه ﷺ في التربية أنه كان يلفت نظر الصحابة إلى ما يهمهم، فإذا سئل عن أمر وهو يعلم أن الأهم في حقهم أن يعلمهم أمراً آخر فكان يعرج على الأمر الآخر، وهو ما يسمى بأسلوب الحكيم، أو الالتفات إلى الأهم:

فمن ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللهِ؟

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(مَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟)**.

قَالَ: حُبَّ اللهِ وَرَسُولِهِ.

فَقَالَ ﷺ: **(أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ)**(٢).

---

(١) رواه البخاري (٧/٥٤٤) المغازي ح ٤٢١٠، وحمر النعم هي الإبل الحمراء، وهي من أنفس الأموال عند العرب.

(٢) رواه البخاري (١٠/٤٧٨) الأدب ح ٦١٧١، ومسلم (٢٦٣٩) البر والصلة.

قال النووي: فيه فضل حب الله ورسوله ﷺ والصالحين وأهل الخير الأحياء والأموات، ومن فضل محبة الله ورسوله: امتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، والتأدب بالآداب الشرعية، ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم، إذ لو عمله لكان منهم ومثلهم، وقد صرح الحديث الذي بعد هذا بذلك فقال: **(أحب قومًا ولما يلحق بهم)**[(١)].

٦- ومن هديه ﷺ أنه كان إذا رأى شيئًا من أصحابه أو بلغه عنهم شيء وأراد أن يدلهم وسائر أصحابه على الحق فيه: أنه كان لا يصرح بأسمائهم ولكنه يلمح فيستر عليهم، ويحصل مقصوده ﷺ من النصح فيقول ﷺ: (ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا).

كما في قصة الثلاثة الذين أتوا بيوت رسول الله ﷺ وسألوا عن عبادته - فكأنهم تقالوها - فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدًا.

وقال الآخر: وأنا أصوم فلا أفطر.

وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا.

فقال: **(مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا: كَذَا وَكَذَا)**.

ثُمَّ قَالَ: **(وَلَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)**[(٢)].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ٢٨٥).

(٢) الحديث رواه البخاري (٩/ ٨٩، ٩٠) النكاح ح ٥٠٦٣، ومسلم (٩/ ١٧٦) النكاح ح ١٤٠١.

وعن أبي حميد الساعدي قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأسد يقال له ابن اللتبية، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا لي، أُهدي لي. قال: فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: **«مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، أَفَلاَ قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ حَتَّى يَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لاَ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لاَ يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ، بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةٌ تَيْعَرُ** – ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عَفْرَتَيْ إِبْطَيْهِ – ثُمَّ قَالَ: **اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟»** مَرَّتَيْنِ [١].

٧- ومن هديه المبارك ﷺ أنه كان يربي أصحابه على السمع والطاعة ومعرفة بركة الانقياد للسنة ولو أدى ذلك إلى تحمل شيء من العنت والمشقة:

كما حدث في حصار الطائف: عن عبد الله بن عمرو قال: حَاصَرَ رَسُولُ الله ﷺ أَهْلَ الطَّائِفِ فَلَمْ يَنَلْ مِنْهُمْ شَيْئًا فَقَالَ: **«إِنَّا قَافِلُونَ إِنْ شَاءَ اللهُ»**، قَالَ أَصْحَابُه: نَرْجِعُ وَلَمْ نَفْتَحْهُ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: **«اغْدُوا عَلَى القِتَالِ»**. فَغَدَوْا عَلَيْهِ فَأَصَابَهُمْ جِرَاحٌ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: **«إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا»**. قَالَ: فَأَعْجَبَهُمْ ذَلِكَ فَضَحِكَ رَسُولُ الله ﷺ [٢].

وفي هذا واعظ لأصحاب الفكر المصلحي الذين يخالفون السنة ويتعللون بأن في ذلك مصلحة للدعوة، فيحرمون أنفسهم من أحسن

---

(١) رواه البخاري مختصراً ح ٧١٧٤، ومسلم واللفظ له (١٨٣٢) الإمارة.

(٢) رواه مسلم (١٢/ ١٢٢، ١٢٣) الجهاد والسير ح ١٧٧٨، والبخاري (٧/ ٦٤٠) المغازي ح ٤٣٢٥.

الهدي، ويقدمون العقول والآراء والأقيسة على الثابت من سنته ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[النور:٦٣] .

٨- ومن هديه ﷺ التربوي أنه كان يربيهم على الطاعة المطلقة لله عز وجل ولرسوله ﷺ، أما طاعة ولي الأمر أو الولد لأبيه أو الزوجة لزوجها فهي مقيدة، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، إنما الطاعة في المعروف :

ومن أمثلة ذلك قصة عبد الله بن حذافة المذكورة آنفًا عندما أوقد نارًا وأمر أصحابه بالدخول فيها، وقال النبي ﷺ: (**لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا**) [١] .

وقد تقررت هذه المعاني في نفوس الصحابة الكرام، فلما استُخْلِفَ أبو بكر رضي الله عنه خطب الناس وقال: «أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم» .

وقال عمر بن عبد العزيز: «يا أيها الناس من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم» [٢] .

٩- ومن هديه ﷺ أنه كان يثني على مَنْ ظهر منه ما يستحق الثناء ويبشره بالخير والرفعة فيكون ذلك دافعًا له ولغيره إلى طاعة الله :

قال رسول الله ﷺ لطلحة بن عبيد الله يوم أحد :

---

(١) تقدم تخريجه ص ١١٩ .

(٢) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (٦٥، ٦٦) ط. دار الكتب العلمية.

(أوجب طلحة) . وقد وقى طلحة رضي الله عنه رسول الله ﷺ بيده فشلت يده[١] .

وقوله : **(أوجب)** أي : وجبت له الجنة .

وقال ﷺ : **(من جهز جيش العسرة فله الجنة)** .

فجاء عثمان بن عفان رضي الله عنه بألف دينار فصبها في حجر النبي ﷺ والنبي ﷺ يقول : **(ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم)**[٢] .

ولما عرَّض النبي ﷺ بقرب أجله وقال : **(عبد خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده)** . فبكى أبو بكر وبكى ، فقال : فديناك بآبائنا وأمهاتنا . قال : فكان رسول الله ﷺ هو المخير ، وكان أبو بكر أعلمنا به ، فأثنى النبي ﷺ على أبي بكر وقال : **(إنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِه وَصُحْبَتِه أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَليلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَليلاً ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلامِ . لاَ تُبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلاَّ خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ)**[٣] .

١٠ – ومن ذلك أنه كان يربي الصحابة الكرام على احترام من له سبق وبذل في الإسلام ، فلا يستوي من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل وكلاً وعد الله الحسنى :

لما اختلف أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وذهب أبو بكر ليعتذر إلى عمر رضي الله عنهما فأبى قبول اعتذاره ، وذهب أبو بكر إلى رسول الله ﷺ ، وقص عليه

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٣٨) المناقب ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(٢) رواه أحمد (٥/ ٦٣) ، وكذا في فضائل الصحابة (١/ ٤٥٧ ، ٤٥٨) ، والترمذي (٣٧٠١) المناقب ، وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وحسنه الألباني .

(٣) رواه مسلم (٢٣٨٢) فضائل الصحابة ، والبخاري (٤٦٦) الصلاة ، وأحمد (٣/ ١٨) .

القصة، فغضب ﷺ لغضب أبي بكر، وقال: (**فهل أنتم تاركو لي صاحبي**) مرتين فما أُوذي بعدها[١].

وكذا لما اختلف عبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد رضي الله عنهما، وعبد الرحمن من المهاجرين الأولين ومن العشرة المبشرين، فغضب النبي ﷺ لعبد الرحمن وقال: (**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ**)[٢].

مع أن خالداً من أصحابه ﷺ إلا أن عبد الرحمن أخصٌّ به وأقدم صحبة منه. وفي هذا تربية للأمة لاحترام أهل السبق والعلم والفضل وكذا احترام الصغير للكبير، ومعرفة أقدار الناس، وأنهم يتفاضلون بالعلم والسبق والتقوى، لا بالحسب والنسب والمال.

١١- ومن هديه ﷺ أنه كان يربي الصحابة على محبة البذل والتضحية بأموالهم وأنفسهم، وكان هو ﷺ مثلهم الأعلى في ذلك، فكان أجود الناس، وأشجع الناس ﷺ:

فر الصحابة يوم حنين لما استقبلتهم هوازن برشق من نبل، ورسول الله ﷺ يسرع بدابته إليهم، والعباس آخذ بلجامها لئلا تسرع إليهم شفقة على رسول الله ﷺ كما رغبهم ﷺ في الجهاد والاستشهاد.

وقال ﷺ: (**وَالَّذي نَفْسي بِيَده لَوَددْتُ أَنْ أَغْزُو في سَبِيلِ الله فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو في سَبِيلِ الله فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ**)[٣].

---

(١) رواه البخاري (٣٦٦١) فضائل الصحابة.

(٢) رواه البخاري (٧/٢٥) فضائل الصحابة ح ٣٦٧٣، ومسلم (١٦/٢٣) فضائل الصحابة ح ٢٥٤٠، وأحمد في المسند (٣/١١)، والنصيف: النصف على التصغير.

(٣) رواه البخاري (٦/١٦) الجهاد ح ٢٧٩٧، ومسلم (١٣/٢٠) الإمارة ح ١٨٧٦.

وقال ﷺ : (مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ تُحَدِّثْهُ نَفْسُهُ بِالْغَزْوِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ)(١) .

١٢- ومن هديه ﷺ أن كان يربي الصحابة الكرام على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة:

فكان يقول: (**ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**)(٢) .

وكان يقول: (**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**)(٣) .

ولما دخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورأى الحصير قد أثر في جنبه، فبكى وقال له: ذكرت كسرى وقيصر وهم ينامون في الحرير والديباج.

فقال له ﷺ : (**أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا**) .

فكان الصحابة رضي الله عنهم أزهد الناس في الدنيا وأرغبهم في الآخرة. كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه للتابعين: لأنتم أكثر عملاً من أصحاب رسول الله ﷺ ، ولكنهم كانوا خيراً منكم، كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة. وهذا الزهد في الدنيا هو الذي دفع الصحابة رضي الله عنهم إلى البذل والتضحية وطلب الآخرة، وعدم الاغترار بزينة الدنيا وزخرفها.

---

(١) رواه مسلم (١٣/ ٥٦) الإمارة ح ١٩١٠، وأبو داود (٢٤٨٥ عون) الجهاد، والنسائي (٦/ ٨) الجهاد.

(٢) رواه الترمذي (٢٣٧٧) الزهد، وابن ماجة (٤١٠٩) وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني (١٩٣٦) صحيح الترمذي.

(٣) رواه الترمذي (٩/ ١٩٨ عارضة) الزهد، وابن ماجة (٢٤١٠) الزهد، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٩٤٠).

١٣- ومن هديه ﷺ المبارك أنه كان يربي أصحابه على علو الهمة وطلب معالي الأمور:

قال ﷺ : (**إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وسقفه عرش الرحمن**)(١) . وعن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُول الله، فَأَتَيْتُهُ بوَضُوئه وَحَاجَته فَقَالَ لِي: (**سَلْ**) . فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الجَنَّة. قَالَ: (**أَوْ غَيْرَ ذَلكَ**). قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: (**فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسكَ بكَثْرَة السُّجُود**)(٢) . فكانت همة الصحابة في الزهد وطلب العلم والجهاد والدعوة والدعاء أعلى همة ﷺ وبهذه الهمة العالية سادوا الدنيا وحكموا العالم.

١٤ - ومن هديه ﷺ أنه كان يربي الصحابة على الصبر على البلاء، ويعلمهم أن الابتلاء سنة ماضية، وأن أصحاب الدعوات لا بد أن يبتلوا، فإذا صبروا واحتسبوا كانت لهم العاقبة في الدنيا والاخرة:

ذهب خباب بن الأرت إلى رسول الله ﷺ وكان المشركون قد وضعوه في ماء حار ثم ألقوه على ظهره وداسوا على بطنه، فبرص ظهره، فذهب خباب رضي الله عنه يقول لرسول الله ﷺ : ألا تدعو الله لنا

---

(١) رواه البخاري (٢٧٩٠) الجهاد والسير.

(٢) رواه مسلم (٤٨٩) الصلاة. وقال النووي: فيه الحث على كثرة السجود والترغيب فيه، والمراد به السجود في الصلاة، وفيه دليل لمن يقول تكثير السجود أفضل من إطالة القيام، وهو موافق لقول الله تعالى: واسجد واقترب. ولأن السجود غاية التواضع والعبودية لله تعالى وفيه تمكين أعز أعضاء الإنسان وأعلاها – وهو وجهه – من التراب الذي يداس ويمتهن. باختصار من (٤ / ٢٧٤، ٢٧٥) شرح النووي.

فقعد وهو محمر وجهه، فقال: **«لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ... وليتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله»**(١).

قال الحافظ: قال ابن التين: كان هؤلاء الذين فُعِلَ بهم ذلك أنبياء أو أتباعهم قال: وكان في الصحابة من لو فعل به ذلك لصبر، إلى أن قال: وما زال خلق من الصحابة وأتباعهم فمن بعدهم يؤذون في الله، ولو أخذوا بالرخصة لساغ لهم(٢).

١٥- ومن هديه ﷺ المبارك أنه كان يربي الصحابة الكرام على حسن الخلق مع القريب والبعيد، والعدو والصديق:

عن عائشة رضي الله عنها أن أناساً من اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ. فَقَالَتْ: وَعَلَيْكُمْ وَلَعَنَكُمُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْكُمْ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَهْلاً يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ وَإِيَّاكِ وَالعُنْفَ وَالفُحْشَ»**.

قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟

قَالَ ﷺ: **«أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟»** وَكَانَ ﷺ قَدْ رَدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: **«وَعَلَيْكُمْ»**(٣).

---

(١) رواه البخاري (٧/٢٠٢) مناقب الأنصار ح ٣٨٥٢، وأحمد (٥/١٠٩).

(٢) فتح الباري (٧/٢٠٤).

(٣) رواه مسلم (٢١٦٥) السلام. وقال النووي: وفي هذا الحديث استحباب تغافل أهل الفضل عن سفه المبطلين إذا لم تترتب عليه مفسدة. قال الشافعي -رحمه الله-: الكيس العاقل هو الفطن المتغافل - شرح النووي (١٤/٢١٠).

فإذا كان ذلك خلقه ﷺ مع أعدائه فكيف به مع أوليائه وأحبائه؟ فلقن ﷺ عائشة رضي الله عنها والأمة كلها هذا الدرس الكريم في حُسن الخلق، والبعد عن البذاء والفحش، واستعمال الألفاظ الحسنة، كما قال إبراهيم الخليل أبو الأنبياء وإمام الحنفاء لأبيه وكان من أغبى البشر وأكفرهم ﴿سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم:٤٧] ردًا على قوله له: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم:٤٦] وهذا هو الإحسان، وهو أن يدرأ بالحسنة السيئة.

١٦- ومن هديه ﷺ أنه كان ينشط أذهان أصحابه ويختبر ذكاءهم وعلمهم:

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (**إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ؟**) قال: فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَوَادِي. قال عبد الله: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ. ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (هِيَ النَّخْلَةُ). وبوب له البخاري في كتاب العلم: باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم[1].

قال الحافظ: وفيه ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام، وتصوير المعاني لترسخ في الذهن، ولتجديد الفكر في النظر في حكم الحادثة، وفيه إشارة إلى أن تشبيه الشيء بالشيء لا يلزم أن يكون نظيره من جميع وجوهه، فإن المؤمن لا يماثله شيء من الجمادات ولا يعادله، وفيه

(١) رواه البخاري (١/١٨٧) العلم ح ٦١، ومسلم (٢٨١١) صفات المنافقين.

توقير الكبير، وتقديم الصغير أباه في القول، وأنه لا يبادره بما فهمه وإن ظن أنه الصواب، وفيه أن العالم الكبير قد يخفى عليه ما يدركه من هو دونه، لأن العلم مواهب، والله يؤتي فضله من يشاء[١].

١٧- ومن هديه ﷺ أنه كان يشوق الصحابة للعلم ويسهل عليهم حفظه:

كما قال النبي ﷺ لمعاذ: **(يَا مُعَاذَ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ؟)** قال: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

فَقَالَ: **(حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)**. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: **(لاَ تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا)**[٢].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **(أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟)** قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: **(إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ)**[٣].

---

(١) فتح الباري (١/ ١٧٧).

(٢) رواه البخاري (٦/ ٥٨) الجهاد ح ٢٨٥٦، ومسلم (١٠/ ٢٣٠-٢٣٢) الإيمان ح ٣٠.

(٣) رواه مسلم (٣/ ١٤١) الطهارة ح ٢٥١، والترمذي (١/ ٦٧ عارضة) الطهارة، والنسائي (٣/ ٢٠٧) قيام الليل.

١٨ - ومن هديه ﷺ أنه كان يرغب الصحابة في الاجتهاد في الطاعة والعبادة، وكان هذا الترغيب منه ﷺ ببيان فضل العبادة والطاعة، كما في قوله ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّلاةِ بَعْدَ المَكْتُوبَةِ قِيَامُ اللَّيْلِ»(١):

وكذا قوله ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٢). وإما أن يرشد بعض الصحابة إلى خصلة من خصال الخير أو ينبهه إليها، كما قال ﷺ: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل**»(٣)، قال سالم بن عبد الله بن عمر: فكان عبد الله لا ينام بعد ذلك من الليل إلا قليلاً.

وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة فقال: «**ألا تصليان؟**» فقلت: يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلت ذلك ولم يُرْجِع إليَّ شيئًا، ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول: ﴿**وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً**﴾ [الكهف: ٦٥](٤).

---

(١) رواه مسلم (٨/٥٥) الصيام ح ١١٦٣، وأبو داود (٢٤١٢ عون) الصوم، والترمذي (٢/٢٢٧ عارضة)، والنسائي (٣/٣٠٧) قيام الليل.

(٢) رواه البخاري (٤/٥٠) التراويح ح ٢٠٠٩.

(٣) رواه البخاري (٣/٦) التهجد ح ١١٢٢.

(٤) رواه البخاري (٣/١٠) التهجد ح ١١٢٧، ومسلم (٦/٦٤، ٦٥) المساجد ٧٧٥، وقال الحافظ: قال ابن بطال: فيه فضيلة قيام الليل، وإيقاظ النائمين من الأهل والقرابة لذلك. قال الطبري: لولا ما علم النبي ﷺ من عظم فضل الصلاة في الليل ما كان يزعج ابنته وابن عمه في وقت جعله الله لخلقه سكناً، لكنه اختار لهم إحراز تلك الفضيلة.

١٩- ومن هديه ﷺ أن كان يداعب الصحابة رضي الله عنهم أحيانًا ولكنه لا يقول إلا حقًا وصدقًا:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا؟

قال: (**إني لا أقول إلا حقًا**)[١].

وعن أنس أن رجلاً استحمل رسول الله ﷺ فقال: (**إني حاملك على ولد ناقة**). فقال: يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: (**وهل تلد الإبلَ إلا النوقُ**)[٢].

وعن محمود بن الربيع قال: «عقلت من النبي ﷺ مجة مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو»[٣] والمج هو إرسال الماء من الفم.

قال الحافظ: وفعله النبي ﷺ مع محمود إما مداعبة معه أو ليبارك عليه بها، كما كان ذلك من شأنه مع أولاد الصحابة رضي الله عنهم[٤].

٢٠- ومن هديه ﷺ أنه كان يحذر أصحابه من أسباب الغواية، ويسد دونهم أبواب الفتن:

عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعًا يقول: (**سبحان الله! ماذا أنزل الله من الخزائن وماذا أنزل من الفتن؟ من**

---

(١) رواه الترمذي (١٩٩٠) البر والصلة، وأحمد (٣٦٠)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في الصحيحة (٧٢٦).

(٢) رواه الترمذي (١٩٩١) البر والصلة، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني (١٦٢٣) صحيح الترمذي.

(٣) رواه البخاري (١/٢٠٧) العلم ح ٧٧.

(٤) فتح الباري (١/٢٠٧).

يوقظ صواحب الحجرات - يريد أزواجه - لكي يصلين؟ رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة)[١].

وعن جرير قال: قال لي رسول الله ﷺ في حجة الوداع: (استنصت الناس) ثم قال: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)[٢].

وقال ﷺ: (ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، فمن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به)[٣].

٢١- ومن هديه ﷺ أنه كان يدعو لأصحابه رضي الله عنهم:

كما دعا ﷺ لأنس بن مالك بطول العمر وكثرة المال والولد، ودعا ﷺ لابن عباس بالفقه في الدين وعلم التأويل - أي التفسير - ودعا لأبي هريرة بالحفظ، ودعا لأبي عامر الأشعري وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، ودعا لأبي طلحة وزوجته أم سليم، ودعاؤه ﷺ مستجاب لعظيم منزلته عند الواحد الوهاب.

٢٢- ومن هديه ﷺ أن كان يربي أصحابه على الاستعفاف والاستغناء عن الناس بالعمل وإن كان فيه مشقة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ٢٢) الفتن ح ٧٠٦٩.
(٢) رواه البخاري (١٣/ ٢٩) الفتن ح ٧٠٧٧.
(٣) رواه البخاري (١٣/ ٣٣) الفتن ح ٧٠٨٢.

عنده. فقال: **(ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أُعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر)** (١).

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني ثم قال: **(يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع، اليد العليا خير من اليد السفلى)**. قال حكيم: فقلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا. فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيمًا إلى العطاء فيأبى أن يقبل منه، ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئًا. فقال عمر: إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم أني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفي (٢).

٢٣- ومن هديه ﷺ أنه كان يحرص على مؤاخاة الصحابة بعضهم لبعض وعلى زيادة محبتهم في الله عز وجل:

فقد آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة المباركة، وكان كل واحد منهما يرث أخاه حتى نسخ ذلك بقوله عز وجل: ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦].

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٣٩٢) الزكاة ح ١٤٦٩.
(٢) رواه البخاري (٣/ ٣٩٣) الزكاة ح ١٤٧٢.

وكان ﷺ حريصًا على حب الصحابة بعضهم لبعض في الله عز وجل، ولله عز وجل، فقد قال له بعضهم: والله إني لأحب هذا في الله فقال: (**هل أعلمته؟**) قال: لا. قال: (**قم فأعلمه**)[1].

وقال: (**إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه**)[2]، وهذا مما يزداد به الحب في الله عز وجل وتعظم ثمرته.

٢٤- ومن هديه ﷺ أنه كان يربي أصحابه على النصح لكل مسلم:

عن زياد بن علاقة قال: سمعت جرير بن عبد الله يقول يوم مات المغيرة بن شعبة، فقام فحمد الله وأثنى عليه وقال: عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له، والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير، فإنما يأتيكم الآن. ثم قال: استعفوا لأميركم فإنه كان يحب العفو، ثم قال: أما بعد فإني أتيت النبي ﷺ قلت: أبايعك على الإسلام، فشرط عليَّ: (**والنصح لكل مسلم**) فبايعته على هذا، ورب هذا المسجد إني لناصح لكم. ثم استغفر ونزل[3].

قال الحافظ: ختم البخاري كتاب الإيمان ببيان النصيحة مشيرًا إلى أنه عمل بمقتضاه في الإرشاد إلى العمل بالحديث الصحيح دون السقيم، ثم ختمه بخطبة جرير المتضمنة لشرح حاله في تصنيفه،

---

(١) رواه أحمد: ٣/ ١٤٠، ١٤١.

(٢) رواه أحمد: ١٤/ ١٣٠، والترمذي في الزهد (٢٣٩٢).

(٣) رواه البخاري (١/ ١٦٨) الإيمان ح ٥٨.

فأومأ بقوله: « فإنما يأتيكم الآن » إلى وجوب التمسك بالشرائع حتى يأتي من يقيمها، إذ لا تزال طائفة منصورة وهم فقهاء أصحاب الحديث، وبقوله: « استعفوا لأميركم » إلى طلب الدعاء له لعمله الفاضل، ثم ختم بقوله: « استغفر ونزل » فأشعر بختم الباب، ثم عقبه بكتاب العلم لما دل عليه حديث النصيحة أن معظمها يقع بالتعلم والتعليم[١].

نماذج من ملاحظاته وتفقداته ﷺ لأصحابه:

قال الدكتور عبد الله ناصح علوان:

من ملاحظاته في التربية الاجتماعية ما رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**إياكم والجلوس في الطرقات**) فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها: فقال رسول الله ﷺ: (**فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه**). قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: (**غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**)[٢].

---

(١) فتح الباري (١ / ١٦٩).

(٢) رواه البخاري ح ٦٢٢٩ الاستئذان، ومسلم (٢١٢١) اللباس. وقال النووي: وهذا من الأحاديث الجامعة وأحكامه ظاهرة، وينبغي أن يتجنب الجلوس في الطرقات لهذا الحديث، ويدخل في كف الأذى: اجتناب الغيبة، وظن السوء، واحتقار بعض المارين، وتضييق الطريق، وكذا إذا كان القاعدون ممن يهابهم المارون أو يخافون منهم ويمتنعون من المرور في أشغالهم بسبب ذلك لكونهم لا يجدون طريقاً إلا ذلك الموضع – شرح النووي على صحيح مسلم (١٤ / ١٤٥).

ومن ملاحظاته في التحذير من الحرام ما رواه ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال: **(يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ)**. فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك وانتفع به. قال: لا والله لا آخذه أبدًا وقد طرحه رسول الله ﷺ [١].

ومن ملاحظاته في تأديب الصغار ما رواه البخاري ومسلم عن عمر ابن أبي مسلمة ﷺ قال: كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: **(يَا غُلامُ! سَمِّ اللهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)** [٢].

ومن ملاحظاته في إرشاد الكبار ما رواه أبو داود والبيهقي عن عبد الله بن عامر ﷺ قال: دعتني أمي يومًا ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا فقالت: ها تعال أعطيك. فقال رسول الله ﷺ: **(ما أردت أن تعطه؟)** قالت: أردت أن أعطيه تمرًا، فقال لها رسول الله ﷺ: **(أما إنك لو لم تعطه شيئًا كتبت عليك كذبة)** [٣].

ومن ملاحظاته في التربية الخلقية ما رواه البخاري ومسلم عن أبي بكرة ﷺ أن رجلاً ذُكِرَ عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيراً. فقال

---

(١) رواه مسلم (٢٠٩٠) اللباس. وقال النووي: فيه المبالغة في امتثال أمر رسول الله ﷺ واجتناب نهيه وعدم الترخص فيه بالتأويلات الضعيفة – شرح النووي (١٤/٩٢).

(٢) تقدم تخريجه ص ١٩٦ .

(٣) رواه أبو داود (٤٩٧٠) الأدب، وأحمد (٣/٤٤٧)، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٧٤٨).

النبي ﷺ : (وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ) يقوله مراراً : (إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحاً لاَ مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسَبُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يُرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ وَحَسِيبُهُ اللَّهُ، وَلاَ يُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَداً)(١) .

ومن ملاحظاته في التربية النفسية ما رواه الشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي غُلاَماً كَانَ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا؟) فَقَالَ: لاَ. فَقَالَ: (فَارْجِعْهُ) .. وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ : (أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟) قَالَ: لاَ. قَالَ: (اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلاَدِكُمْ) فَرَجَعَ أَبِي فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ.

وفي رواية: قال ﷺ : (فلا تشهدني إذا، فإني لا أشهد على جور)(٢) .

ومن ملاحظاته في التربية الجسمية: حين رأى ﷺ من يشرب شرباً واحداً كشرب البعير، فقال لهم كما روى الترمذي: (لا تشربوا شرباً واحداً كشرب البعير، ولكن اشربوا مثنى وثلاث، وسموا إذا أنتم شربتم، واحمدوا إذا أنتم رفعتم)(٣) .

وروى البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ كان يمر على أصحابه في حلقات الرمي فيشجعهم ويقول لهم: (ارموا أنا معكم كلكم)(٤) .

(١) رواه البخاري (١٠ / ٤٧٦) الأدب ح ٦٠٦١، ومسلم (١٨ / ١٢٦، ١٢٧) الزهد ح ٣٠٠٠، وأبو داود (٤٧٨٤ عون).

(٢) رواه البخاري (٥ / ٢٥٠) الهبة ح ٢٥٨٦، ومسلم (١٦٢٣) الهبة، ومالك في الموطأ (٢ / ٧٥١).

(٣) رواه الترمذي (١٠٨٥) الأشربة، وقال: هذا حديث غريب وضعفه الألباني رقم (٣٢٠) ضعيف سنن الترمذي.

(٤) سبق تخريجه ص ٦٩، ص ٢١٨ .

ومن ملاحظاته في التربية الدعوية وأخذ الناس بالرفق ما رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: «مشيت مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ، فأدركه أعرابي فجذبه - أي جذب الثوب - جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثر فيه حاشية البرد من شدة جذبه. ثم قال الأعرابي: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه النبي ﷺ وضحك ثم أمر له بعطاء[١].

تلكم بعض النماذج من مراقبة النبي ﷺ لأبناء المجتمع الذي كان يقوم على هدايته وإصلاحه، وهي نماذج حية واقعية، تؤكد حرص الرسول ﷺ في تربية الناس، ومعالجة أمورهم، وإصلاح أحوالهم، والرفع من مستواهم[٢].

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٥١٩) الأدب ح ٦٠٨٨، ومسلم (١٠٥٧) الزكاة، وأحمد (٣/ ١٥٣).

(٢) بتصرف من تربية الأولاد في الإسلام (٢/ ٧٣٠-٧٣٢).



الفصل السادس

وسائل التربية

ويشتمل على:

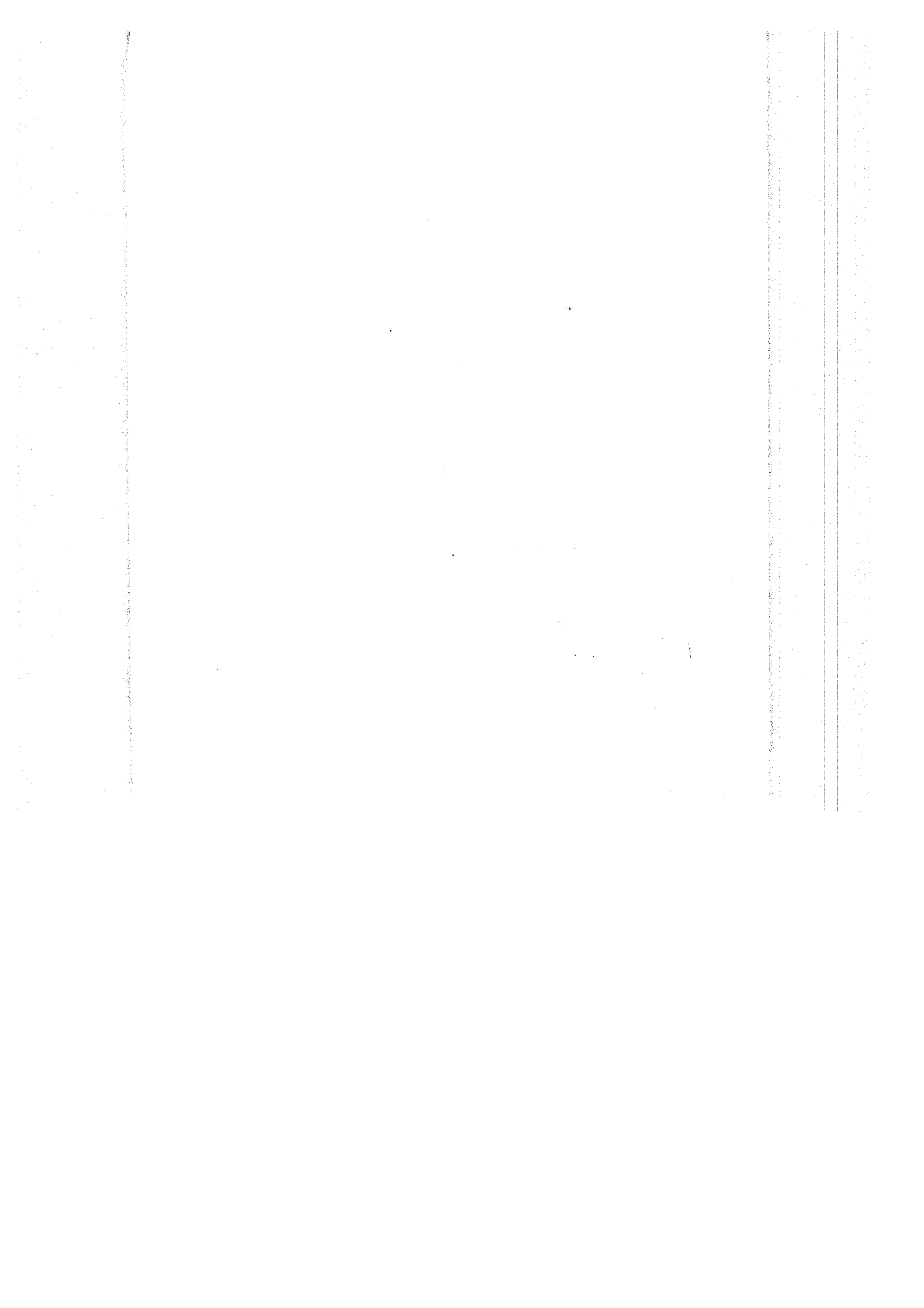
١ - التربية بالقدوة.

٢ - التربية بالموعظة.

٣ - التربية بالقصة الهادفة.

٤ - التربية بالأمثال.

٥ - التربية بدراسة التراجم.



الفصل السادس

وسائل التربية

ويشتمل على:

[١] التربية بالقدوة

قال الأستاذ محمد قطب :

القدوة في التربية هي أفعل الوسائل جميعًا، وأقربها للنجاح .

من السهل تأليف « كتاب في التربية »، من السهل تخيل منهج، وإن كان في حاجة إلى إحاطة وبراعة وشمول، ولكن هذا المنهج يظل حبرًا على ورق . . يظل معلقًا في الفضاء ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك في واقع الأرض . . ما لم يتحول إلى بشر يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ المنهج ومعانيه، عندئذ فقط يتحول المنهج إلى حقيقة، يتحول إلى حركة، يتحول إلى تاريخ .

ولقد علم الله سبحانه وهو يضع ذلك المنهج العلوي المعجز أنه لا بد من ذلك للبشر، لا بد من قلب إنسان يحمل المنهج ويحوله إلى حقيقة لكي يعرف الناس أنه حق ثم يتبعوه .

لا بد من قدوة .

لذلك بعث الله محمداً ﷺ ليكون قدوة للناس : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

ووضع في شخصه ﷺ الصورة الكاملة للمنهج الإسلامي، الصورة الحية الخالدة على مدار التاريخ.

سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت:

« كان خلقه القرآن »[١].

إجابة دقيقة عجيبة مختصرة شاملة.. كان خلقه القرآن! كان الترجمة الحية لروح القرآن وحقائقه وتوجيهاته[٢].

قال الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي:

ينتقل تأثير القدوة إلى المقتدي على أشكال أهمها:

١- التأثير العفوي غير المقصود:

وهنا يقوم تأثير القدوة على مدى اتصافه بصفات تدفع الآخرين إلى تقليده، كتفوقه بالعلم أو بالرئاسة، أو الإخلاص أو.. وفي هذه الحال يكون تأثير القدوة عفوياً غير مقصود، وهذا يعني أن على كل من يرجو أن يكون قدوة أن يراقب سلوكه، ويعلم أنه مسئول أمام الله في كل ما يتبعه الناس، أو يقلده المعجبون، وكلما ازداد حذراً وإخلاصاً ازداد الإعجاب به، فتزداد فائدته وأثره الطيب في النفوس.

٢- التأثير المقصود:

على أن تأثير القدوة قد يكون مقصوداً.

فيقرأ المعلم قراءة نموذجية ليقلده الطلاب، ويجود الإمام صلاته

---

(١) سبق تخريجه ص ١٦٢ .

(٢) التربية الإسلامية (١/ ١٨٠، ١٨١).

ليعلم الناس الصلاة الكاملة، ويتقدم القائد أمام الصفوف في الجهاد ليبث الشجاعة والتضحية والإقدام في نفوس الجند، وهكذا.

وقد تعلَّم الصحابة ﷺ كثيرًا من أمور دينهم بطلب من رسول الله ﷺ أن يقتدوا به، فكان يقول لهم: (**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**) [١] رواه البخاري. وكان يأمرهم في الحج أن يقتدوا به قائلاً: (**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ**) [٢]، ثم كان الصحابي يقول للتابعين: ألا أصلي لكم صلاة رسول الله ﷺ؟

وصلى ﷺ على المنبر - وفي رواية: أنه ذو ثلاث درجات - فقام عليه، فكبر وكبر الناس وراءه وهو على المنبر، ثم ركع وهو عليه، ثم رفع فرجع القهقرى حتى سجد في أصل المنبر، ثم عاد فصنع فيها كما صنع في الركعة الأولى حتى فرغ من آخر صلاته، ثم أقبل على الناس فقال: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتَمُّوا بِي، وَلِتَعْلَمُوا صَلاَتِي**) [٣].

وروى البخاري ومسلم أنه كان ﷺ يسمعهم الآية أحيانًا في «صلاة الظهر» على أنها سرية، وكانوا يسمعون منه النغمة بـ «سبح اسم ربك الأعلى» و «هل أتاك حديث الغاشية» كما روى ابن خزيمة في صحيحه (١/٢٥٧ ح ٥١٢) والضياء المقدسي في «المختارة» بسند صحيح.

---

(١) رواه البخاري (٢/١٣١، ١٣٢) الأذان ح ٦٣١.

(٢) رواه مسلم (١٢٩٧) الحج بلفظ: (لتأخذوا عني مناسككم لعلي لا أحج بعد حجتي هذه)، وأحمد (٣/٣٠١).

(٣) رواه البخاري (٢/٤٦١) الجمعة ح ٩١٧، ومسلم (٥٤٤) المساجد ومواضع الصلاة.

وهكذا علمنا رسول الله ﷺ رائد التربية الإسلامية أن يقصد المربي إلى تعليم طلابه بأفعاله، وأن يلفت نظرهم إلى الاقتداء به لأنه إنما يقتدي برسول الله ﷺ، وأن يحسن صلاته وعبادته وسلوكه بهذا القصد، فيكسب ثواب من سن سنة حسنة إلى يوم القيامة(١).

وهكذا يظهر بجلاء أن التربية بالقدوة من أنجح وأنفع وسائل التربية، فليس أقوى في دفع الولد أو التلميذ إلى الحرص على صلاة الجماعة من رؤيته والده أو شيخه وهو يعظم صلاة الجماعة، فيتهيأ لها قبل الأذان، ويدخل المسجد، ويحرص على تكبيرة الإحرام، والوقوف في الصف الأول، وكذا يدفعه إلى الصدق ما يرى من صدق والده وشيخه ونفورهما عن الكذب. أما من يفتح عينيه على كذب والده، ومن يقتدي به، فمهما لقنه من آيات وأحاديث في فضل الصدق فإن هذا التلقين لا يفيده كثيراً، لأن من يلقنه من أبعد الناس عنه، وأنفر الناس منه، لذا كان على الوالد والمربي أن يتكلف الاستقامة والصدق والأمانة والورع والديانة، لا بقصد الرياء والسمعة، وإنما بقصد تعليم من يقتدي به وينظر إليه، فإذا نصحه بنصيحة كان أحرص الناس على العمل بها، وإذا نفر من خصلة سيئة كان أبعد الناس عنها، كما قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾** [الصف:٢-٣].

وقال تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام: **﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ﴾** [هود:٨٨]. وقال تعالى: **﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾** [البقرة:٤٤].

---

(١) بتصرف من «أصول التربية الإسلامية وأساليبها» (٢٣٤-٢٣٥).

وعن أسامة بن زيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يُجَاءُ بالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَة، فَيُلْقَى في النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ في النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْه، فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بالمَعْرُوف وَتَنْهَانَا عَنْ المُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُم عَنْ المُنْكَرِ وآتِيهِ)[1].

يقول الأستاذ عبد الله ناصح علوان ما ملخصه:

وما أعظم موقف عمر ﷺ حين كان يجمع أهل بيته ليقول لهم: «أما بعد: فإني سأدعو الناس إلى كذا وكذا، وأنهاهم عن كذا وكذا، وإني أقسم بالله بالعظيم لا أجد واحداً منكم أنه فعل ما نهيت الناس عنه أو أترك ما أمرت الناس به إلا نكلت به نكالاً شديداً»، ثم يخرج ﷺ ويدعو الناس إلى الخير، فلم يتأخر أحد عن السمع والطاعة لإعطائهم القدوة بفعله قبل إعطائهم إياها بقوله.

فليعلم الآباء والأمهات والمربون جميعًا أن التربية بالقدوة الصالحة هي العماد في تقويم اعوجاج الولد، بل هي الأساس في ترقيته نحو المكرمات والفضائل والآداب الاجتماعية النبيلة.

وبدون هذه القدوة لا ينفع مع أولادكم تأديب، ولا تؤثر بهم موعظة، فاتقوا الله – أيها المربون – بأولادكم، وكونوا معهم على مستوى المسئولية لتروا أفلاذ الأكباد شموس إصلاح، وأقمار هداية،

---

(١) رواه البخاري (٦ / ٣٢٩)، بدء الخلق ح ٣٢٦٧ (١٣ / ٤٨) الفتن ح ٧٠٩٨، ومسلم (١٨ / ١١٨) الزهد ح ٢٩٨٩، وقوله: (فتندلق أقتابه) وهي الأمعاء، واندلاقها: خروجها بسرعة.

يستضيء أبناء المجتمع بنورهم، ويتأسون بمحاسن أخلاقهم، ويرتشفون من معين آدابهم، ويصدق عليهم قوله تبارك وتعالى: ﴿أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

[التوبة: ١٠٥][(١)].

يقول الأستاذ عدنان حسن باحارث:

وقد تنبه السلف الصالح ﷺ إلى هذا الأمر وأهميته، فهذا عمرو ابن عنبسه معلم ولده لهذا الأمر فيقول: «ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت». فالأطفال لا يدركون المعاني المجردة بسهولة، ولا يقتنعون بها بمجرد سماعها من المربي، بل لا بد من المثال الواقعي المشاهد.

وبهذا يظهر أنه لا مجال للتربية الإسلامية الصحيحة بدون القدوة الصالحة، التي تمتثل الأوامر وتستجيب لها، وتنزجر عن النواهي وتمتنع عنها[(٢)].

ويقول الأستاذ عبد الله ناصح علوان:

ومن هذه القدوة الصالحة التي تجسدت في صحابة رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان انتشر الإسلام في كثير من الممالك النائية والبلاد

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام (٢/٦٦٤).

(٢) مسئولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة (٦٨) ط. دار المجتمع للنشر والتوزيع.

الواسعة البعيدة في شرق الدنيا وغربها، والتاريخ سطر بملء الافتخار والإعجاب أن الإسلام وصل إلى جنوب الهند وسيلان وجذر أكديف وما لاديف في المحيط الهندي، وإلى التيبت وإلى سواحل الصين، وإلى الفلبين وجذر أندونيسيا وشبه جزيرة الملايو، ووصل إلى أواسط إفريقيا في السنغال ونيجيريا والصومال وتنزانيا ومدغشقر وزنجبار وغيرها من البلاد، وصل الإسلام إلى كل هذه الأمم بواسطة تجار مسلمين، ودعاة صادقين، أعطوا الصورة الصادقة عن الإسلام في سلوكهم، وأمانتهم، وصدقهم، ووفائهم.. ثم أعقب ذلك الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، فدخل الناس في دين الإسلام أفواجًا، وآمنوا بالدين الجديد عن اقتناع وإيمان ورغبة، ولولا أن يتميز هؤلاء التجار الدعاة بأخلاقهم ويعطوا القدوة بين أولئك الأقوام بصدقهم وأمانتهم ويعرفوا لدى الغرباء بلطفهم وحسن معاملتهم لما اعتنق الملايين من البشر هذا الإسلام، ولما دخلوا في هديه ورحمته. ونخلص مما تقدم إلى أن التميز الخُلُقي المتمثل بالقدوة الصالحة هو من أكبر العوامل في التأثير على القلوب والنفوس، ومن أعظم الأسباب في نشر الإسلام في البلاد البعيدة، والأصقاع المعمورة، وفي هداية البشرية إلى سبيل الإيمان وطريق الإسلام، فما أجدر الجيل الإسلامي اليوم برجاله ونسائه وشيبه وشبانه وكباره وصغاره أن يفهموا هذه الحقيقة، وأن يعطوا لغيرهم القدوة الصالحة، والأخلاق الفاضلة، والسمعة الحسنة، والمعاملة الطيبة، والصفات الإسلامية النبيلة ليكونوا دائمًا في العالمين أقمار هداية، وشموس إصلاح، ودعاة خير وحق، وأسباب نشر وامتداد لرسالة الإسلام الخالدة[١].

---

(١) حتى يعلم الشباب (١١٩) بتصرف.

وقال في تربية الأولاد:

إذن لا بد من قدوة صالحة لنجاح التربية ونشر الفكرة.

ولا بد من مثل أعلى ترنو إليه الأعين، وتنجذب لجماله النفوس.

ولا بد من أخلاق فاضلة، يستمد المجتمع منها الخير، وتترك في الجيل أفضل الأثر، ومن هنا كان حرص النبي ﷺ على أن يظهر المربي أمام من يقوم على تربيته بمظهر القدوة الصالحة في كل شيء، حتى يشب الولد منذ نشأته على الخير، ويتخلق منذ نعومة أظفاره على الصفات الفاضلة النبيلة[١].

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام (٢/٦٥٣).

[٢] التربية بالموعظة

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي:

المواعظ سياط تُضْرَب بها القلوب، فتؤثر في القلب كتأثير السياط في البدن، والضرب لا يؤثر بعد انقضائه كتأثيره في حال وجوده، لكن يبقى أثر التألم بحسب قوته وضعفه، فكلما قوي الضرب كانت مدة الألم أكثر، كان كثير من السلف إذا خرجوا من مجلس سماع الذكر خرجوا عليهم السكينة والوقار، فمنهم من كان لا يستطيع أن يأكل طعامًا عقب ذلك، ومنهم من كان يعمل بمقتضى ما سمعه مدة.

أفضل الصدقة تعليم جاهل، أو إيقاظ غافل، ما وُصِلَ المستثقل في نوم الغفلة بأفضل من ضربة بسياط الوعظ ليستيقظ.

إنما التأديب بالسوط من صحيح البدن، ثابت القلب، قوي الذراعين، فيؤلم ضربه فيردع. وأما من هو سقيم البدن لا قوة له، فماذا ينفع تأديبه بالضرب؟ كان الحسن إذا خرج إلى الناس كأنه رجل عاين الآخرة، ثم جاء يخبر عنها، وكانوا إذا خرجوا من عنده كانوا لا يعدون الدنيا شيئًا.

قال بعض السلف: إن العالم إذا لم يرد بموعظته وجه الله زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر على الصفا.

المواعظ ترياق القلوب، فلا ينبغي أن يَسْقِي الترياق إلا طبيب حاذق مُعافى، فأما لديغ الهوى فهو إلى شرب الترياق أحوج من أن يسقيه.

وغيرُ تقي يأمرُ الناسَ بالتُّقى طبيبٌ يُداوي الناسَ وهو سقيمُ
يا أيها الرجلُ المعلمُ غيرَه هلا لنفسك كان ذا التعليمُ
فابدأ بنفسك فانهها عن غَيِّها فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ
فهناك يُقبلُ ما تقولُ ويُقتَدى بالقولِ منك وينفعُ التعليمُ
لا تنه عن خُلُقٍ وتأتي مثلَه عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ[1]

يقول الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي:

يعتمد الوعظ من الناحية النفسية والتربوية على أمور أهمها:

١- إيقاظ عواطف ربانية كانت قد ربيت في نفس الناشئين بطريق الحوار، أو العمل والعبادة والممارسة أو غير ذلك، كعاطفة الخضوع لله، والخوف من عذابه، أو الرغبة في جنته، وكذلك يربى الوعظ هذه العواطف وينميها، وقد ينشئها من جديد.

٢- الاعتماد على التفكير الرباني السليم الذي كان الموعوظ قد رُبِّيَ عليه، وهو التصور السليم للحياة الدنيا والآخرة، ودور الإنسان أو وظيفته في هذا الكون، ونعم الله، وأنه خَلَق الكون والموت والحياة.

٣- الاعتماد على الجماعة المؤمنة، فالمجتمع الصالح يوجد جوًّا يكون الوعظ فيه أشد تأثيرًا، وأبلغ في النفوس، لذلك جاءت معظم المواعظ القرآنية والنبوية بصيغة الجماعة كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء:٥٨].

---

(١) لطائف المعارف (١٣-١٥) باختصار.

وكالحديث: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا»[١].

٤- ومن أهم آثار أسلوب الموعظة: تزكية النفس وتطهيرها، وهو من الأهداف الكبرى للتربية الإسلامية، وبتحقيقه يسمو المجتمع، ويبتعد عن المنكرات وعن الفحشاء، فلا يبغي أحد على أحد، ويأتمر الجميع بأمر الله بالمعروف والعدل والصلاح والبر والإحسان، وقد جمعت هذه المعاني في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠][٢].

وقد اشتمل القرآن الكريم على جمل مستكثرة من المواعظ العالية الغالية.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا (٣٦) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (٣٧) وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٦-٣٨].

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٧٦) العلم، وابن ماجة (٤٢) المقدمة، وأحمد (٤/ ١٢٦، ١٢٧) والدارمي (٩٥) المقدمة، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٢) أصول التربية الإسلامية (٢٥٥، ٢٥٦) باختصار.

وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾
[البقرة: ١٧٧].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨].

ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٧) وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾
[لقمان: ١٣-١٩].

والقرآن كله مواعظ للمتقين كما قال تعالى: ﴿ **هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ [آل عمران:١٣٨]. ولقد كان وعظ النبي ﷺ على أرقى مستوى وأعلى درجة، فكان يأسر بوعظه قلوب السامعين، فإما منًا بعد وإما فداء.

وغاية الواعظ أن يصل بِمَنْ وَعَظَهُ إلى الخشية الحقيقية التي تجتمع في وجل القلب، ودمع العين، وأن يتذكروا الآخرة فكأنهم يرونها رأي العين، وهكذا كان وَعْظُ النبي ﷺ كما في حديث العرباض بن سارية قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا» الحديث[١].

وكذا في قصة حنظلة عندما قارن بين حال قلبه في مجلس وعظ رسول الله ﷺ وعندما يفارق هذا المجلس إلى مجالسة الزوجات والأولاد فقال: نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرًا. فقال رسول الله ﷺ: (**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَمْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً**) ثَلاثَ مَرَّاتٍ[٢].

---

(١) تقدم تخريجه ص ٣٠٣.

(٢) رواه مسلم (٢٧٥٠) التوبة، والترمذي (٢٥١٤) صفة القيامة، وأحمد (٥٣٠٥/٢).

وقد كان لوعظه ﷺ سمات:

فمن ذلك أنه ﷺ لم يكن يكثر عليهم فيملوا، بل يجعلهم دائمًا متشوقين إلى وعظه ﷺ.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ مَخَافَةَ السَّأَمِ عَلَيْنَا، أَوْ قَالَ: السَّآمَةَ عَلَيْنَا[١].

ومن فقه الرجل تقصير الخطبة، وإطالة الصلاة.

من هديه ﷺ في الوعظ أنه كان يؤثر في الصحابة رضي الله عنهم بقوة يقينه وتأثره، وكان يرفع صوته ويحرك يديه كأنه منذر جيش.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآيات يومًا على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧] ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر: يمجد الرب نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم، فرج برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليخرنَّ به. أساقط هو برسول الله ﷺ؟[٢].

يقول الدكتور عبد الله ناصح علوان: ولا يتصف الواعظ الداعية بهذا التأثير إلا أن يكون مخلص النية، رقيق القلب، خاشع النفس، طاهر السريرة، مشرق الروح.

---

(١) رواه البخاري (١/ ٦٢) العلم، ومسلم (٢٨٢١) صفة القيامة.

(٢) رواه أحمد رقم (٥٤١٤ شاكر) وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح.

وفرق كبير بين داعية يتكلم بلسانه وهو متصنع بالكلام ليسبي به قلوب الرجال، وبين داعية مؤمن مخلص مكلوم القلب على الإسلام، يتكلم بنبضات قلبه ولواعج حزنه وأساه لما آل إليه حال المسلمين، فلا شك أن تأثير الثاني أبلغ، والاستجابة إليه أقوى، والاتعاظ بكلامه أعظم.

قال عمر بن ذر لأبيه: يا أبت ما لك إذا تكلمت أبكيت الناس. وإذا تكلم غيرك لم يبكهم؟ فقال: يا بني ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة[(١)].

ومن هديه ﷺ في الوعظ أنه كان يستعين أحيانًا بضرب الأمثال، كما قال ﷺ: (مَثَلُ الجَليسِ الصَّالِحِ وَالجَليسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ إمَّا أنْ يُحْذِيَكَ، وَإمَّا أنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإمَّا أنْ تَشُمَّ مِنْهُ رَائِحَةً طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ إمَّا أنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإمَّا أنْ تَشُمَّ مِنْهُ رَائِحَةً خَبِيثَةً)[(٢)].

ومن هديه ﷺ في المواعظ أنه كان يستعين أحيانًا بالرسوم الإيضاحية، روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطًا مربعًا، وخط خطًا في الوسط خارجًا منه، وخط خطوطًا صغارًا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط. فقال: (**هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به، أو قد أحاط به، وهذا الذي هو خارج** – أي عن الخط – **أمله، وهذه الخطوط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا**)[(٣)].

---

(١) باختصار من تربية الأولاد (٢ / ٧١٥).

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٤١.

(٣) رواه البخاري (١١ / ٢٣٩) الرقاق ح ٦٤١٧، والأعراض هي الحوادث والنوائب المفاجئة.

ومن هديه ﷺ : **أنه كان يعلمهم بالدرس العملي**، كما في صحيح البخاري أن النبي ﷺ توضأ أمام جمع من الناس ثم قال : **(من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يُحدِّث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه)** [١].

وصلى مرة ﷺ بالناس إمامًا وهو على المنبر ليروا صلاته كلهم، وليتعلموا من أفعاله ومشاهداته، فلما فرغ أقبل على الناس فقال : **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتَمُّوا بِي، وَلِتَعَلَّمُوا صَلاتِي)** [٢].

ومن هديه ﷺ أنه كان إذا أراد أن ينهى عن شيء فربما أخذه، بيده، وبيّن حرمته ليكون أوقع في نفوس أصحابه :

عن علي رضي الله عنه قال : أخذ رسول الله ﷺ حريرًا بشماله وذهبًا بيمينه، ثم رفع بهما يده فقال : **(إن هذين حرام على ذكور أمتي حل لإناثهم)** [٣].

ومن هديه ﷺ في الوعظ استعمال التكرار المفيد للترغيب أو الترهيب.

يقول الأستاذ عثمان قدري مكانسي :

وبهذا الأسلوب الواضح المستأني، وبهذا التكرار المفيد يستوعب الصحابة الحديث فيحفظونه، وتثبت ألفاظه ومعانيه في العقل، وتنغرس الأفكار وظلالها، والألفاظ وإيحاءاتها في النفوس، ويتمثلون حديث رسول الله ﷺ عملاً وتطبيقًا في مجال حياتهم، ثم تصل إلينا نقية لا شائبة فيها، حية بحيوية حامليها.

---

(١) رواه البخاري (١/ ٣١١) الوضوء.

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٩٥ .

(٣) رواه أبو داود (٤٠٣٩ عون) اللباس، والنسائي (٨/ ١٦٠) الزينة، وابن ماجة (٣٥٩٥) اللباس، وصححه الألباني.

ومن الأحاديث التي ترى فيها صدق ما ذكرته سابقًا: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ)**. قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: **(مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ)** [1].

أية قشعريرة أخذتني وأنا أقرأ هذا الحديث، فأفاجأ بقوله ﷺ: **(رَغِمَ أَنْفُهُ)** تتكرر ثلاث مرات، وأنا بعيد عن زمان الحديث ألفًا وأربعمائة وست عشرة سنة، فمادت بي الأرض [2].

ومن هذا القبيل قوله ﷺ: **(ألاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟ ثلاثًا)**، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: **(الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ)**، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: **(أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ)**، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ [3].

ومن ذلك: الترغيب ببيان عظم الثواب، والترهيب بالتخويف من شدة العقوبة.

فمن الأول قوله ﷺ: **(من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله)** [4].

ومن الثاني قوله ﷺ: **(لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ)** [5]. أي: نمام.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٥١) الأدب.

(٢) التربية النبوية (١٣٠-١٣١) باختصار.

(٣) رواه البخاري (٥/٢٦١) الشهادات ح ٢٦٥٤، ومسلم (٢/٨١، ٨٢) الإيمان ح ٨٧

(٤) رواه مسلم (٦٥٦) المساجد، ومالك في الموطأ (١/١٣٢)، والترمذي (٢٢١) الصلاة.

(٥) رواه البخاري (١٠/٧٤٢) الأدب ح ٦٠٥٦، ومسلم (٢/١١٢) الإيمان ح ١٠٥.

ومن ذلك استعمال القسم لتأكيد ما يريد بيانه، كما قال ﷺ : **(وَالَّذي نَفْسي بيَده لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بحَطَبٍ فَيُحْتَطَب ثُمَّ آمُرَ بالصَّلاة فَيُؤَذَّنُ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيَؤم النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إلَى رِجَالٍ فأُحَرِّقَ عَلَيْهِم بُيُوتَهُم)** [١] .

وكذا قوله ﷺ : **(والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً)** . فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين [٢] وهو البكاء الذي ينتشر من الأنف بغنَّةٍ.

ومن ذلك التحديد بالعدد حتى يسهل علي أصحابه الحفظ وعدم تفلت شيء منهم ،كما قال ﷺ : **(ثَلاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَة، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلاَ يَنْظُرُ إلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** . فَقَالُوا: من هم يا رسول الله؟ فقال: **(شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر)** [٣] .

ومن ذلك قوله ﷺ : **(سَبْعَةٌ يُظلُّهُمُ اللهُ فِي ظلِّه يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظلُّهُ: إمَامٌ عَادلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عبَادَة الله عَزَّ وَجَلَ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بالمَسَاجد، وَرَجُلاَن تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْه وَتَفَرَّقَا عَلَيْه، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقَة فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شمَالُهُ مَا تُنْفقُ يَمينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَاليًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)** [٤] .

---

(١) رواه البخاري (٢ /١٤٨) الآذان ح ٦٤٤، ومسلم (٦٥١) المساجد، ومالك في الموطأ (١ /١٢٩، ١٣٠).

(٢) رواه البخاري (١١ /٣١٩) الرقاق ح ٦٤٨٦، والترمذي (٩ /١٤٩) الزهد.

(٣) رواه مسلم (١٠٧) الإيمان، والنسائي (٦ /٨٦) الزكاة.

(٤) رواه البخاري (٦٦٠) الأذان، ومسلم (٧ /١٤٣–١٤٥) الزكاة ح ١٠٣١ .

ومن ذلك الترقي من المهم إلى الأهم، فإذا وجد العبد إنسانًا تاركًا للصلاة، ومسبل الإزار، أو يتختم بالذهب، والثلاثة من المحرمات، إلا أنَّ ترك الصلاة أخطر الثلاثة – وقد اختلف العلماء في تكفير تارك الصلاة – فعلى الداعي أن ينصح بالمداومة على الصلاة أولاً، ثم إذا كان هناك استجابة يرشد إلى ترك بقية المحرمات، لما أرسل النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن قال: **«إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلُّوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ، فَتُرَدُّ إِلَى فَقِيرِهِمْ. فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»**[١].

ومن هديه ﷺ أنه كان يخاطب الناس على قدر عقولهم:

وقد قيل: ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم.

وفي الأثر: حدثوا الناس على قدر عقولهم، أتحبون أن يُكذَّبَ الله ورسوله.

فمن ذلك ما رواه أبو هريرة ﵁ قال: بال أعرابي في المسجد، فقام الناس إليه ليقعوا فيه. فقال النبي ﷺ: **«دعوه، وأريقوا على بوله سجلاً من ماء – أو ذنوبًا من ماء – فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين»**[٢].

---

(١) رواه البخاري (٣/٤١٨) الزكاة ح ١٤٥٨، ومسلم (١/١٩٦، ١٩٧) الإيمان ح ١٩.

(٢) رواه أبو داود (٣٧٦ عون) الطهارة، والترمذي (١٤٧) الطهارة، وأصله في البخاري (١٠/٤٥٢) الأدب ح ٦٠٢٥، والنسائي (٣/١٤) السهو.

[٣] التربية بالقصة الهادفة

التربية بالقصة المشتملة على العبرة والعظة من أنجح المواعظ، لأن النفس بطبيعتها تنجذب إلى القصة، وتأخذ القصة بمجامع القلوب، فإذا أودعت فيها الحكمة والعبرة كانت الغاية، والقرآن الكريم لا يحكي القصص لمجرد أنه قصص للتسلية وتزجية الأوقات، ولكنه يقص القصص من أجل التربية، وترسيخ المعاني الإيمانية، والأخلاق المرضية[١].

جاء في كتاب: النظام والإسلام، في بحث التربية والآداب في قصص القرآن ما مثاله:

طال الأمد على أمتنا فأهملت ما في غضون كتابها من أساس التربية والحكمة، يا ليت شعري ما الذي أصابها حتى غضَّت النظر عن القصص التي قصها، وأهملت أمرها، وظن أهلها أنها أمور تاريخية لا تفيد إلا المؤرخين، والقصص في كل أمة عليها مدار ارتقائها، سواء كانت وضعية أم حقيقية، على ألسنة الحيوان أو الإنسان أو الجماد.

جاء القرآن بقصص الأنبياء وهي - ولا جرم - أعلى منارًا وأشرف مزية، كيف لا وقد جمعت أحسن الأسلوب، واختيار المقامات المناسبة لما سيقت إليه، والقدوة الحسنة للكمل المخلصين من الأنبياء ومن والاهم، وتحققها في أنفسها لوقوع مواردها. وإن حب التشبه طبيعة مرتكزة في الإنسان - لا سيما لمن يقتدى بهم - فهذه خمس مزايا

---

(١) بتصرف من تيسير المنان في قصص القرآن للمصنف (٣/ ٤) ط. ابن الجوزي.

اختصت بها هذه القصص، ونقصت في سواها، أليس من العيب الفاضح أن نقرأ قصص القرآن فلا نكاد نفهم إلا حكايات ذهبت مع الزمان ومرت كأمس الدابر، وما لنا ولها إذن؟ تالله إن هذا لهو البوار، ولم يكن هذا إلا للجهل بالمقصود من قصصها، وأنها عبرة لمن اعتبر، وتذكرة لمن تفكر، وتبصرة لمن ازدجر.

وبالإجمال: فليس القصد من هذه القصص إلا منافعها، والعبر المبصرة للمسلمين، ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾ [يوسف: ١١١]، ولسنا ممن يتبجح بالقول بلا بيان، فلا نعتمد إلا على البرهان، تأمل هذه القصص تجده لا يذكر إلا ما يناسب الإرشاد والنصح، ويعرض عن كثير من الوقائع إذ لا لزوم لها، ولا معول عليها، فلا ترى قصة إلا وفيها توحيد، وعلم، ومكارم أخلاق، وحجج عقلية، وتبصرة وتذكرة تلذ العقلاء(١).

قال الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي:

لكل قصة قرآنية أو نبوية كما بينا هدف تربوي رباني سيقت من أجله، والعبرة بالقصة إنما يتوصل إليها صاحب الفكر الواعي، والذي لا يطغى هواه على عقله وفطرته، بل يستنبط من القصة المغزى الحق، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [يوسف: ١١١].

---

(١) نقلاً عن محاسن التأويل باختصار (٩/ ٣٠٥، ٣٠٦) ط. دار الفكر.

قال العلامة محمد رشيد رضا :

ووجه الاعتبار بهذه القصة - أي قصة يوسف عليه السلام - أن الذي قدر على إنجاء يوسف بعد إلقائه في الجب، وإعلائه بعد وضعه في السجن، وتمليكه مصر بعد أن بِيْعَ بَيْعَ العبيد بالثمن الخسيس، والتمكن له في الأرض بعد ذلك الإسار والحبس الطويل، وإعزازه على من بغاه بالسوء من إخوته، وجمع شمله بهم وبأبويه على ما أحب بعد المدة الطويلة، والمجيء بهم من الشقة النائية، إن الذي قدر على ذلك كله أيها الناس لقادر على إعزاز محمد ﷺ، وإعلاء كلمته، وإظهار دينه، فيخرجه من بين أظهركم ثم يظهره عليكم، ويمكن له في البلاد، ويؤيده بالجند والرجال، والأتباع والأصحاب، وإن مرت به الشدائد، وأتت دونه الأيام والليالي والحواديت .

وإنما قال ﴿ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ وهم أصحاب العقول الراجحة، لأن أهل البصيرة والروية من العقلاء هم الذين يعتبرون بعواقب الأمور التي تدل عليها أوائلها ومقدماتها بعد التأمل في صفاتها وحقيقتها، وأما الأغرار الغافلون، والظالمون المعاندون فلا يمرنون عقولهم على الاستقلال في النظر، والاعتبار بما جرى على الأفراد والأمم، فلا يفيدهم النصح والتذكر، ولا سوء العاقبة والمصير[١].

ويقول الأستاذ عثمان قدري مكانسي :

إن للقصة تأثيراً كبيراً في نفس متلقيها، لما فيها من تدرج في سرد الأخبار، وتشويق في العرض، وطرح للأفكار، ممزوجة بعاطفة إنسانية. وهي تعتمد على الحوار والنقاش الداخلي أحياناً، والخارجي أحياناً

---

(١) نقلاً عن أصول التربية الإسلامية وأساليبها (٢٤٥، ٢٤٦).

أخرى، وتصدر مقترنة بالزمان والمكان اللذين يغلفان الأحداث بإطار يمنع الذهن من التشتت وراء الأحداث، وتتدرج من موقف إلى آخر، تجذب السامع إلى التفاعل والمتابعة بأحاسيسه وأفكاره ومشاعره، ويندمج فيما يسمع، فتصل به إلى نقطة التأزم، ثم تنحل شيئًا فشيئًا، وتكون نقطة التنوير في الأحداث الضوء الذي ينقذ الموقف القصصي، وينقله إلى حالة الهدوء والانتظام، أو اتخاذ الموقف الإنساني نتيجة للتفاعل الفكري والنفسي مع الأحداث.

والرسول ﷺ استخدم الأسلوب القصصي، لأنه رآه من أبلغ الطرق المؤدية إلى توثيق الفكرة، وإصابة الهدف[1].

وإذا كانت النفوس البشرية تميل بطبيعتها إلى القصة، فإن مما يؤسف له أن أكثر الناس يضيعون أعمارهم في مشاهدة الأفلام الهابطة، والتمثيليات الساقطة، من أجل التسلية، مع أن فيها ضياع الأخلاق، وذهاب الأديان، وقتل حياء النساء، وذهاب غيرة الرجال، فإنها لا تخلو من رؤية متبرجة شديدة التبرج والتهتك، أو اختلاط ماجن بين الرجال والنساء، أو شارب خمر، أو عازف على آلات المعازف واللهو، ثم هي ليست قصصًا من بحر الحقيقة والواقع، ولكنها من نسج الخيال، ومن وضع الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، ولا يفوت هؤلاء الكتاب الذين يغلب عليهم التفرنج والأفكار الإباحية، أن يجرءوا الناس على المعاصي والشهوات، وأن يسكبوا في قلوبهم أنواع الشبهات، ولا تخلو من الاستهزاء بالدين، والسخرية من أولياء الله الصالحين.

---

(١) التربية النبوية (١٤-١٥).

ومـاذا ينتظر من أناس تركوا دينهم وإسلامهم خلف ظهورهم، ووجهوا وجوههم قبل الغرب الكافر، يهدمون ما هدموا من فضيلة، ويحيون ما أحيوا من فاحشة ورزيلة، والله من ورائهم محيط[١].

ولما كانت القصة لها أثرها التربوي، ولها جذبها للقلوب والأسماع اشتمل القرآن على قصص كثيرة، بل ما يقرب من ربع إلى ثلث القرآن في القصص، ولما كان من أهم أهداف القصص القرآني الارتقاء بمستوى الأمة الإيماني، والفكري، والأخلاقي، وكذا تسلية المؤمنين وتثبيتهم على الحق المبين، كان من سمات القرآن المكي كثرة القصص، لحاجة المسلمين في بداية الدعوة إلى تأصيل المعاني الإيمانية، وكذا حاجتهم إلى التسلية لمواجهة إيذاء الجاهلية واستهزائها، ولأجل العبرة والعظة تكرر القصص القرآني، حتى ذكرت قصة موسى عليه السلام في أربعة وعشرين موضعاً.

قال الأستاذ مناع القطان:

يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذي تكرر في غير موضع، فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن، وتعرض في صور مختلفة في التقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب، وما شابه ذلك.

ومن حكمة هذا:

١– بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها، فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضع

---

(١) من مقدمة المصنف لكتابه «تيسير المنان في قصص القرآن» الجزء الثالث ص (٥–٦) ط. دار ابن الجوزي.

بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتصاغ في قالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها، بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل به بقراءتها في المواضع الأخرى.

٢- قوة الإعجاز، فإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التحدي.

٣- الاهتمام بشأن القصة لتمكين عِبَرِها في النفس، فإن التكرار من طرق التأكيد، وأمارات الاهتمام، كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون، لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل أتم تمثيل، مع أن القصة لا تتكرر في السورة الواحدة مهما كثر تكرارها.

٤- اختلاف الغاية التي ساق من أجلها القصة: فتذكر بعض معانيها الوافية للغرض في مقام، وتبرز معاني أخرى في سائر المقامات، حسب اختلاف مقتضيات الأحوال[١].

أما القصص النبوي فالهدف منه كذلك ترسيخ المعاني الإيمانية، وغرس الفضائل في نفوس المسلمين، وكذا تسليتهم وتثبيتهم في طريق الإيمان، فمن القصص النبوي الذي يرسخ المعاني الإيمانية قصة الرجل الذي سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار. فقال: ائتني بالشهداء. فقال: كفى بالله شهيداً. فقال: فأتني بالكفيل فقال: كفى بالله وكيلاً. فقال: صدقت. فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يقدم عليه للأجل الذي أجله

(١) مباحث في علوم القرآن (٣٠٧، ٣٠٨).

فلم يجد مركبًا فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار... وصحيفة إلى صاحبه ثم زج موضعها - أي سده - ثم أتى بها البحر.

فقال: اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانًا ألف دينار فسألني كفيلاً فقلت: كفى بالله كفيلاً فرضي بك، وسألني شهيدًا فقلت: كفى بالله شهيدًا فرضي بك. وإني جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستودعكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده. فخرج الرجل الذي كان أسلفه، ينظر لعل مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطبًا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بألف الدينار فقال: والله ما زلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيت فيه.

قال: هل كنت بعثت إليّ بشيء؟

قال: أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه.

فقال: فإن الله أدّى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بألف الدينار راشداً[١].

ففي القصة حث على النوكل على الله عز وجل والوفاء بالوعد، وتصديق المسلم، وحسن الظن به، وكذا حسن الظن بالله عز وجل، والرضا به ربًا وكفيلاً، وشهيداً.

---

(١) رواه البخاري (٣/٤٢٤) الزكاة مختصراً ح ١٤٩٨، وأحمد (٢/٣٤٨).

ومن القصص النبوي الهادف قصة الأبرص والأقرع والأعمى:

عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: (إنَّ ثَلاثَةَ مِنْ بَني إسْرائيلَ: أبْرَصَ وأَقْرَعَ وأَعْمَى، أَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَليَهُمْ فَبَعَثَ إلَيْهِمْ مَلَكًا أتَى الأبْرَصَ فَقَالَ: أيُّ شَيْءٍ أحَبُّ إلَيْكَ؟ فَقَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذي قَدْ قَذِرَني النَّاسُ، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ وأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا.

فَقَالَ: فَأَيُّ المَالِ أحَبُّ إلَيْكَ؟

فَقَالَ: الإبِلُ.

قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فيهَا.

فَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ: أيُّ شَيْءٍ أحَبُّ إلَيْكَ؟

قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذي قَذِرَني النَّاسُ، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ وأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا.

فَقَالَ: أيُّ المَالِ أحَبُّ إلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ. فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حاملاً. فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فيهَا.

فَأَتَى الأَعْمَى. فَقَالَ: أيُّ شَيْءٍ أحَبُّ إلَيْكَ؟

قَالَ: أنْ يَرُدَّ اللهُ بَصَرِي، فَأُبْصِرَ النَّاسَ، فَمَسَحَهُ فَرَدَّ إلَيْهِ بَصَرَهُ.

قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أحَبُّ إلَيْكَ؟

قَالَ الغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا.

فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ.

ثُمَّ إنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَدْ انْقَطَعَتْ بِي الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاغَ لِي اليَوْمَ إلاَّ بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، والجِلْدَ الحَسَنَ، وَالمَالَ بَعِيراً أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي.

فَقَالَ: الحُقُوقُ كَثِيرَةٌ.

فَقَالَ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَتَقَذَّرُكَ النَّاسُ. فَقِيراً فَأَعْطَاكَ اللهُ؟

فَقَالَ: إنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ.

قَالَ: إنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَدْ انْقَطَعَتْ بِي الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاغَ لِي اليَوْمَ إلاَّ بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ الشَّعَرَ الحَسَنَ، والمَنْظَرَ الحَسَنَ، وَالمَالَ بَقَرَةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي.

فَقَالَ: الحُقُوقُ كَثِيرَةٌ.

فَقَالَ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَقْرَعَ يَتَقَذَّرُكَ النَّاسُ. فَقِيراً فَأَعْطَاكَ اللهُ؟

فَقَالَ: إنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ. فَقَالَ: إنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ انْقَطَعَتْ بِي الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاغَ لِي اليَوْمَ إلاَّ بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي.

فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لاَ أَجْهَدُكَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَقَالَ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ)[١].

فكم تغرس هذه القصة النبوية التي حكاها رسول الله ﷺ في النفوس من بيان عاقبة الصدق، وعاقبة الكذب، وكم تبين حال الحريص على الدنيا الذي يبخل بنعم الله عز وجل عليه، ويتكبر على عباد الله من الحرمان في الدنيا، والتعرض لسخط الله عز وجل وعقوبته، وكذا يتبين حال المؤمن الشاكر لنعم الله عز وجل، وكيف أنه ينال رضى الله الذي هو أكبر من جنة الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التوبة:٧٢]. وكيف أن الصدقة لا تنقص المال، كما قال النبي ﷺ: **(ما نقص مال من صدقة)**[٢].

وأن الدنيا دار بلاء وامتحان، وأن الفقر فتنة، والغنى فتنة، فالسعيد من تبصر في حاله، وعلم العبودية المطلوبة منه، فقام بواجبها، فوفق للخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

وبعد، فهذه نماذج من القصص النبوي المبارك، ولا تقتصر التربية بالقصة على القصص القرآني والنبوي، ولكن هناك كذلك من قصص الأمم السابقة، ومن سير السلف، وكذا من أخبار المعاصرين ما فيه عبرة وعظة، فنسأل الله التوفيق إلى ما يحب ويرضى.

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٥٧٨، ٥٧٩) الأنبياء ح ٣٤٦٤، ومسلم (٢٩٦٤) الزهد.

(٢) رواه الترمذي (٢٣٢٥) الزهد، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني.

[٤] التربية بضرب الأمثال

يقول الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي ما ملخصه:

لم تكن الأمثال القرآنية والنبوية مجرد عمل فني يقصد من ورائه الرونق البلاغي فحسب، بل إن لها غايات نفسية تربوية حققتها نتيجة لنبل المعنى، وسمو الغرض بالإضافة إلى الإعجاز البلاغي، وتأثير الأداء. ومن أهم هذه الأهداف التربوية:

(أ) **تقريب المعنى إلى الأفهام**: فقد أَلِفَ الناسُ تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية، ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية، أو الغيبية.

ومن الأمثال النبوية المعروضة بأسلوب الحوار الخطابي أيضًا الحديث التالي: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِه شَيْءٌ؟ قَالُوا: لاَ يَبْقَى مِنْ دَرَنِه شَيْءٌ. قَالَ: (فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الخَطَايَا**)[١].. متفق عليه.

أما الأمثال القرآنية فقد بلغت ذروة الإعجاز والبلاغة من حيث استكمال الوضوح، وأداء المعنى، وتقريبه للأفهام، نذكر منها على سبيل المثال المعنى الذي ضربه الله مثلاً للحق والباطل.

---

(١) رواه البخاري (٢/ ١٤، ١٥) مواقيت الصلاة ح ٥٢٨، ومسلم رقم (٦٦٧) المساجد، مواضع الصلاة.

﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧].

فالباطل يضمحل وينمحق كالزبد الذي يحتمله السيل، وإن علا على الحق في بعض الأوقات، كما يعلو الزبد، والحق ثابت باق يُمَكن في القلب فينتفع به المؤمن، فيثمر عملاً صالحًا كما يُمَكن الماء، وأسباب الإنبات في الأرض فيثمر عشبًا وزرعًا ونخيلاً وأعنابًا.

(ب) إثارة الانفعالات المناسبة للمعنى، وتربية العواطف الربانية: كانفعال الاشمئزاز من هؤلاء والشعور بتفاهتهم، وضياع عقولهم، واقرأ معنى قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ أي كلفوا العمل بما فيها ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٥].

(ج) تربية العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم: تنطوي معظم الأمثال على قياس تذكر مقدماته ويطلب من العقل أن يتوصل إلى النتيجة التي لا يصرح القرآن بها في كثير من الأحيان، بل يشير إليها ويترك للعقل معرفتها.

فعندما ضرب الله مثلاً للحق والباطل وصف المشبه به «الماء» والسيل والزبد وما ينفع الناس فيمكث في الأرض، وما يذهب جفاء ثم اكتفى بإشارة سريعة إلى النتيجة: ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ﴾ [الرعد: ١٧] وترك للعقل أن يكتشف أن الحق يبقى، وأن الباطل يذهب

جفاء، كما يذهب الزبد بعد انتهاء السيل، ويشعر الإنسان بلذة الظفر بالوصول إلى اكتشاف «اللغز» الذي أشارت إليه الآية، وقد يشعر بلذة «المفارقة» والسخرية بالباطل كما في المثل: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا** ﴾ [الحج: ٧٣].

(د) الأمثال القرآنية والنبوية دوافع تحرك العواطف والوجدان، فيحرك الوجدان الإرادة ويدفعها إلى عمل الخيرات، واجتناب المنكرات، وبهذا تساهم الأمثال في تربية الإنسان على السلوك الخير وتهذيب نزعاته الشريرة فتستقيم حياة الأفراد والمجتمعات، وتسير الأمة الإسلامية سيرتها نحو حضارة مثلى، ويتحقق للإنسانية الرخاء والتحرر من كل خرافة، أو ظلم، ويجب على المربي العمل على تحقيق هذا الجانب من تربية السلوك والإرادة الطيبة والنزوع إلى الخير، وذلك باستحضار الأمثال القرآنية في المواقف الحياتية والنشاطية المدرسية المناسبة، والتعقيب عليها بذكر نتائجها السلوكية والاجتماعية الطيبة بأسلوب يقوي إرادة الخير عند الطلاب، ويحقق عزمهم على توجيه سلوكهم بما تقتضيه أمثال القرآن وتعاليمه، فالأمثال القرآنية والنبوية سلاح (بلاغي، عاطفي، عقلي) ماض، بليغ الأثر عظيم النتائج، جم الفائدة[١].

ويقول الأستاذ عثمان قدري مكانسي:

كان رسول الله ﷺ يستعين على توضيح المواعظ بضرب المثل مما يشاهده الناس بأم أعينهم، ويقع تحت حواسهم وفي متناول أيديهم، ليكون وقع الموعظة في النفس أشد، وفي الذهن أرسخ. ومن الأمثلة

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها (٢٢٣-٢٢٨) باختصار.

على ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذي يَقْرأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّة، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَة، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلاَ رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الفَاجِرِ الَّذي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَان رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الفَاجِرِ الَّذي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَة طَعْمُهَا مُرٌّ وَلاَ رِيحَ لَهَا)[١] فالناس كما قسمهم الرسول ﷺ أربعة أنواع، والسامعون يرهفون السمع وحاسة التصوير يريدون أن يتعرفوا هذه الأقسام الأربعة ليوازنوا بينها، ويحددوا في أي صنف يكونون.. وهذه الموازنة تجعلهم يرغبون بالتعرف على سمات كل طائفة، ثم ينضمون إلى الطائفة الموجودة[٢].

فضرب الأمثال من وسائل التربية التي اعتبرها الشرع الحنيف، وأكثر القرآن من ذكرها، كما قال تعالى: ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٥].

وقال جل ذكره: ﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ ﴾ [إبراهيم: ٤٥].

قال الحكيم الترمذي: ثم اعلم أن ضرب الأمثال لمن غاب عن الأشياء وخفيت عليهم الأشياء، فالعباد يحتاجون إلى ضرب الأمثال لما خفيت عليهم الأشياء، فضرب لهم مثلاً من عند أنفسهم لا من عند نفسه، ليدركوا ما غاب عنهم، فأما من لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء فلا يحتاج إلى الأمثال، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. قال

---

(١) رواه البخاري (٨/٦٨٣،٦٨٤) فضائل القرآن ح ٥٠٢٠، ومسلم رقم (٧٩٧) صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) التربية النبوية (٣١، ٣٢).

عز وجل: ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ﴾[النحل:٧٤] فالأمثال نموذجات الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار لتهتدي النفوس بما أدركت عيانًا.

فمن تدبير الله لعباده أن ضرب لهم الأمثال من أنفسهم لحاجتهم إليها، ليعقلوا بها فيدركوا ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم الظاهرة، فمن عقل الأمثال سماه الله تعالى في كتابه عالمًا، لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾[العنكبوت:٤٣] (١).

ثم ساق الحكيم الترمذي – رحمه الله – جملة مستكثرة من الأمثال في القرآن والسنة وأقوال الحكماء، وهذه باقة طيبة من هذه الأمثال:

قال – رحمه الله – ما ملخصه: فضرب مثل المنافقين جل ذكره: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة:١٤–١٨].

قال: مثل المنافق الذي تكلم بكلمة الإيمان مرائيًا للناس كان له نوره بمنزلة المستوقد نارًا يمشي في ضوءها ما دامت تتقد ناره، فإذا ترك الإيمان صار في ظلمة، كمن أطفئت ناره فقام لا يهتدي ولا يبصر ذلك.

---

(١) الأمثال من الكتاب والسنة لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي بتحقيق محمد علي البجاوي (١، ٢) ط. مكتبة دار التراث.

ثم قال: ذهب الله بنورهم أي بإيمانهم الذي تكلموا به، وتركهم في ظلمات لا يبصرون، في ضلالة لا يبصرون الهدى، هذا قول مقاتل.

وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله تعالى للمنافق الذي تكلم بكلمة الإيمان ظاهرًا، فناكح ووارث بها وحقن بها دمه وماله، فلما كان عند الموت لم يك مصدقًا بها سلبت عنه فترك في كرب وظلمة، فتحير فيها، كما كانت معاملته في الدنيا في حق الله سبحانه تعالى.

وقال مجاهد - رحمه الله تعالى-: أضاءت ما حولهم عند إقبالهم إلى المؤمنين، وذهب بنورهم يعني ذهاب نورهم عند إقبالهم على المشركين، فالمنافق قلبه لا يستقر فيه شيء، كلما برق فيه نور الحق خرج من الجانب الآخر، فقلبه كنفق اليربوع يدخل من باب ويخرج من باب [١].

وقال - رحمه الله -: ثم ذكر مثل المرائي والمشرك كمثل صفوان عليه التراب، فأصابه وابل - المطر الشديد -، فلا يبقى من ذلك التراب على ذلك الصفا شيء، كذلك صدقة المشرك والمرائي الذي يمن ويؤذي الفقير، لا يحصل له شيء من الثواب يوم الجزاء [٢].

وقال - رحمه الله -: ومثل الكافر إذا دعا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه، ألا يستجاب دعاء الكافر، كما لا يبلغ الماء الذي بسط كفيه لقوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ [الرعد: ١٤] أي إلا في باطل [٣].

---

(١) السابق (٥-٦).

(٢) السابق (١٣).

(٣) السابق (٢٠، ٢١).

وقال - رحمه الله -: مثل أعمال الكافر كرماد اشتدت به الرياح في يوم عاصف، فالكفار اتخذوا أهواءهم آلهة من دون الله، وعملوا بأهوائهم فجاءت ريح الأهواء فذرته في النار[١].

وقال - رحمه الله -: وضرب مثلاً آخر لأهل الشرك فقال: ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزمر: ٢٩].

فالموحد أسلم وجهه لله وحده، والمشرك أسلم وجهه لأرباب متفرقين، فكيف حاله في الدنيا في بعث عبوديته لهم؟ وكيف حاله في الآخرة؟ فهو وأربابه في النار[٢].

قال الحكيم الترمذي: وما في الأخبار من ضرب الأمثال أكثر من أن يحصى، نذكر بعضها: منها ما روي عن نافع عن ابن عمر ﷺ: «مثل القرآن مثل الإبل المعقَّلة، إن عقلها صاحبها أمسكها عليه، وإن أرسلها من عقلها ذهبت»[٣].

وقال ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذي يَقْرأُ الْقُرآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّة، ريحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذي لاَ يَقْرأُ القُرآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَة، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلاَ رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذي يَقْرأُ القُرآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَان ريحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذي لاَ يَقْرأُ القُرآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَة طَعْمُهَا مُرٌّ وَلاَ رِيحَ لَهَا)[٤].

---

(١) السابق (٢١).

(٢) السابق (٢٩).

(٣) رواه البخاري (١٠ / ٦٩٦) فضائل القرآن ح ٥٠٣١، ومسلم (٧٨٩) صلاة المسافرين، والنسائي (٢ / ١٥٤) الصلاة.

(٤) سبق تخريجه ص ٣٢٥.

ومنها ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**مَثَلُ الْمُنفِقِ وَمَثَلُ الْبَخِيلِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ، مِنْ لَدُنْ ثَدْيِهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلاَ يُنْفِقُ شيئًا ألا سبغت على جلده حتى تُواري بنانه وتعفو أثره**)[1].

ومنها ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**الصِّيَامُ جُنَّةٌ كَجُنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ**)[2].

ومنها ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى شَيْءٌ مِنْهُ تَدَاعَى سَائِرُهُ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ**)[3].

ومنها ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**مثل الذي استرد ما وهب، مثل الكلب يقيء فيأكل قيئه**)[4].

فهذه الأمثال ضربها رسول الله ﷺ ليريهم ما غاب عنهم بما حضر[5].

---

(١) رواه البخاري (٣/٣٥٨) الزكاة ح ١٤٤٤، ومسلم (٧/١٥٠) الزكاة ح ١٠٢١ .

(٢) رواه البخاري (٤/١٠٣) الصوم ح ١٨٩٤، ومسلم (٨/٣٢) الصيام ح ١١٥١ .

(٣) رواه البخاري (١٠/٤٥٢) الأدب ح ٦٠١١، ومسلم (٢٥٨٦) البر والصلة.

(٤) رواه أبو داود (٣٥٢٣ عون) البيوع، والنسائي (٦/٢٦٥) الهبة، وابن ماجة (٢٣٨٥)، وصححه الألباني.

(٥) الأمثال من الكتاب والسنة (٤٤).

[٥] التربية بدراسة تراجم العلماء والأعلام والأئمة الكرام

لا شك أن في دراسة تراجم العلماء الأفاضل وأصحاب المنن والفواضل فوائد فمن ذلك:

١- تربية شباب الصحوة الإسلامية على ما تربى عليه العلماء الأعلام، حتى ينسج على منوال الكرام، ويتبوأ منازل الخير والإنعام، فيقرأ سيرهم من لم يعاين صورهم، ويشاهد محاسنهم من لم يعاصرهم، فيعرف مناصبهم ومراتبهم، فَيُجد في الطلب ليلحق بهم ويتمسك بهديهم.

٢- ومن ذلك أن المسلم تجتمع له خلاصة التجارب وعصارة الأفكار والمواقف، فيأخذ بالحسن ويجد في الطلب، فكأنه يضم عمر غيره إلى عمره:

إذا علم العبد أخبار من مضى تَوَهَّمْتَه قد عاش من أول الدهر
وتحسبه قد عاش آخر عمره إذا كان قد أبقى الجميل من الذكر
فقد عاش كل الدهر من كان عالمًا حليمًا كريمًا فاغتنم أول العمر

٣- ومن ذلك معرفة شرف العلم وحملته، فإذا كان أهل التجارات قد شغلوا أنفسهم بالتجارة، والملوك شغلوا أنفسهم بأمور الملك، فإن العلماء قد شغلوا أنفسهم بحراسة دين محمد ﷺ، وإحياء سنته ونشر شريعته.

قناديل دين الله يسعى بحملها رجال بهم يحيا حديث محمد
هم حملوا الآثار عن كل عالم تقي صدوق فاضل متعبد
محابرهم زهر تضيء كأنها قناديل حَبْر ناسك وسط مسجد
تساق إلى من كان في الفقه عالمًا ومن صنف الأحكام من كل مسند

٤- ومن هذه الفوائد أن يزداد حب المسلم للعلماء الأعلام، وقد قال النبي ﷺ : (المرء مع من أحب)، فطوبى لمن أحب أهل العلم والشرف الدائم والعز الباقي.

٥- ومن ذلك نشر علمهم، والاستفادة بفقههم، والاعتبار بمواعظهم ونصائحهم.

٦- ومن ذلك أن الرحمات تتنزل عند ذكر الصالحين.

٧- ومن ذلك أن ننزل أنفسنا المنازل اللائقة بها، كما قال بعضهم: «إذا ذكر السلف افتضحنا».

٨- ومن ذلك أننا في أزمنة غابرة متأخرة عز فيها العلماء العاملون فدراسة تراجم العلماء الأعلام والأئمة الكرام، يعوض شيئًا من هذا النقص، ويجبر شيئًا من هذا الفقر.

٩- ومن ذلك أن المسلم قد تتجدد له همَّةٌ فيلحق ولو بساقة القوم أو يجد أثرًا من غبارهم.

إذا أعجبتك خصال امرئ فكنها تكن مثل ما أعجبك
فليس على الجود والمكرمات إذا جئتها حاجب يحجبك [1]

(١) بتصرف من مقدمة المؤلف لكتاب «من أعلام السلف» (١/٩-١١) ط. دار الإيمان بالإسكندرية.

وقد ذكرنا من وسائل التربية: التربية بالقدوة، وقد قيل: حياة رجل في ألف رجل، خير من نصح ألف رجل لرجل. ولكن إذا عز في زماننا من يصلح لأن يكون قدوة في العلم والعمل والصفات الجميلة والأخلاق النبيلة فالتماس القدوة من سير السالفين، وأخبار العلماء العاملين لا شك إن لم يقم مقام القدوة الحاضرة المشاهدة، فإنه يؤدي شيئًا من معناه، فدراسة أخبار السلف وسيرهم من الطرق التربوية الناجحة، إذ النفس تتشوق للكمال وتتطلع إليه عند سماع أخبار العلماء الربانيين من عباد الله، كما أنها تثور فيها نوازع الشر، وتتحرك فيها الشهوات عند سماع أخبار أهل الدنيا وأصحاب الشهوات، والنفس بطبيعتها عندها استعداد للخير والشر، كما قال تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ [الشمس: ٧-١٠].

ومن فضل الله عز وجل علينا وعلى الناس أن دُوِّنَ تاريخ أمتنا، وتُرْجِمَ لرجاله، وكما أن تاريخ الإسلام حافل زاخر بالأحداث العظيمة والمواقف الشريفة التي تفتخر به الأمم والشعوب فهو كذلك حافل زاخر بالشخصيات الفذة والقمم العالية وأكابر الرجال الذين يمثلون عظمة الإسلام، ويصدقون دعوة النبي ﷺ، قمم في العلم والعبادة والخشية والثبات والتضحية وغير ذلك من الفضائل الحميدة، والخصال المجيدة، التي تكون كالمصابيح المضيئة، والرايات المنشورة أمام شباب الصحوة المباركة، فهم أسوة وقدوة، وطاقة للخير، والحض عليه، والله الموفق.

الفصل السابع

التطبيق العملي التربوي

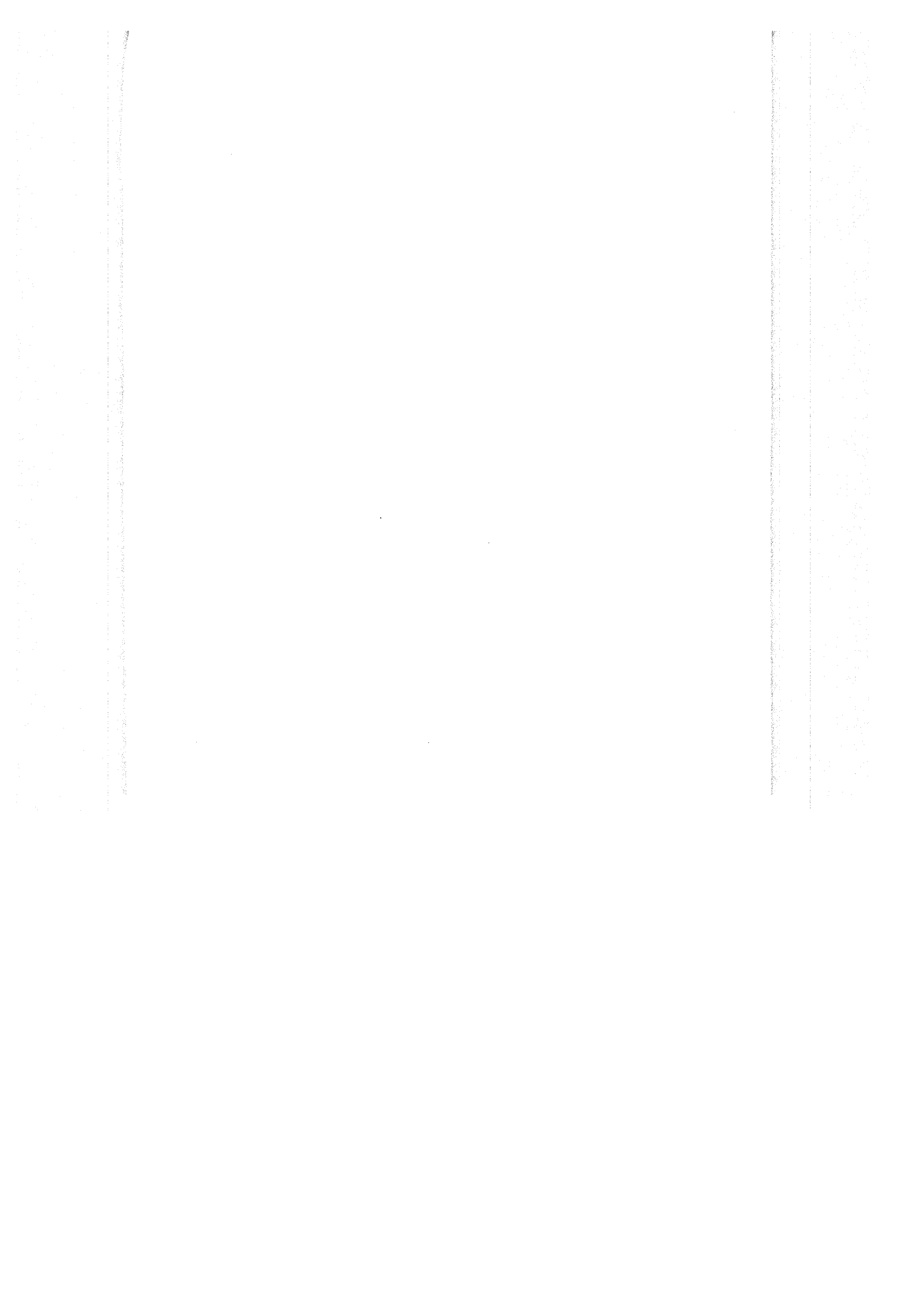
ويشتمل على:

١ - اختيار المربين والارتقاء بأحوالهم العلمية والإيمانية.

٢ - منهج التربية الفردية.

٣ - منهج التربية في وحدة النشاط (المسجد).

٤ - المنهج العام للتربية.



الفصل السابع

التطبيق العملي التربوي

ويقصد بهذا الفصل إبراز المنهج التربوي، وجعله واقعًا عمليًا يستفيد منه شباب الصحوة، وتتخرج به الأجيال التي يرجى أن ترتفع بهم راية الإسلام، ويعلو دين الملك العلام، وبتعبير آخر تتخرج به الأجيال التي يتحقق فيها شرط الله عز وجل: من الإيمان والعمل الصالح، ومحبة الله عز وجل، والرغبة في الجهاد لإعزاز دينه، فتستحق بذلك أن يتنزل عليها نصر الله عز وجل. وبتعبير آخر أيضًا تتخرج الأجيال على النمط الصحيح والمنهج الطيب، على نمط الصحابة ﷺ، تتوفر فيهم أخلاق النصر، ومؤهلات قيادة البشرية.

ولا شك في أن هذا الجانب التطبيقي العملي محل اجتهاد، فمهما وجدت طرائق مشروعة موصلة إلى المقصود من تربية جيل على نمط الجيل الأول، فعلى القائمين على الدعوة أن يجتهدوا في سلوكها، وليست هناك طرائق يتعين علينا سلوكها وعدم الزيادة عليها، ولكن المحظور سلوك طرائق مخالفة لشرع الله عز وجل بدعوى نشر الدعوة، وتحبيبها إلى الناس. كإقامة المسرحيات الإسلامية كما يزعم البعض، وليست من الإسلام في شيء، ولا من هدي النبي ﷺ في ظل ولا فيء، وإن أطلقوا عليها إسلامية فأصل التمثيل قائم على الكذب والزور. هذا إذا خلا من المحظورات الآخرى، كاختلاط الرجال بالنساء،

أو تبرج النساء. ومن هذه الوسائل المحظورة أيضًا الإكثار من الإنشاد وشغل الرجال والنساء به، وقد يبدو المنشد وهو حليق اللحية إلى حد فيه تشبه بالنساء، وكذا إنشاده بتكسير وخضوع يشبه إلى حد كبير غناء الفساق، وقد يصحبه الدف أو ما هو أكثر من ذلك مما تنفر منه النفوس المؤمنة، التي تربت على الهدي النبوي المبارك، وألفت الصحيح الثابت عن النبي ﷺ.

[١] اختيار المربين والارتقاء بأحوالهم العلمية والإيمانية

فأول خطوة من خطوات التربية الجادة على منهج السلف ﷺ اختيار من يقومون بهذه التربية، والارتقاء بأحوالهم العلمية والإيمانية، ويراعى في انتقاء من يقوم بهذه المهمة الصعبة من توفرت فيه شروط أو صفات معينة.

١- فمن هذه الشروط أن يكون ممن يتمتع بالعقيدة الصحيحة السلفية أي التي مضى عليها سلف الأمة ﷺ.

٢- ومن هذه الشروط كذلك أن يكون صحيح الفكر، على قدر من معرفة المفاهيم الصحيحة التي بيناها في التربية الفكرية، وكذا ليست عنده مفاهيم خاطئة كما هو مبين كذلك.

٣- ومن ذلك أن يكون ممن يُشْهَد له بالخلق الحسن، ولين الجنب، وطيب العشرة.

٤- ومن ذلك أن يكون حسن السمت، يلتزم بالهدي الظاهر، لأنه سوف يكون ممن يُقتدى به. عن موسى بن أعين قال: قال لي الأوزاعي: يا أبا سعيد كنا نمزح ونضحك، فأما إذا صرنا يُقتدى بنا ما أرى يسعنا التبسم.

٥- ومن ذلك أن يكون محافظًا على صلاة الجماعة، مداومًا على حضور دروس العلم.

٦- ومن ذلك أن يكون ممن له اهتمام واتصال بالقرآن وتجويده.

٧- ومن ذلك أن يكون ممن يكثر من النوافل بعد استكمال الفرائض، فيجلس في مصلاه من صلاة الصبح إلى ارتفاع الشمس، ثم يصلي سنة الضحى، وكذا المحافظة على أذكار طرفي النهار، وأذكار النوم، والاهتمام بصيام النوافل، وقيام الليل، وغير ذلك من نوافل الطاعات.

٨- ومن ذلك أن يكون ميسور الحال، غير مشتغل بأعمال الدنيا والاستكثار من أعراضها، فلا يكون مهمومًا بلقمة العيش، والسعي وراءها أو مثقلاً بالديون.

٩- ومن ذلك أن يكون ممن له خبرة دعوية، وكذا خبرة في معاملة الناس، واكتساب ودهم ومحبتهم.

١٠- ومن ذلك أن يكون صحيح الولاء لمنهج أهل السنة والجماعة، وليست عنده عصبية لأفراد بأعيانهم، أو جماعة بعينها من جماعات الدعوة الإسلامية.

١١- ومن ذلك أن يكون عنده حس أمني، وخبرة حتى يصل بمن معه إلى بر السلام، ولا يعرضهم لمخاطر أمنية فتضيع الجهود بلا طائل.

١٢- ومن ذلك أن يكون عنده شغف بالكتب، ورغبة في اقتنائها والاستفادة منها.

١٣- ومن ذلك أن يكون له وجاهة في مسجده. أو حيه أو عمله، حتى يُقبل قوله وينتفع بنصائحه.

فهذه جملة شروط أو صفات ينبغي أن تراعى قدر الإمكان في اختيار من يكلف بمهمة التربية.

ولا شك في أن توفر كل هذه الشروط عزيز، فينبغي اختيار الأمثل فالأمثل، ثم الواجب بعد اختيار أفضل الإخوان الارتقاء بأحوالهم العلمية والإيمانية، وذلك عن طريق الدورات المكثفة، والمعسكرات التربوية، والقرب من العلماء العاملين والدعاة المخلصين، فإن القرب من العلماء والدعاة من أسباب الرقي الإيماني، كما يقول أنس رضي الله عنه: «مَا نَفَضْنَا أَيْدِينَا مِنْ دَفْنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا»(١).

كما ينبغي أن ييسر لهؤلاء المربين الكتب والأشرطة اللازمة كذلك لرقيهم العلمي والإيماني، ومن أولى ما يتم توفيره ودراسته للمربين الكتب التي تعتني بالتربية، وكذا كتب العقيدة والفكر الصحيح، وإنما ظهرت حاجتنا لإعداد مجموعة من المربين لندرة العلماء العاملين وعزتهم في هذه الأزمنة الغابرة، وقد كان الطلاب يتلقون من شيوخهم العلم والأدب والسمت والورع، حتى اندثرت مجالس العلم أو كادت، وتشيخت الصحف، وتتلمذ كثير من الطلاب على الكتب، أو أمثالهم من طلاب العلم، فافتقد الناس القدوة في العلم والعمل، فلجبر هذا النقص وتعويض هذا الفقر يرتقي بأحوال أمثل الموجودين من طلاب العلم، ويهتم بهم اهتمامًا خاصًا حتى يأخذوا بأيدي إخوانهم، ويهدوهم إلى الاستقامة على الصراط المستقيم والله الموفق.

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٤١ .

[٢] منهج التربية الفردية

يقول الدكتور / عدنان علي رضا النحوي:

لكل مسلم دور وواجب ومسئولية، وهناك حد أدنى من المسئوليات يشترك فيه المسلمون جميعًا، ثم تنمو المسئوليات مع نمو الوسع والطاقة، حتى إذا أصبح المسلم داعية لله ورسوله منطلقًا من إيمانه وعمله ويقينه، فلا حق له إلا أن يعتبر قضية الإيمان والتوحيد والدعوة هي القضية الكبرى الخطيرة في حياته، ثم تليها سائر القضايا حسب وزنها ومنزلتها في منهاج الله.

تحديد المسئوليات والواجبات تحديداً واضحًا هو نقطة الانطلاق في الموازنة الأمنية لتنظيم الوقت، ثم تحديد منزلة كل مسئولية وأهميتها على أساس من ميزان رباني دقيق يفصله منهاج الله.

إن الخطوة التالية الواجبة هي وضع خطة يومية لحياته ومسئولياته، ينظم بها ما سيقوم به في يومه، ثم خطة أسبوعية لنشاطه وعمله، وإن استطاع خطة شهرية، ثم الخطة السنوية. فإذا لم يلتزم المسلم بخطته اليومية وخطته الأسبوعية والسنوية، فكيف يستطيع أن ينظم وقته وجهده وعطاءه.

ولقد نظم الإسلام حياة الإنسان المسلم كلها، حدد موعد نومه واستيقاظه وقيامه في الليل وسعيه وبذله وإنفاقه وجهاده، حدد له منهج حياة متكاملة حتى إذا وعاه ووعى واقعه وضع خطته على أساس

من ذلك، على أساس الركنين الأساسين في النظرية العامة للدعوة الإسلامية: المنهج الرباني والواقع[١].

وقال حفظه الله:

يحسن بالمسلم أن لا يباشر أعماله اليومية قبل أن يضع خطته اليومية، تبدأ الخطة اليومية بصلاة الفجر في المسجد، ثم بالأدعية المأثورة، ثم بما هو مقرر في منهاجه الفردي، ثم أعمال بيته ووظيفته، ودينه، ثم يرتب هذه الأعمال كلها في خطة مدونة مكتوبة بصورة واضحة ومرتبة، ولو نظر المسلم إلى الساعات التي تفلت منه هدراً في قضايا تافهة، أو في لهو ممتد وتراخ طويل، لأذهله الأمر. ولو نظر المسلم إلى الأخطاء التي يقع فيها لعدم توفر الخطة لديه لأذهله الأمر كذلك.

إن وضع الخطة اليومية يزيد الإنتاج ويوفر الوقت، ويقلل الأخطاء، وبغيرها سيظل المسلم يتخبط في فوضى واضطراب.

الخطة الأسبوعية: إنها الخطة التي يوزع المسلم بموجبها المنهاج الفردي على أيام الأسبوع، وهي جزء لا يتجزأ منه، إن تنفيذ المنهاج الفردي دون هذه الخطة الأسبوعية ضرب من العبث وإضاعة الجهد.

إن الخطة الأسبوعية توزع البنود التي يلتزمها المسلم من منهاجه الفردي على أيام الأسبوع كلها على ضوء واقعه وعمله ومسئولياته[٢].

---

(١) بتصرف من منهج المؤمن بين العلم والتطبيق (٢٠٠، ٢٠١) الطبعة الخامسة، دار النحوي للنشر والتوزيع.

(٢) السابق باختصار (١٩٢، ١٩٣).

وقد بينا في الشق العلمي من هذا البحث أن المقصود بالتربية العمل على إنشاء لبنات تصلح لإقامة بناء الإسلام من جديد، أو تربية أفراد على نمط الصحابة ﷺ في المعتقد والأحوال الإيمانية، وفهم الكتاب والسنة، وكذا الأخلاق والسنن النبوية، فلا بد من سلوك كل طريق مشروع يوصل إلى ما نهدف إليه، فهناك مسئوليات على الفرد نفسه في واجب التربية، ومسئوليات على إمام المسجد أو مسئول التربية بالمسجد، وكذا مسئوليات على من يوجه الدعوة ويمسك بزمامها، ومهما قام الجميع بالمسئوليات المطلوبة منهم تحقق الهدف المنشود، ومهما قصر الأفراد أو المسئولون يظهر خلل تربوي بقدر التقصير الحاصل، ونحن نتكلم في هذا الباب على الواجب التربوي، أو المنهج التربوي الواجب على الأفراد القيام به، بغض النظر عن الواجبات التربوية الأخرى التي قد يطلب منهم القيام بها في التربية في المسجد أو عموم الدعوة، وليس المقصود بالتربية الفردية تزكية النفس بالتوحيد والعبادات، فبين التربية والتزكية عموم وخصوص، فالتزكية جزء من التربية، ولكن لا تكفي مجرد تزكية النفوس لإنشاء جيل يحمل راية الإسلام من جديد، ويقيم خلافة على منهاج النبوة، فالتربية عمومًا لها ثلاثة مجالات على سبيل الاجتهاد لا القطع:

الأول: المجال العلمي، ويقصد به التربية على العقيدة الصحيحة، وكذا التربية الفكرية، ومعرفة السنن النبوية والأخلاق المصطفوية، ولا يخلو نوع من أنواع التربية المذكورة آنفًا من الاحتياج إلى العلم.

الثاني: المجال التعبدي، ويقصد به في الدرجة الأولى التربية الإيمانية بالاهتمام بالصلاة والصيام والصدقة وسائر العبادات التي يرق بها القلب وتزكو بها النفس.

الثالث: المجال الدعوي، ويقصد به مشاركة الأفراد في الدعوة إلى الله عز وجل كل بحسبه، فمن كان عنده مؤهلات الدعوة والقدرة على القيام بها فعليه ألا يقصر في هذا الواجب، ومن لم يكن أهلاً لذلك فعليه أن يشارك في أنشطة الدعوة الأخرى بسحب ملكاته ومؤهلاته، وسوف نُلقي شيئًا من الضوء على هذه المجالات الثلاثة حتى يتضح لكل راغب ما هو منهج التربية الفردية.

١ - المجال العلمي للتربية الفردية: ويقصد به سلوك الطرق الموصلة للعلم الواجب، وكذا الترقي في العلوم الشرعية بحسب الاستعداد والطاقة.

- فمن ذلك أن يدرس المسلم العقيدة السلفية بأدلتها من الكتاب والسنة، مع معرفة الرد على العقائد الباطلة الشائعة في زمانه، حتى يكون على بصيرة، وينصح الأفراد بدراسة المصنفات التي اشتهر مصنفوها بالصيانة والديانة واتباع منهج السلف ﷺ، سواء من المتقدمين أو المتأخرين، ولا بأس بدراسة كتب العقيدة المسندة المتقدمة لمن كان أهلاً للنظر فيها.

ومن لم يكن أهلاً لذلك فكتب المتأخرين قد تكون أسهل تناولاً، وأيسر للطالبين، فيبدأ بها ثم يترقى إلى كتب المتقدمين. وننصح الآتية: الثمرات الزكية في العقائد السلفية، ومعارج القبول ومختصره، وفضل الغنى الحميد.

– ومن ذلك أن يكون للفرد المسلم حظ ونصيب من تعلم علم التجويد، لا يطلب من جميع الأفراد أن يكونوا متخصصين في علم التجويد، ولكن مع وجود القدر الكافي منهم يكون عند كل فرد قسط من هذا العلم الشريف، وكذا حظ من القرآن العظيم من حفظه وتلاوته ودراسة تفسيره وعلومه، ولا نبالغ فنشترط على كل فرد أن يختم القرآن قبل تعلم العقيدة وفقه العبادات الواجبة، فقد لا يتمكن الشخص لمشاغله أو ضعف حافظته من تحصيل هذا الشرط، فيحرم من بقية العلوم الشريفة، وفيها ما هو واجب عيني، كعلم العقيدة وفقه العبادات الواجبة عليه، وننصح في علم التجويد بكتاب علم التلاوة.

– ومن ذلك أن يدرس المسلم كتابًا من كتب الفقه الميسرة تكون مفتاحًا لبقية كتب الفقه، وإن درس الطالب كتابًا من كتب فقه الحديث كسبل السلام أو نيل الأوطار أو فتح الباري فلا بأس بذلك، وإن درس كتابًا من كتب فقه المذاهب فلا بأس أيضًا، ولكن ليحذر من التعصب المذهبي، وهو أن يكون حبه لإمام هذا المذهب وانتصاره لمذهبه، وإن خالف ما صح عن النبي ﷺ فإن هذا لا يُرضي الله عز وجل ولا رسوله ﷺ بل لا يُرضي إمام المذهب الذي حن إليه، وقدم كلامه على ما صح من سنة رسول الله ﷺ .

– ومن ذلك أن يدرس كتابًا في الفكر السلفي، كجلاء العينين في محاكمة الأحمدين، أو غاية الأماني في الرد على النبهاني، أو صيانة الإنسان من وسوسة الشيخ دحلان، أو الأصول العلمية للدعوة السلفية، أو محاضرات في السلفية، أو قواعد المنهج السلفي، أو خصائص أهل السنة والجماعة، ويتربى تربية فكرية صحيحة.

– ومن ذلك أن يدرس كتابًا مبسطًا في الأصلين: أصول الحديث، وكذا أصول الفقه، وينصح بنظم الدرر، أو تيسير مصطلح الحديث، أو نزهة النظر، وفي أصول الفقه الواضح للأشقر، أو الوجيز لعبد الكريم زيدان، ومما ينبغي الاهتمام بدراسته: علم التفسير، وينصح بقراءة مقدمة في علم التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكذا مقدمة الإمام ابن كثير للتفسير، والتبيان في آداب حملة القرآن للنووي، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، أما كتب التفسير التي ينصح بدراستها فتفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، وكذا محاسن التأويل للقاسمي، ولا يستغني طالب العلم كذلك عن كتاب أضواء البيان للشنقيطي رحمه الله، فلا بد أن يكون للفرد المسلم برنامج علمي يسعى به في تثقيف نفسه والارتفاع بها عن مجانسة البهائم، والتنزه بها عن الجهل.

ولا شك في أن التحصيل من الكتب قد يكون فيه صعوبة، ولكن ينبغي على الطالب أن يستعين بمن يثق فيه من أهل العلم على توضيح ما أشكل عليه، ولا ينسى المسلم كذلك حظه من دروس العلم، وخاصة دروس العلماء والدعاة الذين صفت مشاربهم وصحت عقيدتهم ودعوتهم، وبخاصة الدروس المنهجية التي يدرس فيها كتاب بعينه أو مادة علمية محددة، فإن هذا يسهل كثيراً على الطالب دراسة العلم والله الموفق.

٢- المجال التعبدي: ونقصد به أن يكون للفرد المسلم برنامج تعبدي يسير عليه، ويزداد به إيمانًا ورفعة ودرجة في الدنيا والآخرة، فلا يليق بالمسلم الملتزم أن يكون ممن يتخلف عن صلاة الفجر، فالأصل عنده أنه يصلي بعد الشروق، أو يقصر في الحفاظ على الجماعة، أو على حضور تكبيرة الإحرام، وهذه أيضًا نصائح في التربية في المجال التعبدي الفردي:

- فمن ذلك تعظيم الصلاة، لأنها أم العبادات وسيدة الطاعات، فيحرص المسلم على أدائها في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي، في أول الوقت وفي الجماعة، مع استكمال الركوع والسجود والخشوع، عن سعيد بن المسيب أنه قال: ما فاتتني الصلاة في الجماعة منذ أربعين سنة. وعنه قال: ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد. وقال بعضهم: إذا كان الرجل لا يبالي بتكبيرة الإحرام فاغسل يديك منه.

- ومن ذلك أن يخرج العبد زكاة ماله طيبة به نفسه، فإن لم يكن له مال تجب فيه الزكاة فعليه أن يتطوع في أوجه الخير والبر، فقد كان الواحد من الصحابة يعمل بيديه من أجل أن يكتسب مالاً يتصدق به.

- ومن ذلك أن يكون للفرد المسلم حظ من الصيام، وذلك بأن يتعود على صيام ثلاثة أيام من كل شهر، أو صيام الاثنين والخميس، أو صيام يوم وإفطار يوم كما كان صيام داود عليه السلام وهو أحب الصيام إلى الله عز وجل.

- وأن يحج بيت الله الحرام إن كان يملك حد الاستطاعة، وهو الزاد والراحلة، ثم يتقرب ويتنقل بالإكثار من التردد على الأماكن المقدسة للحج والعمرة وزيارة المسجد النبوي، فقد قال النبي ﷺ: **(العُمْرَةُ إلى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لما بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إلاَّ الجَنَّةُ)** [١].

- ومن ذلك أن يكون له حظ من قيام الليل، فقد قال النبي ﷺ: **(أَفْضَلُ الصَّلاةِ بَعْدَ المَكْتُوبَةِ قِيَامُ اللَّيْلِ)** [٢] وورد مرفوعًا وموقوفًا: **(عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة للإثم)** [٣].

- من ذلك أن يحافظ المسلم على الأذكار الموظفة، وغير الموظفة، كأذكار طرفي النهار، وأذكار النوم، وخاصة في الأوقات التي يكره فيها مطلق التنفل بالصلاة، ويستحب فيها كثرة الذكر، كالوقت الذي بعد صلاة الفجر حتى ارتفاع الشمس، وبعد العصر حتى الغروب.

- ومن ذلك أن يتحرى المسلم أوقات الإجابة، فيجتهد في الدعاء كيوم عرفة من السنة، وليلة القدر من بين الليالي، والثلث الأخير من الليل، والوقت بين الأذان والإقامة، وتحري ساعة الجمعة.

- ومن ذلك الاجتهاد في الاستغفار، خاصة عند السحر، والإكثار من الصلاة على النبي ﷺ خصوصًا يوم الجمعة.

---

(١) رواه البخاري (٣/٦٩٨) العمرة ح ١٧٧٣، ومسلم رقم (١٣٤٩) الحج.

(٢) رواه مسلم (٨/٥٥) الصيام ح ١١٦٣، وأبو داود (٤١٢ عون) الصوم، والترمذي (٢/٢٢٧ عارضة) الصلاة، والنسائي (٣/٢٠٧) قيام الليل.

(٣) رواه الترمذي (٣٨٠١ شاكر) الدعوات، وحسنه الألباني في الإرواء رقم (٤٥٢) وكذا صحيح الترمذي (٢٨١٤).

– ومن ذلك أن يكون له وقت في الأسبوع لصلة أرحامه، ودعوتهم إلى الخير وكذا الدعاء لوالديه.

وبعد، فهذه جملة من العبادات والطاعات ينتعش بها الإيمان، وتترعرع شجرته في قلب المؤمن، ويزداد بها تحببًا إلى الله عز وجل.

٣– المجال الدعوي: وهو أيضًا من مجالات التربية الفردية. ومن مارس الدعوة إلى الله عز وجل يعرف كيف يزداد الإيمان بالدعوة، وكيف يثبت به العبد على طريق الله عز وجل، وقد قال النبي ﷺ: **(نَضَّرَ اللهُ امْرأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَبَلَّغَهُ إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ)**[1].

ونضارة الوجه ثمرة من ثمرات نضارة القلب بزيادة الإيمان، ولا يطلب من كل مسلم أن يكون خطيبًا أو محاضرًا، فما قال النبي ﷺ: «نضر الله امرأً خطب خطبة، أو أعطى محاضرة»، ولكن قال: **(نَضَّرَ اللهُ امْرأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَبَلَّغَهُ إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهُ)**. وتبليغ حديث النبي ﷺ يقدر عليه كل أحد، وكذا يمكن للمسلم أن يأخذ بيد أخيه أو صديقه أو جاره إلى دروس العلم، حتى يذوق حلاوة الإيمان، ويجد السكينة والرحمة في مجالس العلم، ومن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، والدال على الخير كفاعله، وكذا يمكنه أن يعطي أخيه المسلم شريطًا سمعه فانتفع به، أو كتابًا رق به قلبه وازداد به علمه وإيمانه، فالدعوة ليست قاصرة على الخطباء والوعاظ، ولكن

---

(١) سبق تخريجه ص ١٥٦.

كل مسلم ينبغي أن يكون له مشاركة في الدعوة بحسب ما وهبه الله عز وجل من ملكات ومؤهلات، ومن قدر على واجب وفعله كان خيراً ممن تركه وإن كان معذوراً في تركه، وكذا اشتغال المؤمن بمهام الدعوة يجعله يحمل هم الإسلام، ويشغل قلبه وعقله وجوارحه عن الاشتغال بالحرام، ويقيدها بطاعة النبي ﷺ، ونحن في أزمنة عز فيها من يعمل بطاعة الله عز وجل، وكثرت فيها أمواج الشبهات والشهوات، وأعرض أكثر الناس عن طاعة رب الأرض والسموات.

[٣] منهج التربية في وحدة النشاط (المسجد)

والمقصود بهذا الباب بيان النشاط التربوي الذي يمكن أن يقوم به المسجد التابع للدعوة، وقد بينا في بداية الفصل الحاجة إلى وجود مسئول تربوي بالمسجد، وقد تكون هذه المسئولية على إمام المسجد أو يختار الإمام من يتفرغ لهذه المسئولية التربوية، وقد بينا كذلك من يختار لهذه المسئولية، وكذا ما ينبغي على القائمين على الدعوة من الارتقاء بأحوال الذين يقومون بهذه المهمة، فما هي مهمات مسئول التربية؟ **وما هي الوظائف التي يمكنه القيام بها في المسجد؟**

١- فمن مسئولياته أن يتابع أحوال إخوانه بالمسجد من حيث المواظبة على الجماعة، ودروس العلم، والمشاركة في أنشطة المسجد المختلفة، فإذا افتقد أحداً منهم بادر بالسؤال عنه، أو أرسل من يسأل عنه، فإن كان مريضًا عاده، أو مشغولاً بما يمكنه إعانته أعانه، وإن وجده في حال فترة وزهد في الخير ورغبة في التفلت من الالتزام والطاعة أخذ بيده، وحبب إليه الرجوع إلى الطاعة، وأعانه بشريط أو رسالة تدعوه إلى الإيمان والالتزام، وأوصى إخوانه بزيارته والسؤال عنه قبل أن يبتعد كثيراً عن الإيمان والدعوة وتزداد صعوبة عودته مرة ثانية.

٢- ومن مسئولياته أن يتفقد وجوه الإخوة بالمسجد فإن وجد وجهًا جديداً بادر بالتعرف عليه، وعلى عنوانه وعمله وعرفه بإخوانه، وأبدى له اهتمامًا خاصًا ومتابعة حتى يقوى عوده في الإيمان،

ويزداد محبة لدين الرحمن، وعليه كذلك أن يهدي له بعض الأشرطة والرسائل التي تزيده قربًا وحبًا، وتعرفه بالدعوة حتى يتم ولاؤه وانتماؤه إلى دعوة التوحيد، ويزداد رفعة وشرفًا بمعرفة العزيز المجيد.

٣- ومن مسئولياته أن يُنشئ علاقة مودة ومحبة مع إخوانه بكثرة السؤال عنهم، ومشاركتهم في السراء والضراء، وقضاء حوائجهم ومعونتهم بما أمكنه من الخير والجهد.

٤- ومن مسئولياته تجديد وتعديد اللقاءات الإيمانية التي يزداد فيها هو وإخوانه معرفة وإيمانًا، وذلك بدعوتهم إلى الصيام والالتقاء على الإفطار بالمسجد، أو بأحد بيوت إخوانه، وكذا انتهاز فرص اجتماع الإخوة لقيام الليل، والمحظور هو جمع الناس لقيام الليل، ولكن إن اتفق اجتماع الإخوة للإفطار، أو لدرس من دروس العلم فلا بأس بصلاة قيام الليل، حتى ينشط من يتكاسل عن هذه العبادة، ويزداد الذين آمنوا إيمانًا.

٥- ومن مسئولياته تواجد حلقة تلاوة بالمسجد يتصدرها من هو أهل لتعليم التجويد، سواء من المسجد أو بالاستعانة بأحد الإخوة أو الشيوخ من خارج المسجد، حتى يقوم بهذه المهمة، ويكون الاهتمام الأكبر بحديثي العهد بالالتزام، لأنهم مظنة قلة البضاعة في القرآن، والجهل بأحكام التجويد.

٦- ومن مسئولياته إرشاد إخوانه إلى الاهتمام بحضور دروس العلم بالمسجد، وكذا حثهم على الخروج لطلب العلم ومجالسة أهل العلم في المساجد الأخرى، حتى تتربى عندهم الهمة في طلب العلم، فقد

قال أبو العالية - أحد التابعين -: «كنا نسمع عن أصحاب رسول الله ﷺ فما أقنعنا ذلك حتى رحلنا إليهم، واستمعنا منهم».
وينبغي على المسلم أن يكون عالي الهمة في الطلب، فقد سافر أحد الصحابة ﷺ شهراً لسماع حديث بعلوٍ من صحابي آخر.

٧- ومن مسئولياته تنشيط الإخوة دائمًا بالمسجد، وشغلهم بأعمال إيمانية دعوية، حتى تكثر معاشرتهم لإخوانهم، وحتى يصونهم عن الاشتغال بالدنيا وسفاسف الأمور، وذلك بإعداد ندوات عامة في المسجد، والدعوة إليها، وكذا الإعداد لرحلات هادفة، أو أيام إسلامية يعد برنامجها ويتدرب فيها الإخوة كيف يعيشون يومًا إسلاميًا كاملاً بالمحافظة على فرائضه، والاهتمام بنوافله، وحتى يسعدوا بالمجتمع الإسلامي الصغير، حتى يتم الله عز وجل عليهم نعمته ويمتعهم بالمجتمع الإسلامي الكبير.

٨- ومن مسئولياته أن يكون هو ومن معه من أهل الهمة في العبادة والطاعة، نواة خير وبركة، فيجلسون في المسجد بعد صلاة الفجر إلى ارتفاع الشمس ثم صلاة سنة الضحى، وكذا بعد العصر أو قبل المغرب لأذكار المساء، وكذا التبكير لصلاة الجمعة في الساعات الأولى، وتحري ساعة الإجابة في آخر ساعة من عصر يوم الجمعة. فهم يذكرون الناس وينشطونهم بأقوالهم وكذا بالمسابقة إلى الطاعة والعبادة، حتى يكونوا أسوة في الخير.

٩- ومن مسئولياته أن يقوم هو أو يكلف من يقوم بتدريس كتاب تربوي عقب بعض الصلوات، كصلاة العشاء أو صلاة الفجر، ولو لدقائق معدودة، ككتاب رياض الصالحين، أو زاد المعاد، أو مختصر منهاج

القاصدين، أو البحر الرائق في الزهد والرقائق. وكان أحب العمل إلى رسول الله ﷺ أدومه وإن قل، لأن القليل بالمداومة عليه يصير كثيراً، والله تعالى يحب أن يوالي فضله ويديم إحسانه، فيحب من العبد أن يداوم على الطاعة حتى يدوم الفضل عليه من الله عز وجل.

١٠- ومن مسئولياته تنظيم خروج بين الحين والآخر لزيارة المستشفيات لعيادة المرضى ودعوتهم إلى الطاعة والخير، وتعليمهم صلاة وطهارة أصحاب الأعذار، ومساعدة المحتاجين منهم، وتقديم الهدايا من الكتب والأشرطة والأطعمة لهم، وكذا زيارة المقابر فقد قال النبي ﷺ: (**كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة**) (١).

١١- ومن ذلك الاهتمام بجيران المسجد، وتذكيرهم بفضل الجماعة، وفضل حضور دروس العلم، والمشاركة في الخير، وتهنئتهم في المناسبات، ومواساتهم في الملمات.

١٢- ومن ذلك تنظيم بعض المسابقات في الرياضة المباحة أو المستحبة بين أفراد المسجد، فيكون في ذلك ترفيهاً مباحاً لهم، وتدريباً على الرياضة، والإعداد البدني.

وبعد، فهذه جملة من مهمات مسئول التربية بالمسجد يظهر فيها بجلاء الأنشطة التربوية التي تقام في المسجد، وأكثر ما ذكرنا إن لم يكن جميعه قد جُرِّب بفضل الله عز وجل في مساجد الدعوة، وأعطى ثمرة طيبة، والله الموفق للطاعات، والهادي لأعلى الدرجات.

---

(١) رواه ابن ماجة (١٥٧١) الجنائز من حديث ابن مسعود ﷺ، ولمسلم بنحوه من حديث بريدة (٩٧٧) الجنائز.

[٤] المنهج العام للتربية

والمقصود بالمنهج العام للتربية المنهج الذي تقوم به الدعوة للوصول إلى الهدف التربوي المنشود، وهو تربية جيل على النمط الأول، وعلى هدى الصحابة ﷺ، وإن كان المنهج الفردي، وكذا نشاط المسئول التربوي بالمسجد لا بد أن يكون كذلك بتوجيه من القائمين على الدعوة، فما الواجب على الدعوة في النشاط التربوي العام؟

١- لا بد أن تتبنى الدعوة منهجًا علميًا يدرس في مساجد الدعوة، حتى يثمر الثمرات المطلوبة، والمنهج العلمي من صميم المنهج التربوي. لأن المنهج التربوي يربي أفرادًا بعقائد صحيحة وفهم سليم للكتاب والسنة، فلا بد من اختيار كتب بعينها تدرس في مساجد الدعوة، أو يكلف بدراستها الذين ينتمون إلى الدعوة المباركة، ويشترط في هذه الكتب أن تكون أمثل الكتب، وأن تكون على مستوى الدعوة، وأن تكون لمن ينسب إلى الفهم الصحيح والعقيدة السليمة، وكذا ينبغي أن تكون أكثر من مستوى أو طبقة، فمن يدرس منهج المستوى الأول يترقى إلى الثاني ثم الثالث حتى يتأهل بعد ذلك لممارسة الدعوة على بصيرة، ويقبل تكليف الدعوة له بالبذل والجهد في المكان الذي تختاره الدعوة.

٢- لا بد أن تغرس الدعوة المفاهيم الصحيحة وما تتبناه من فكر ومعتقد ومواقف تجاه الواقع والأحداث الجارية في قلوب أبنائها، وأن توحد فكرهم، فيتربى الصغار على ما تربى عليه الكبار.

ويمكن للدعوة الوصول إلى هذا الهدف التربوي بأمور:

(أ) **الدوارت المكثفة:** ويقصد بها تحديد موضوع معين أو قضية مصيرية من قضايا الدعوة، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو الجهاد، أو التطرف، وإقامة مخيم لأئمة المساجد والدعاة الذين ينتمون للدعوة لعدة أيام، يحاضر في هذه الأيام شيوخ الدعوة، بعد تقسيم عناصر القضية عليهم، وفتح باب النقاش عقب كل محاضرة، للرد على الشبهات والتساؤلات، حتى يخرج الأفراد من المخيم وقد توافقت مفاهيمهم وأفكارهم مع أفكار شيوخهم.

(ب) **نشرات دورية باسم الدعوة** لتوحيد الفكر وبيان موقف الدعوة كذلك من الأحداث المتجددة حتى يكون للأفراد الذين ينتمون إلى الدعوة نفس مواقف القائمين عليها.

(ج) **مجلة تصدر باسم الدعوة** أو كتاب متعدد الموضوعات، أو مجموعة أبحاث ومقالات، ويتولى الإشراف عليها شيوخ الدعوة، ويكون في كل عدد مقال خاص بفكر الدعوة، وموقفها من القضايا، أو الأحداث المتجددة.

(د) **ندوات عامة** يعلن عنها في مساجد الدعوة في قضية من القضايا لبناء الفكر أو موقف الدعوة من أحداث الساعة، يحاضر في هذه الندوات أكثر من محاضر لتغطية الموضوع، ويعلن عنها في مساجد الدعوة بطريقة لائقة.

٣- إذا وجد خلل تربوي معين، أو هجمة شرسة على الدعوة والدعاة ينبغي أن يكون هناك توجيه عام لمساجد الدعوة، للتركيز على معالجة الخلل بالخُطَب، والدروس، والمحاضرات العامة، وكذا الرد على هجمات أعداء الإسلام والشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام من العلمانيين أو غيرهم.

٤- إقامة معسكرات تربوية يقصد بها تربية الناس على ما تربى عليه الصحابة ﷺ، فإذا كانت الدورات المكثفة لتوحيد الفكر ونشر الفكر الصحيح فهذه المعسكرات يقصد بها الارتفاع بالأحوال الإيمانية فنركز فيها على العبادات الواجبات والنوافل، وكذا التدرب على الالتزام بالأذكار الموظفة وغير الموظفة، والصيام، وكذا تعلم الآداب والسنن النبوية، والتخلق بالأخلاق المصطفوية، ولا بأس كذلك بأن يجمع المعكسر بين الهدف التعليمي والتربوي، ويحسن أن تكون هذه المعسكرات في الخلاء وبين أحضان الطبيعة، حتى ينال الإخوة حظًا من عبادة التفكر، وكذا يتعودون على الخشونة وترك التنعم والترفه، وتحمل المسئولية حيث يقومون بحراسة أنفسهم، وتجهيز طعامهم وأماكنهم، ولا بأس كذلك من التدرب على بعض الرياضة المباحة والترفيه المباح. وفي هذه المعسكرات يزداد تعايش الإخوة وترابطهم ومحبتهم في الله عز وجل، ويظهر فيها كذلك الكفاءات العلمية والقيادية والدعوية والرياضية المختلفة.

٥- تنظيم رحلات هادفة يقصد بها زيادة الترابط بين الإخوة، وتوثيق أواصر المحبة بينهم، والترويح المباح، وكذا إعطاء بعض الدروس التربوية عقب الصلوات، والرياضة المباحة، ويراعى في الرحلات أن تكون في أماكن خلوية خالية من الاختلاط الماجن واللهو والعبث.

كما يقصد بهذه الرحلات كذلك تأليف قلوب الإخوة الجدد، وليعلموا أن في ديننا فسحة، ولا شك في أن من أولى الأماكن، الأماكن المقدسة للحج والعمرة وزيارة المسجد النبوي، وكذا الرحلة للقاء بعض شيوخ الدعوة للاستفادة منهم، والتعرف عليهم.

٦- تنظيم قوافل للدعوة مع تجنب المحاذير التي تقع فيها بعض الجماعات من خروج من ليس أهلاً للدعوة يبث الأحاديث الضعيفة، ويكون ما يفسد أكثر مما يصلح، ويتجنب كذلك الكيفيات الثابتة، والمدد المحترمة للخروج كأنها من الشرع وليست منه، وكذا ترك تسمية هذا الخروج خروجًا في سبيل الله، لأن مصطلح «في سبيل الله» يطلق على الجهاد وليس الخروج للدعوة إلى الله عز وجل، وكذا ينبغي متابعة من يؤتى بهم إلى المسجد حتى لا يفترسهم الشيطان من جديد.

٧- ومما ينبغي أن تهتم به الدعوة نشر الأشرطة والرسائل والكتب التي تتبنى منهج السلف ﷺ، وأن توفرها للطلاب وعوام الناس بأسعار طيبة، أو توزع مجانًا بحسب الظروف والأحوال، وخاصة على الوعاظ والمشتغلين بالدعوة، والذين لا يتمكنون من شراء الكتب والأشرطة اللازمة، وقد قال النبي ﷺ: (مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فَقَدْ غَزَا)[١]،

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٥٨، ٥٩) الجهاد ح ٢٨٤٣، ومسلم (١٨٩٥) الإمارة.
قال النووي: أي حصل له أجر بسبب الغزو، وهذا الأجر يحصل بكل جهاد، وسواء قليله وكثيره، ولكل خالف له في أهله خير من قضاء حاجة لهم وإنفاق عليهم أو مساعدتهم في أمرهم، ويختلف قدر الثواب بقلة ذلك وكثرته. وفي هذا الحديث حث على الإحسان إلى من فعل المصلحة للمسلمين أو قام بأمر من مهماتهم. شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/ ٦٠، ٦١).

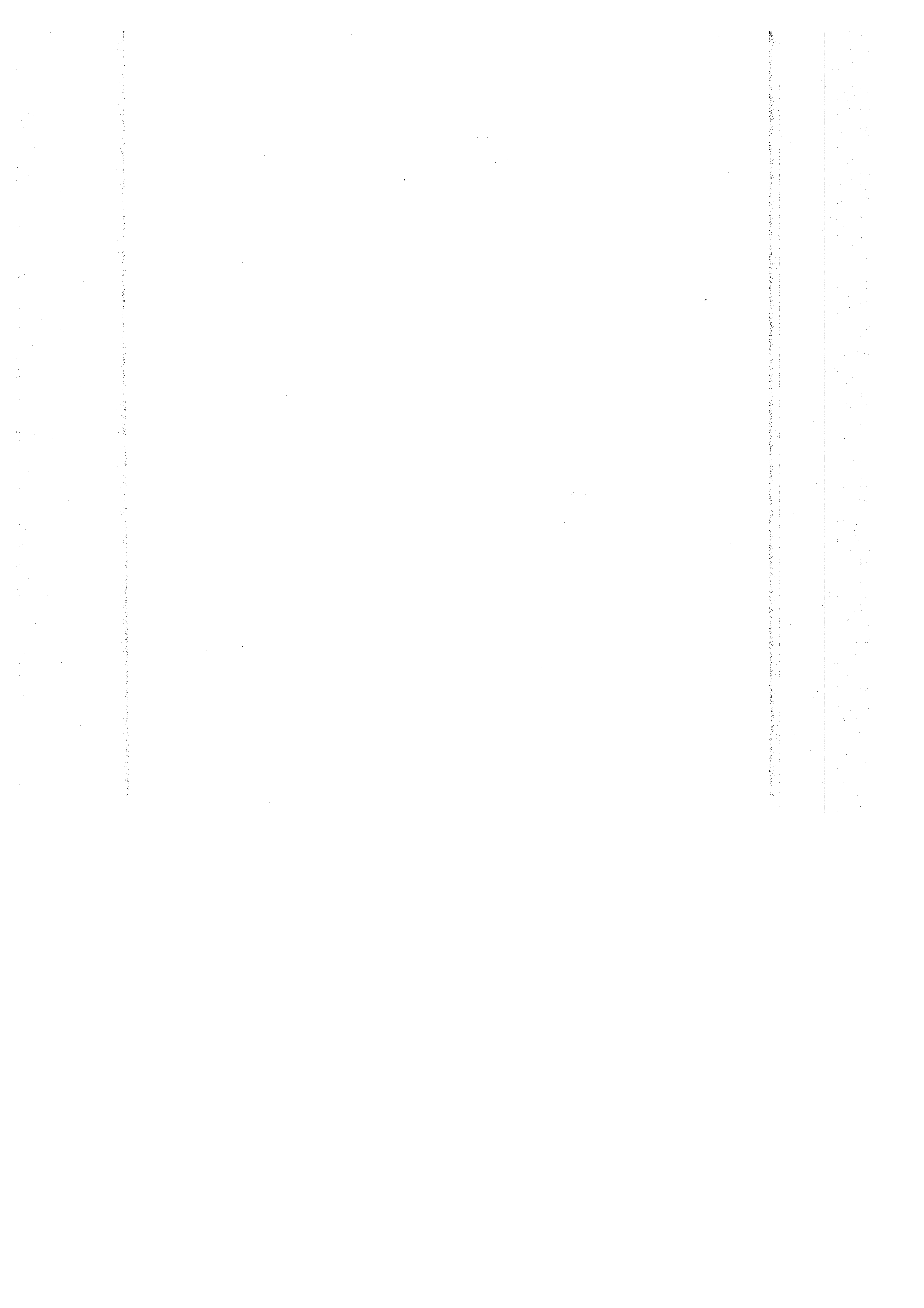
فالذي لا يستطيع أن يدعو بنفسه لفقد أهلية وملكات الدعوة يمكنه أن يعين داعية بمراجع أو أشرطة، فإن هذا يعود خيره وبره على عموم المسلمين، ويدخر الله عز وجل ثوابه وفضله لمن أعان عليه من المنفقين.

الفهارس



[١]

فهرس المراجع



[١] فهرس المراجع

١- **أصول التربية الإسلامية**، لعبد الرحمن النحلاوي، ط. دار الفكر.
٢- **الآداب النبوية**، لصالح بن علي، ط. مكتبة أبها.
٣- **الإحسان في تقريب ابن حبان**، بتحقيق شعيب الأرناؤوط، ط. الرسالة.
٤- **الإصابة في معرفة الصحابة**، للحافظ ابن حجر العسقلاني، ط. دار الكتب العلمية.
٥- **الأمثال**، للحكيم الترمذي، ط. دار التراث.
٦- **تاريخ الطبري**، ط. دار المعارف.
٧- **تربية الأولاد في الإسلام**، للدكتور عبد الله ناصح علوان، ط. دار السلام.
٨- **تربية المراهق**، للدكتور محمد السيد الزعبلاوي، ط. مكتبة التوبة للكتب الثقافية.
٩- **تفسير الطبري**، لمحمد بن جرير الطبري، ط. دار المعرفة.
١٠- **تفسير القرآن العظيم**، للحافظ ابن كثير، ط. دار المعرفة بيروت.
١١- **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراف**، لابن مسكويه، ط. المكتبة المصرية.
١٢- **تهذيب موعظة المؤمنين**، للقاسمي.
١٣- **تيسير المنان في قصص القرآن**، للمصنف، ط. دار ابن الجوزي الطبعة الأولى.
١٤- **التربية الجادة ضرورة**، لمحمد بن عبد الله الدويش، ط. دار الصفوة.
١٥- **التربية النبوية**، لعثمان قدري مكانسي، ط. دار ابن حزم.
١٦- **التفكر في الأسماء طريق العلماء**، لضياء الدين الجماس، ط. دار الهجرة.

١٧- **التوضيح والبيان لشجرة الإيمان**، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي، ط. مركز صالح بن صالح.
١٨- **جوامع الآداب**، لجمال الدين القاسمي، ط. قرطبة.
١٩- **حلية الأولياء**، لأبي نعيم الأصبهاني، ط. السعادة.
٢٠- **حتى يعلم الشباب**، للدكتور عبد الله ناصح علوان، ط. دار السلام.
٢١- **الحل الإسلامي ضرورة**، للدكتور يوسف القرضاوي، ط. مكتبة وهبة.
٢٢- **خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية**، للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق.
٢٣- **روضة المحبين**، لابن القيم - رحمه الله -، ط. دار الصفا، مكتبة الجامعة.
٢٤- **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، للعلامة ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي.
٢٥- **سلسلة الأحاديث الضعيفة**، للعلامة ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي.
٢٦- **سنن ابن ماجة**، لابن ماجة القزويني، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار الكتب العلمية.
٢٧- **سنن الترمذي**، بتحقيق أحمد شاكر، ط. دار الكتب الحديث.
٢٨- **سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي**، ط. دار الكتب العلمية.
٢٩- **سير أعلام النبلاء**، للحافظ الذهبي، ط. مؤسسة الرسالة.
٣٠- **سيرة ابن هشام مع الروض الأنف**، ط. الكليات الأزهرية.
٣١- **سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز**، لابن الجوزي، ط. دار الكتب العلمية.

٣٢- **السنن الكبرى**، للبيهقي، ط. المعرفة.

٣٣- **السنة**، لابن أبي عاصم، ومعها ظلال الجنة، للعلامة الألباني، ط. المكتب الإسلامي.

٣٤- **شجرة الإيمان**، للمصنف، ط. دار العقيدة للتراث.

٣٥- **شرح حديث ما ذئبان جائعان**، لابن رجب الحنبلي، ط. دار الفتح.

٣٦- **شرح الطحاوية**، لأبي العز الحنفي، بتحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد المحسن التركي، ط. مؤسسة الرسالة.

٣٧- **شرح السنة**، للإمام البغوي، بتحقيق شعيب الأرناؤوط، ط. دار بدر.

٣٨- **شعب الإيمان**، للبيهقي، بتحقيق زغلول، ط. دار الكتب العلمية.

٣٩- **صحيح ابن ماجة**، للعلامة ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي.

٤٠- **صحيح سنن أبي داود**، للعلامة ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي.

٤١- **صحيح سنن الترمذي**، للعلامة ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي.

٤٢- **صحيح سنن النسائي**، للعلامة ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي.

٤٣- **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، للعلامة ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي.

٤٤- **صلاح الأمة في علو الهمة**، لسيد حسين العفاني، ط. دار الرسالة.

٤٥- **الطبقات الكبرى**، لابن سعد، ط. دار صادر.

٤٦- **عارضة الأحوذي شرح جامع الترمذي**، لابن العربي المالكي، ط. دار الوحي.

٤٧- **عون المعبود بشرح سنن أبي داود**، لشمس الحق أبادي، ط. المكتبة السلفية بالمدينة.

٤٨- **العفة ومنهج الاستعفاف**، ليحيى بن سليمان العقيلي، ط. دار الوفاء ودار الدعوة.
٤٩- **العقيدة في ضوء الكتاب والسنة**، للدكتور عمر سليمان الأشقر، ط. دار النفائس ومكتبة الفلاح.
٥٠- **غذاء الألباب، للسفاريني**، ط. دار العلم للجميع ومكتبة البيان.
٥١- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، للحافظ ابن حجر العسقلاني، ط. السلفية.
٥٢- **فصول من السياسة الشرعية**، للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق.
٥٣- **فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد**، لفضل الله الجيلاني.
٥٤- **في ظلال القرآن**، للأستاذ سيد قطب - رحمه الله -، ط. در العلم بجدة.
٥٥- **كيف نربي أولادنا**، لمحيي الدين عبد الحميد، ط. مؤسسة بدران.
٥٦- **الكشاف**، للزمخشري، ط. الريان.
٥٧- **لطائف المعارف**، لابن رجب الحنبلي، ط. دار الجيل.
٥٨- **لماذا أعدموني**، مذكرات لسيد قطب - رحمه الله -.
٥٩- **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، لأبي الحسن الندوي، ط. وقفية للاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية.
٦٠- **مباحث في علوم القرآن**، لمناع القطان، ط. مكتبة المعارف.
٦١- **مجلة الوعي الإسلامي**، مقال بعنوان: قيم هي أساس التربية لمحمد رجاء حنفي عبد المتجلي.
٦٢- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لنور الدين الهيثمي ط. دار الفكر العربي.
٦٣- **مجموع الفتاوى**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط. مكتبة ابن تيمية.

٦٤- **محاسن التأويل**، لجمال الدين القاسمي، ط. دار الفكر.

٦٥- **محاسن الدين الإسلامي**، لعبد العزيز المحمد السلمان، الطبعة الثامنة وقفية.

٦٦- **محاضرات الجامعة الإسلامية**، موسم ثقافي ١٣٩٦-١٣٩٧هـ.

٦٧- **مختصر منهاج القاصدين**، لأحمد بن قدامة، ط. دار الإمام.

٦٨- **مدارج السالكين**، لابن قيم الجوزية.

٦٩- **مسئولية الأب المسلم**، لعدنان حسن با حارث، ط. دار المعرفة.

٧٠- **مستدرك الحاكم**، ومعه تلخيص الذهبي، ط. دار المعرفة.

٧١- **مسلم بشرح النووي**، ط. المطبعة المصرية ومكتبتها.

٧٢- **مسند أحمد**، بفهرس الألباني، ط. المكتب الإسلامي.

٧٣- **مسند أحمد**، بتحقيق أحمد شاكر، ط. دار المعارف.

٧٤- **معارج القبول**، لحافظ بن أحمد حكمي، ط. مركز الهدى للدراسات.

٧٥- **معالم السنن**، للخطابي، ط. المكتبة العلمية.

٧٦- **معالم في الطريق**، **للأستاذ سيد قطب - رحمه الله -**، ط. دار الشروق.

٧٧- **من أخلاق النصر في جيل الصحابة** ﷺ، لسيد محمد نوح، ط. دار ابن حزم.

٧٨- **من أعلام السلف**، **للمصنف**، ط. مكتبة الإيمان بالإسكندرية.

٧٩- **منهج الإسلام في تزكية النفس**، للدكتور أنس كرزون، ط. ابن حزم ودار نور المكتبات.

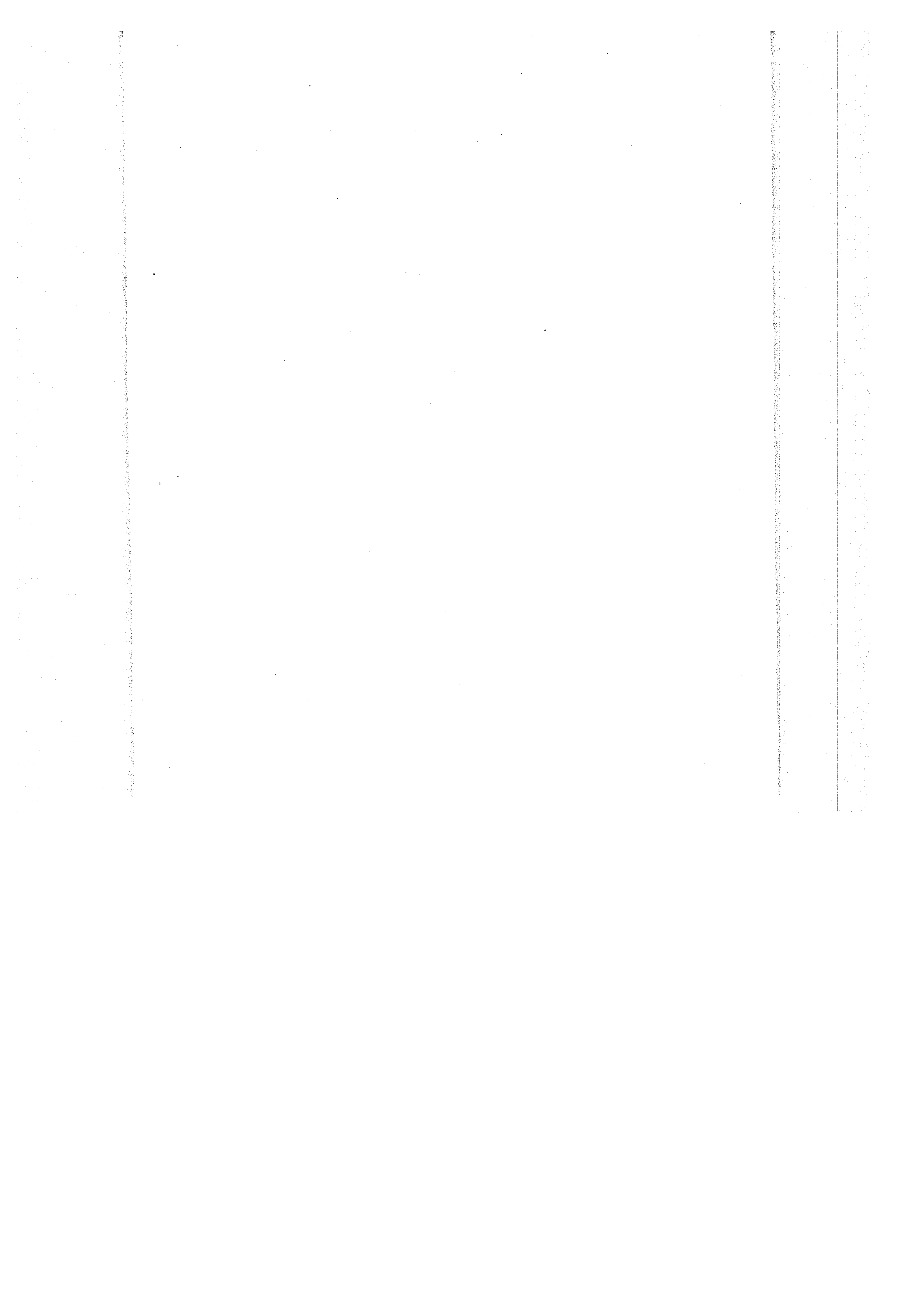
٨٠- **منهج التربية الإسلامية**، للأستاذ محمد قطب، ط. دار الشروق.

٨١- **ـج السنة النبوية في تربية الإنسان**، للدكتور بدير محمد بدير، توزيع مكتبة الدعوة الإسلامية بالمنصورة.

٨٢- **منهج القرآن في التربية ،** لمحمد شديد ، ط . مؤسسة الرسالة .
٨٣- **منهج المؤمن بين العلم والتطبيق ،** للدكتور عدنان علي رضا النحوي، ط . دار النحوي .
٨٤- **موطأ مالك ،** بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، ط . عيسى البابي الحلبي .
٨٥ - **المراهقون : دراسة نفسية إسلامية ،** د . عبد العزيز محمد النغيمشي .
٨٦- **نقض المنطق ،** لشيخ الإسلام ابن تيمية .
٨٧- **واقعنا المعاصر ،** للأستاذ محمد قطب . ط . مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر .

[٢]

فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة



رقم الإيداع 99/4633
ترقيم دولي .I.S.B.N
977-5953-07-3